أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

نهج البلاغة

نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي
ابن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين
أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح الاستاذ الامام
الشيخ محمد عبده

أشرف على طبعه وزاد في شرحه
عبد العزيز سيد الأهل

الجزء الاول

تمتاز هذه الطبعة بزيادات كثيرة أضيفت على الطبعات السابقة

منشورات
مكتبة الاندلس
شارع سوريا - بيروت (لبنان) - هاتف ٢٨٠١٠

تنبيه لمديري المدارس

وأساتذتها والمشتغلين بالعلم والأدب والمعلمين والطلاب

قد اعتنينا عند تصحيح الكتاب بضبط ألفاظه اللغوية ضبطاً صحيحاً ، ونعيد ما ذكرناه في المقدمة زيادة في التنبيه من ان الكتاب حاو جميع ما يمكن ان يعرض للكاتب والخاطب من أغراض الكلام : فقد تعرض للمدح ، وللعـذل الادبي ، وللترغيب في الفضائل وللتنفير من الرذائـل ، وللمحاورات السياسية ، والمخاصمات الجدلية ، ولبيان حقوق الراعي على الرعية ، وحقوق الرعية على الراعي . وأتى على الكلام في أصول المدنية وقواعد العدالة ، وفي النصائح الشخصية ، والمواعظ العمومية . وعلى الجملة فلا يطلب الطالب طلبة إلا ويرى فيه أفضلها ، ولا تخالج فكره رغبـة إلا وجد فيه أكملها . والله الموفق للصواب .

الطبعـة الاولى

ربيع الاول سنة ١٣٧٤ هـ

تشرين ٢ - نوفمبر - ١٩٥٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله، والثناء على نبيه وآله، رأيت بمشيئته تعالى ومعونته أن أخرج للناس طبعة جديدة منسقة من شرح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده على «نهج البلاغة». فلما تمت الروية وصدقت النية عمدت إلى الامام الجليل السيد عبد الحسين شرف الدين فاطلعته على نيتي، وذكرت له أنني أنوي أن يشرف على هذا العمل الكاتب المنصف والبارع المحقق الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل، فقال لي الامام: «انني أوليه كل ثقتي، وهو جدير بكل عمل جليل وعبء ثقيل» ولم ألبث أن عدت الى الاستاذ عبد العزيز أبلغه طلبي ورأي الامام، فقبل العمل مبتهجاً راضياً.

وأنا إذ أشكر السيد الامام الذي دلني، والاستاذ الذي وافق رأيه رأيي أكثر من الشكر لله تعالى على هدايته، وأسأله ان يمدني من معونته وعنايته وانه على ما يشاء قدير.

وقد اعتزمت أن أصدر الكتاب في أربعة أجزاء لأيسر على القارىء الحصول عليه باقساط زهيدة، وعلى الله تمام التوفيق.

الناشر
حسين عاصي

بيروت في يوم الجمعة ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٧٤
الموافق ١٩ تشرين ثاني سنة ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

المحمود الله جل جلاله ، والمصلى عليه النبي وآله . وبعد ، فقد طلب إليّ الناشر الكريم السيد حسين عاصي أن أشرف على طبعة جديدة لكتاب « نهج البلاغة » لامير المؤمنين وسيد الاوصياء علي بن ابي طالب عليه السلام ، وأبلغني تفضل الامام الجليل والمجتهد الاكبر السيد عبد الحسين شرف الدين بالثقة التي أفاضها عليّ ، فشكرت للامام نبله ، ورضيت للناشر طلبه الذي لم يجد بداً من أن يكون الشرح هو شرح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده – رحمه الله – فليس خيراً مما فعله من التيسير والتقريب .

ثم بدأت ، فلم ألبث أن رأيت الامام قد أوفى على الغاية مع تركه ما كان لا يتركه لو أنه كان خالي البال آمن السرب حين نظر في الكتاب وشرحه ، وتمنيت لو أنه كان اطلع على ما نشر من كتب السيد الشريف الرضيّ من بعده ، فلما عدت على بعض الأمور أبينها استعنت روحه واتجاهه ناظراً في شروح من كانوا قبله كابن ابي الحديد وابن ميسم ، وتحقيقات الذين حققوا بعده فزاد منهم من زاد ووقف عند الأصل من وقف . ورأيت أن أشرح في طبعتنا هذه مقدمة الامام ، ثم مقدمة الشريف الرضي بمثل الاختصار الذي توخاه الامام . وما زدته على شرحه جعلته بين قوسين هكذا [...]

أما نصوص « النهج » فقد قسّمتُ الى أقسام كل خطبة أو كلام لامير المؤمنين يتناول اغراضاً مختلفة ، ليسهل على القارىء إدراك أجزاء الخطبة أو الكلام ، ثم زدت هذه الطبعة بشيء جدير بالاهتمام هو التأريخ القصير لمن استطعت أن أؤرخ له من الاعلام الواردة بالنهج ، لئلا يفوت القارىء علم ما لا بد منه من الرجال وداعية الحال .

والله – تعالى – الموفق للهداية ، والمسدّد لجوادّ الطريق .

عبد العزيز سيد الأهل

مقدمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدُ الله سياجُ [1] النعم ، والصلاة على النبي وفاء الذمم ، واستمطار الرحمة على آله الأولياء وأصحابه الأصفياء عرفانُ الجميل ، وتـذكار الدليل [2]

وبعد ؛ فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب « نهج البلاغة » مصادفة بلا تعمل ، أصبته على تغير حال ، وتبلبل بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال [3] فحسبته تسلية ، وحيلة للتخلية [4] ، فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملاً من عباراته ، من مواضع مختلفات ، ومواضيع متفرقات ، فكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبّت ، وغارات شُنّت ، وأن للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ، وأن للأوهام عرامة [5] وللريَب دعارة ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام وصفوف الانتظام ، تنافح بالصفيح الأبلج [6] والقويم الأملج ، وتمتلج المهج برواضع الحجج ، فتفلّ من دعارة الوساوس [7] وتصيب مقاتل الخوانس . فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ، ومرْج الشك في خمود [8] وهرْج الريْب في ركود . وإن مدبّر تلك الدولة وباسل

(١) [يراد بالسياج الأطار يحيط بالشيء فيصونه وأصله إحاطة البستان بحائط من الاشجار وهو الساج] .

(٢) [لعله يريد بتذكار الدليل معرفه طريق الحق والهداية اليه] .

(٣) [يقال كان ذلك حين كان الاستاذ الامام منفياً في بيروت] .

(٤) [اي حيلة لتخلية البال من الهموم] .

(٥) العرامة : الشراسة . والدعارة : سوء الخلق . والجحافل : الجيوش . والكتائب : الفرق منها . والذرابة : حدة اللسان في فصاحة . والكلام تخييل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والاوهام .

(٦) تنافح : تضارب أشد المضاربة ، والصفيح : السيف ، والأبلج : اللامع الباض ، والقويم : الرمح . والاملج : الاسمر . وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القوية المبددة للوهم وإن خفي مدركها . وتمتلج : اي تمتص . والمهج : دماء القلوب [أو الارواح] ، والمراد لا تبقي للأوهام شيئاً من مادة البقاء .

(٧) فل الشيء : ثلمه ، هزمهم ، والخوانس : خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء .

(٨) المرج : الاضطراب [والخلط ، والهرج : هيجان الفتنة .

تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد ، فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية ، توحي اليها رشادها ، وتقوّم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزالّ [1] إلى جوادّ الفضل والكمال .

وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة [2] ، وأنياب كاشرة ، وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور ، قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضّت للاختلاب . فخلبت القلوب عن هواها [3] ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الالـهي واتصل بالروح الانساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، وسما به الى الملكوت الأعلى ، ونما به الى مشهد النور الأجلى . وسكن به إلى عمار [4] جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس [5] .

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي باعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الارتياب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب ، ويرشدهم الى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة ، ويُصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير .

ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي — رحمه الله — من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . جمع متفرقه وسماه هذا الاسم « نهج البلاغة » . ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه . وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به

---

(١) [مداحض المزال ما بطل من الضلالات والجواد جمع جادة وهي معظم الطريق] .

(٢) [سرة : عابسة] .

(٣) [خلبتها عن هواها : خدعتها وأزالتها عنه] .

(٤) [العمار : الحسن والجمال] .

(٥) [التلبيس التخليط والتدليس] .

صاحب الاختيار كما سترى في مقدمة الكتاب . ولولا أن غرائز الجبلة ، وقواضي الذمة تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه ، وشكر المحسن على إحسانه ، لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودع نهجُ البلاغة ، من فنون الفصاحة ، وما خُصَّ به من وجوه البلاغة ، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصابه ، ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه [1] .

إلا أن عبارات الكتاب لبعد عهدها منا ، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا ، قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية ، وجزالة تركيب في غير تعقيد ؛ فربما وقف فهم المطالع دون الوصول إلى مفهومات بعض المفردات ، أو مضمونات بعض الجمل ، وليس ذلك ضعفاً في اللفظ ، أو وهناً في المعنى ، وإنما هو قصور في ذهن المتناوِل .

ومن ثم همت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة ، والمشارفة بالمكاشفة ، وأعلق على بعض مفرداته شرحاً ، وبعض جمله تفسيراً ، وشيء من إشاراته تعييناً . واقفاً عند حد الحاجة مما قصدت ، موجزاً في البيان ما استطعت ، معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة ، والمعروف من صحيح الأخبار . ولم أتعرض لتعديل ما روي عن الامام في مسألة الامامة أو تجريحه ، بل تركت للمطالع الحكمَ فيه بعد الالتفات إلى أصول المذاهب المعلومة فيها ، والأخبار المأثورة الشاهدة عليها . غير أني لم أتحاش تفسير العبارة ، وتوضيح الاشارة . لا أريد في وجهي هذا إلا حفظ ما اذكر ، وذكر ما أحفظ ، تصوّناً من النسيان ، وتحرزاً من الحَيَدَان [2] ، ولم أطلب من وجه الكتاب إلا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام . وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولمن يطلع عليه من أهل اللسان العربي .

وقد عنى جماعة من جلة العلماء بشرح الكتاب ، وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الأسرار . وكلٌّ يقصد تأييد مذهب ، وتعضيد مشرب . غير أنه لم يتيسر لي ولا واحدٌ من شروحهم ؛ إلا شذراتٍ وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب . فان وافقت أحدَهم فيما رأى

---

(١) [جابه يجوبه خرقه ومضى فيه] .
(٢) [الحيدان كفيضان الميل والجور] .

فذلك حكمُ الاتفاق ، وإن كنت خالفتهم فالى صواب – فيما أظن – ، على أني لا أعد تعليقي هـذا شرحاً في عداد الشروح ، ولا أذكره كتاباً بين الكتب ، وإنما هو طراز لنهج البلاغة ، وعَلَمٌ توشى به أطرافه .[1]

وأرجو أن يكون فيما وضعت من وجيز البيان ، فائدة للشبان من أهل هذا الزمان . فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب ، يتدافعون إلى نيل الأرب من لسان العرب . يبتغون لأنفسهم سلائقَ عربية ، وملكات لغوية . وكل يطلب لسانـاً خاطباً ، وقلماً كاتباً ، لكنهم يتوخّوْن وسائل ما يطلبون في مطالعة المقامات وكتب المراسلات مما كتبـه المولدون ، أو قلدهم فيه المتأخرون ، ولم يراعوا في تحريره إلا رقة الكلمات ، وتوافق الجناسات ، وانسجام السجعات ، وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظيـة التي وسموها بالفنون البديعية ، وإن كانت العبارات خلواً من المعاني الجليلة ، أو فاقدة الأساليبَ الرفيعة .

على أن هذا النوع من الكلام بعضُ ما في اللسان العربي ، وليس كل ما فيه ، بل هذا النوع إذا انفرد يعد من أدنى طبقات القول[2] ، وليس في حلاه المنوطة بأواخر ألفاظه ما يرفعه إلى درجة الوسـط . فلو أنهم عدلوا إلى مدارسة ما جاء عن أهل اللسان ، خصوصاً أهلَ الطبقة العليـا منهم ؛ لأحرزوا من بغيتهم ما امتدت اليه أعناقهم ، واستعدت لقبوله أعراقهم . وليس في أهل هـذه اللغة إلا قائل بأن كلام الامام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه – بعد كلام الله تعالى وكلام نبيـه ﷺ – وأغزره مادة ، وأرفعه أسلوباً ، وأجمعه لجلائل المعاني .

فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة ، والطامعين في التدرج لمراقيها ، أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم ، وأفضل مأثورهم ، مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لأجلها ، وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها ؛ ليصيبوا بذلك أفضل غاية ، وينتهوا الى خير نهاية . وأسأل الله نجاح عملي وأعمالهم ، وتحقيق أملي وآمالهم .

* * *

(١) [العلم ما ينصب في الطريق ليهتدى به]

(٢) [يشير الى الكلام المعنى بالمحسنات] .

ولنقدم للمطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب، وطرفاً من خبره .

فهو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه .

ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض [1] ، وبذّ أهل زمانه في العلم والأدب .

قال صاحب اليتيمة : هو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادات العراق ، يتحلى - مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف - بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحامد وافر . تولى نقابة نقباء الطالبيين بعد أبيه في حياته سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، وضمت اليه ، مع النقابة ، سائر الأعمال التي كان يليها أبوه : وهي النظر في المظالم ، والحج بالناس . وكان من سمو المقام بحيث يكتب إلى الخليفة القادر بالله العباسي أحمد بن المقتدر من قصيدة طويلة [يفتخر بها ويساوي نفسه بالخليفة] : -

عطفاً أمير المؤمنين فإننا   في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ   أبداً ، كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني   أنا عاطل منها وأنت مطوّق

ويروى أن القادر قال له عند سماع هذا البيت : على رغم أنفك الشريف ! ومن غرر شعره فيما يقرب من هذا قوله : -

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل   أبداً ينازع عاشقاً معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل   ضجراً : دواء الفارك [2] التطليق

وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل .

قال صاحب اليتيمة : وهو أشعر الطالبيين : من مضى منهم ومن غبر - على كثرة شعرائهم المُفْلِقين - ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق .

(١) [يراد بالفرائض علم المواريث] .
(٢) [الفارك : المرأة الكارهة لزوجها] .

وقال بعض واصفيه - رحمه الله - : كان شاعراً مفلقاً ، فصيح النظم ، ضخم الألفاظ ، قادراً على القريض ، متصرفاً في فنونه : إن قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجاب ، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشق له فيه غبار ، وإن قصد المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعة الأنفاس . وكان مع هذا مترسلاً ، كاتباً ، بليغاً ، متين العبارات ، سامي المعاني .

وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة . وأجود ما جُمع منه مجموع أبي حكيم الخيري وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٣٧ م ١٣٥٦ هـ ، وهو ديوان كبير يدخل في أربعة مجلدات ، كما ذكره صاحب اليتيمة . وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم ، قالوا : يتعذر وجود مثله ، وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة وأصول الدين [١] . وله كتاب في مجازات القرآن [٢] . [كما أن له كتاب المجازات النبوية] . وكان عليَّ الهمة ، تسمو به عزيمته الى أمور عظام ، لم يجد من الايام عليها معيناً ، فوقفت به دونها حتى قضى ، وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغاً فيها الى النهاية ، لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة ، حتى إنه رد صلات أبيه ! وقد اجتهد بنو بويه في قبوله صلاتهم فلم يقبل ، وكان يرضى بالاكرام وصيانة الجانب ، وإعزاز الاتباع والاصحاب : حكى أبو حامد محمد بن محمد الاسفرائيني الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضي (صاحب كلامنا الآن) أبو الحسن فأعظمه وأجل مكانه ورفع من منزلته وخلى ما كان بيده من القصص والرقاع ، وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف ، ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو قاسم (أخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الاكرام . وتشاغل عنه برقاع يقرأها ، فجلس قليلاً ، ثم سأله أمراً فقضاه ثم انصرف ، قال ابو حامد : فقلت : أصلح الله الوزير ، هذا المرتضى وهو الفقيه المتكلم صاحب الفنون ، وهو الامثل والافضل منهما ، وإنما أبو الحسن شاعر ! قال :

---

(١) [هو كتاب حقائق التأويل وقد عثر في النجف على الجزء الخامس منه فطبع ، وهو - كما قالوا - يتعذر وجود مثله حقاً] .

(٢) [وقد عثروا عليه ناقصاً بايران وطبع على نقصه وهو كذلك عزيز المثال] .

فقال لي : إذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة . قال : وكنت مجمعاً على الانصراف فعرض من الامر ما لم يكن في الحساب ، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس حتى تقوض الناس . وبعد ان انصرف عنه اكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري . قال لخادم له : هات الكتابين اللذين دفعتهما اليك منذ أيام وأمرتك بوضعهما في السفط الفلاني . فأحضرهما ، فقال : هذا كتاب الرضي ، اتصل بي أنه قد ولد له ولد فأنفذت إليه ألف دينار ، وقلت : هذا للقابلة ، فقد جرت العادة ان يحمل الاصدقاء إلى ذوي مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال . فردها وكتب إلي هذا الكتاب فاقرأه ، فقرأته فاذا هو اعتذار عن الرد ، وفي جملته : « إننا أهلَ بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الامر من نسائنا ، ولسن ممن يأخذن أجرة ، ولا يقبلن صلة » قال : فهذا هذا ، وأما المرتضى فإنا كنا وزعنا وقسطنا على الاملاك ببعض النواحي تقسيطاً نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينار واحد . وقد كتب منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه ، وهو أكثر من مائة سطر ، يتضمن من الخشوع والخضوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم المذكورة ما يطول شرحه . قال فخر الملك : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل : هذا العالم المتكلم الفقيه الاوحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشهر إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ فقلت : وفق الله سيدنا الوزير ، والله ما وضع الامر إلا في موضعه ، ولا أحله إلا في محله .

وتوفي الرضي في المحرم سنة أربع وأربعمائة ، ودفن في داره بمسجد الانباريين بالكرخ ، ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، لأنه لم يستطع ان ينظر إلى تابوته ودفنه ، وصلى عليه الوزير فخر الملك ابو غالب ، ومضى بنفسه آخر النهار الى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود الى داره .

ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جملتها : —

يا للرجال لفجعة جذمت يدي ... ووددت لو ذهبت عليّ براسي
ما زلت أحذر وردها حتى أتت ... فحسوتها في بعض ما انا حاسي

ومطلتها زمناً ، فلما صممت لم يثنها مطلي وطول مكاسي
[لا تنكروا من فيض دمعي عبرة فالدمع غير مساعد ومواسي]
لله عمرك من قصير طاهر ولرب عمر طال بالأدناس

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان ، وذهبت بهجتها ، وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان [1] ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

ولقد بكيت على ربوعهم وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب نضوي ، ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني ، فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص ، وهو ينشد الابيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال : لا ، فقال : هذه الدار لصاحب الابيات : الشريف الرضي ! فعجب كلاهما من حسن الاتفاق .

وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي ما لو تقصيناه لطال الكلام ، وإنما غرضنا أن يلم القارىء بسيرته بعض الالمام ، والله أعلم .



(١) [الحدثان مبدأ الامر ، والحدثان بالتحريك مصدر من حدث يدل على الاضطراب] .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه، ومَعاذاً من بلائه، ووسيلا إلى جنانه (١) وسبباً الى زيادة إحسانه. والصلاة على رسوله نبي الرحمة، وإمام الأئمة، وسراج الأمة. المنتخب من طينة الكرم (٢) وسلالة المجد الأقدم. ومَغْرِس الفخار المُعْرق (٣) وفرع العَلاء المثمر المورق. وعلى أهل بيته مصابيح الظُّلم، وعِصَم الأمم (٤) ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة. صلى الله عليهم أجمعين، صلاة تكون إزاءً لفضلهم (٥) ومكافأة لعملهم، وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم. ما أنار فجر ساطع،

---

(١) [المعاذ الملجأ] في بعض النسخ ووسيلا وهو جمع وسيلة، وهي ما يتقرب به، ورواية سبيلا أحسن. [ولفظ «وسيلا» أليق باسلوب الشريف لأنه يبعد دائماً في اختيار اللفظ الرشيق والمطلع على آثاره يشهد بذلك].

(٢) طينة الكرم: أصله، وسلالة المجد: فرعه.

(٣) الفخار: قال بعضهم بالكسر ويغلط من يقرأ بالفتح، لأنه مصدر فاخر، والمصدر من فاعل الفعال بكسر أوله، غير أنه لا يبعد أن يكون مصدر فخر، والثلاثي إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمح سماحا.

(٤) العصم جمع عصمة وهو ما يعتصم به [أي أن أهل البيت يمنعون الأذى عن الخلق ويحمونهم منه] والمنار: الأعلام واحدها منارة، والمثاقيل جمع مثقال وهو مقدار وزن الشيء، تقول: مثقال حبة، ومثقال دينار، فمثاقيل الفضل زناته أي أن الفضل يعرف بهم مقداره.

(٥) إزاء لفضلهم: أي مقابلة له.

وخوى نجم طالع (١) — فاني كنت في عنفوان السن (٢) وغضاضة الغصن (٣)، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام: يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام (٤)، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان (٥)؛ وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً، وفصلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب؛ دون الخطب الطويلة، والكتب المبسوطة. فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه، ومتعجبين من نواصعه (٦) وسألوني عند ذلك ان ابتدىء بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعّبات غصونه: من خطب، وكتب، ومواعظ، وأدب. علماً ان

---

(١) خوى النجم [بالتخفيف] : سقط، [وبالتشديد : إذا مال للمغيب]، وخوت النجوم : أمحلت فلم تمطر كأخوت وخوّت بالتشديد.

(٢) عنفوان السن : أولها.

(٣) [غضاضة الغصن طراوته ولينه].

(٤) [حداني عليه بعثني وحملني وهو مأخوذ من حداء الأبل].

(٥) محاجزات الزمان : ممانعاته. ومماطلات الأيام : مدافعاتها.

(٦) [البدائع جمع بديعة وهي الفعل على غير مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن وإن سبق إليه مبالغة في حسنه، والنواصع جمع ناصعة و] النواصع : الخالصة وناصع كل شيء خالصه.

ذلك يتضمن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية؛ ما لا يوجد مجتمعاً في كلام[1] ولا مجموع الأطراف في كتاب؛ إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرَع الفصاحة وموردها[2] ومنشأ البلاغة ومولدها؛ ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها؛ وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب[3]، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ. ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا، لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مَسْحة من العلم الالهي[4] وفيه عَبقة من الكلام النبوي، فأجبتهم الى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع، ومنشور الذكر، ومذخور الأجر. واعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة، مضافة الى المحاسن الدثرة، والفضائل الجمة[5]. وأنه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد[6]. وأما كلامه فهو البحر الذي لا يساجَل[7] والجم الذي

---

(١) الثواقب : المضيئة ، ومنه الشهاب الثاقب . ومن الكلم ما يضيء لسامعها طريق الوصول إلى ما دلت عليه فيهتدي بها اليه .

(٢) المشرع : تذكير المشرعة ، مورد الشاربة كالشريعة .

(٣) حذا كل قائل : اقتفى واتبع .

(٤) عليه مسحة من جمال مثلاً أي ش أي كأثر أو علامة] . وكأنه يريد « بهاء منه وضياء » والعبقة : الرائحة [اللاصقة بالشيء والمنتشرة عنه] .

(٥) اعتمدت : قصدت، والدثرة بفتح فسكون: وكذلك الجمّة] .

(٦) يؤثر : أي ينقل عنهم ويحكي [والشاذ الشارد المنفرد الذي ليس له أمثال] .

(٧) لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء .

لا يحافَل [1] .

وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعَتنا - يا جرير - المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب [2] ثلاثة : أولها : الخطب والأوامر ، وثانيها : الكتب والرسائل ، وثالثها : الحكم والمواعظ ؛ فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب [3] ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم والأدب . مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ، ومفصلا فيه أوراقاً ، لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ، ويقع إلي آجلا . وإذا جاء شيء من كلامه — عليه السلام — الخارج في أثناء حوار [4] أو جواب سؤال ، أو غرض آخر من الأغراض - في غير الأنحاء التي ذكرتها ، وقررت القاعدة عليها — نسبته الى أليق الأبواب به ، وأشدها ملاحمة لغرضه [5] . وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن كلم غير منتظمة ؛ لأني أورد النكت

---

(١) لا يغالب في الكثرة ، من قولهم : ضرع حافل ، أي : ممتلىء كثير اللبن [والمراد أن كلامه لا يُقابَلُ بكلام غيره لكثرة فضائله] .

(٢) [أقطاب أصول] .

(٣) أجمع عليه : عزم ، والمحاسن : جمع حسن على غير قياس [أو كأنه جمع مَحْسَن] .

(٤) بالفتح وبالكسر : المحاورة .

(٥) الملاحمة : الابصار والنظر ؛ والمراد هنا المناسبة [والمشابهة ن من ينظر الى شيء ويبصره كان كأنه يميل اليه ويلائمه .

واللمع، ولا أقصد التتالي والنسق [1].

ومن عجائبه، عليه السلام، التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، اذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه – لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حظ له في غير الزّهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت [2] أو انقطع الى سفح جبل، لا يسمع الا حسّه، ولا يرى الا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصْلتاً سيفه [3] فيقطُّ الرقاب، ويجدّل الأبطال [4] ويعود به ينطف دماً، ويقطر مُهجاً. وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد، وبدل الأبدال [5]. وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه

(١) [المنسق المنتظم يتلو بعضه بعضاً والنكت الآثار التي يتميز بها الشيء واللمع الآثار المميزة للأشياء بإضاءتها وبريقها].

(٢) قبع القنفذ كمنع: أدخل رأسه في جلده، والرجل أدخل رأسه في قميصه. أراد منه: انزوى. وكسر البيت جانب الخباء، وسفح الجبل اسفله [وجوانبه].

(٣) أصلت سيفه: جرده من غمده، ويقط الرقاب: يقطعها عرضا. فإن كان القطع طولاً قيل يقد. قال ابن عائشة: كانت ضربات علي أبكارا إن اعتلى قدّ وإن اعترض قط. ومنه قط القلم.

(٤) يجدل الأبطال يلقيهم على الجدالة كسحابة: وهي وجه الارض، وينطف من نطف كنصر وضرب، نطفاً وتنطافا: سال، والمهج: جمع مهجة وهي: دم القلب [والروح]

(٥) الأبدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم، إذا مات منهم واحد بدّل الله مكانه آخر. [والواحد بديل]

اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد وألف بين الأشتات [1]. وكثيراً ما أذاكر الاخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع للعبرة بها، والفكرة فيها.

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد، والمعنى المكرر؛ والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً: فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الأول: إما بزيادة مختارة، أو لفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يعاد، استظهاراً للاختيار، وغَيْرة على عقائل الكلام [2] وربما بعد العهد ايضاً بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً، لا قصداً واعتماداً.

ولا أدعي — مع ذلك — أني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام [3]

---

(١) موضع العجب أن أهل الشجاعة والاقدام والمغامرة والجرأة يكونون في العادة أقسياء فتاكاً متمردين جبارين. والغالب على اهل الزهد واعداء الدنيا وهاجري ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير ان يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع، وهاتان حالتان متضادتان فاجتماعها في امير المؤمنين علي كرم الله وجهه مما يوجب العجب، فكان كرم الله وجهه اشجع الناس واعظمهم إراقة للدم، وازهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة، وكان أكرم الناس أخلاقاً وأسفرهم وجهاً وأوفاهم هشاشة وبشاشة. [والحق أنه ليس مما يوجب العجب، فهي صفة المؤمن كامل الايمان إذ لم تكن جرأة أمير المؤمنين إلا على دماء الكفار والله تعالى يصف المؤمنين بقوله: أشداء على الكفار رحماء بينهم]

(٢) عقائل الكلام: كرائمه. وعقيلة الحي: كريمته.

(٣) أقطار الكلام: جوانبه. والشاذ: المنفرد [وكذلك النادّ].

حتى لا يشذ عني منه شاذ، ولا يَنِدَّ نادّ . بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي [1] وما عليَّ إلا بذل الجهد ، وبلاغ الوسع ، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل [2] ورشاد الدليل ، ان شاء الله .

ورأيت من بعدُ تسمية هذا الكتاب بـ « نهج البلاغة » اذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها ، ويقرب عليه طلابها ، فيه حاجة العالم والمتعلم ، وبغية البليغ والزاهد ، ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل ، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ، ما هو بلال كل غلة [3] وشفاء كل علة ، وجلاء كل شبهة .

ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة، وأتنجز التسديد والمعونة، واستعيذه من خطأ الجنان ، قبل خطأ اللسان ؛ ومن زلة الكلم ، قبل زلة القدم [4] وهو حسبي ونعم الوكيل .

---

(١) الربقة : عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة .

(٢) نهج السبيل : إبانته وإيضاحه .

(٣) الغلة : العطش ، وبلالها : ما تبل به وتروى .

(٤) [زلة الكلم الخطأ في القول وزلة القدم خطأ الطريق والانحراف عنه]

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره

ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة ، والمواقف المذكورة ، والخطوب الواردة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض ، وخلق آدم وفيها ذكر الحج

[وتحتوي على حمد الله . وخلق العالم . وخلق الملائكة . واختيار الانبياء . ومبعث النبي . والقرآن . والاحكام الشرعية]

حمد الله

الْحَمْدُ للهِ الَّذي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ[1] ، الَّذي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ[2] وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ[3] الَّذي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ[4] وَلَا نَعْتٌ

(١) [رتّب عليه السلام القائلين فالعادّين فالمجتهدين متعالياً في الترتيب من الاقل الى الاكثر وأراد تنزيهه تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كيفية مدحه]

(٢) اي : ان همم النظار وأصحاب الفكر ، وإن علت وبعدت ، فانها لا تدركه تعالى ولا تحيط به علما .

(٣) والفطن : جمع فطنة ، وغوصها : استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط درر الحقيقة وهي وإن بعدت في الغوص لا تنال حقيقة الذات الأقدس .

(٤) فرغ من الكلام في الذات وامتناعها على العقول إدراكا ، ثم هو الآن في تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة ، فكل صفات الممكن لها في أثرها حد تنقطع اليه ، كما نجده في قدرتنا وعلمنا مثلا ، فان لكلّ طوراً لا يتعداه . أما قدرة الله وعلمه فلا حدّ لشمولهما ، وكذا يقال في باقي الصفات الكمالية . والنعت يقال لما يتغير ؛ وصفاتنا لها نعوت ، فحياتنا مثلاً لها أطوار : من طفولية ، وصبا ، وما بعدهما ، وقوة ، وضعف ، وتوسط . وقدرتنا كذلك . وعلمنا له أدوار نقص وكمال وغموض ووضوح . أما صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت وأشباهها . ثم هي أزلية أبدية ، لا تعد الأوقات لوجودها واتصاف ذاته بها ، ولا تضرب لها الآجال [قال ابن ميثم في ذلك : ليس له صفة فتحدّ إذ هو تعالى واحد من كل وجه]

مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ . فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ(١) وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ(٢) ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ(٣) . أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ(٤) وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ : فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ

---

(١) [الفَطر الشقّ والابتداع على غير مثال سبق] .

(٢) [يستعمل العرب كلمة الريح للعذاب و الرياح الرحمة] .

(٣) الميدان : الحركة [بتمايل] ، ووتد بالتخفيف والتشديد [وقد استعمله أمير المؤمنين مخففاً في غير خُطبة كما يرى القارىء] ؛ أي : ثبت ، أي : سكن الأرض بعد اضطرابها بما رسخ من الصخور الجامدة في أديمها ، وهو يشير الى ان الأرض كانت مائدة مضطربة قبل جمودها [وهذا نظم جيد للكلام إذ نشر الرياح وإرساء الارض لازم لحياة الخلائق المفطورة ، ويجوز ان يكون المعنى ان الأوتاد يهتدى بها فلا يضلُّ السير فيها] .

(٤) أساس الدين معرفة الله ، وهو قد يعرف بأنه صانع العالم ، وليس منه ، بدون تنزيه ، وهي معرفة ناقصة ، وكمالها التصديق به ذاته ؛ لصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره ، وهي وجوب الوجود ؛ ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد ؛ لان الواجب لا يتعدد كما عرف في فن الالهيات والكلام ولا يكمل التوحيد إلا بتمحيض السر له دون ملاحظة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه اليه واستشراق نوره . ولا يكون هذا الاخلاص كاملاً حتى يكون معه نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في المشخصات ؛ لان معرفة الذات الاقدس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها ، فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحداً ، فالصفات المنفية بالاخلاص صفات المصنوعين وإلا فالامام علي كلام قد ملىء بصفاته سبحانه ، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف .

ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ[١] وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ[٢] ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ « فِيمَ ؟ » فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ « عَلامَ ؟ » فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ . كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ[٣] مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ . مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ[٤] فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ[٥] ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ[٦] مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ[٧] .

---

(١) جهله : أي : جهل أنه منزه عن مشابهة الماديات ، مقدس عن مضارعة المركبات ، وهذا الجهل يستلزم القول بالتشخيص الجسماني ، وهو يستلزم صحة الاشارة اليه ، تعالى الله عن ذلك .

(٢) إنما تشير إلى شيء إذا كان منك في جهة ، فأنت تتوجه اليها باشارتك ، وما كان في جهة فهو منقطع عن غيرها ، فيكون محدودا ـ أي له طرف ينتهي اليه ـ فمن أشار اليه فقد حده ، ومن حد فقد عد ـ اي أحصى وأحاط بذلك المحدود ـ لان الحد حاصر لمحدوده . وإذا قلت لشيء « فيم هو ؟ » فقد جعلته في ضمن شيء ، ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه . وإذا قلت « على أي شيء ؟ » فأنت ترى انه مستعل على شيء بعينه وما عداه خال منه .

(٣) الحدث : الابداء [من أبدأ] ، أي : هو موجود لكن لا عن إبداء وإيجاد موجد . والفقرة الثانية لازمة لهذه ؛ لانه إن لم يكن وجوده عن إيجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود بالعدم [فوجوده تعالى مجرد عن القيود] .

(٤) المزايلة : المفارقة والمباينة [أي ان ذات الله لا توصف بمشابهة ولا مخالفة من النسبيات التي تدركها العقول] .

(٥) [الآلة الجارحة كاليد والعين والمراد ان فعله تعالى لا ينتج عن حركة له هو ولا واسطة] .

(٦) أي : بصير بخلقه قبل وجودهم [وإذ في الجملتين بمعنى حين] .

(٧) العادة والعرف على انه لا يقال « متوحد » إلا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده ، فانفرد عنه . والله متوحد مع التنزه عن السكن .

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا[1] وَلاَ تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلاَ حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا[2]. أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا[3] وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا[4] وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا[5] وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا[6] عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا[7]. ثُمَّ أَنْشَأَ ـ سُبْحَانَهُ ـ

---

(١) الروية: الفكر، وأجالها: أدارها ورددها. وفي نسخة: أحالها - بالمهملة - أي صرفها.

(٢) همامة النفس - بفتح الهاء -: اهتمامها بالامر، وقصدها اليه. [والروية والتجربة والحركة وهمامة النفس هي وسائل البشر للعلم وهوتعالى منزه عن الوسائل].

(٣) حولها من العدم إلى الوجود في اوقاتها، او هو من «حال في متن فرسه» اي: وثب. وأحاله غيره: أوثبه. ومن أقر الاشياء في احيانها صار كمن أحال غيره على فرسه [وفي رواية أجال بالجيم ومعناه ربط كل ذي وقت بوقته].

(٤) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادي [وكما أودع في الاشياء قوة الامتزاج الذي هو التفاعل].

(٥) الغرائز: جمع غريزة، وهي: الطبيعة وغرز الغرائز كضوأ الاضواء، اي: جعلها غرائز، والمراد اودع فيها طبائعها.

(٦) الضمير في «أشباحها» للغرائز، اي: ألزم الغرائز أشباحها، اي: أشخاصها لان كل مطبوع على غريزة فانها تلازمه: فالشجاع لا يكون خواراً مثلا.

(٧) جمع حنو بالكسر، اي: الجانب. او ما اعوج من الشيء بدناً كان او غيره كناية عما خفي. او من قولهم أحناء الامور، اي: مشتبهاتها، وقرائنها: ما يقترن بها من الاحوال المتعلقة بها والصادرة عنها.

فَتَقَ الْأَجْوَاءِ[1] وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ[2] فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ[3] مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ[4] وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ. الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ[5] وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً

---

(١) ثم أنشأ الخ الترتيب والتراخي في قول الامام لا في الصنع الالهي، كما لا يخفى. والاجواء: جمع جو، وهو هذا الفضاء العالي بين السماء والارض. واستفيد من كلامه ان الفضاء مخلوق، وهو مذهب قوم، كما استفيد منه ان الله خلق في الفضاء ماء حمله على متن ريح فاستقل عليها حتى صارت مكاناً له، ثم خلق فوق ذلك الماء ريحاً أخرى سلطها عليه فموجته تموجاً شديداً حتى ارتفع فخلق منه الاجرام العليا وإلى هذا يذهب قوم من الفلاسفة منهم تالسين الاسكندري، يقولون: إن الماء - اي: الجوهر السائل - أصل كل الاجسام كثيفها من متكاثفه، ولطيفها من شفائفه. والارجاء: الجوانب واحدها رجا كعصا.

(٢) السكائك: جمع سكاكة - بالضم - وهي: الهواء الملاقي عنان السماء وبابها نحو ذؤابة وذوائب.

(٣) التيار: الموج، والمتراكم: ما يكون بعضه فوق بعض، والزخار: الشديد الزخر - أي: الامتداد والارتفاع - والريح العاصفة الشديدة الهبوب، كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها، وكذلك الزعزع، كأنها تزعزع كل ثابت، وتقصف - اي: تحطم كل قائم.

(٤) امرها برده، أي: منعه من الهبوط؛ لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوي والسقوط، وسلطها على شده، أي: وثاقه، كأنه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة إلى السفل التي هي من لوازم طبعه، وقرنها إلى حده، أي: جعلها مكاناً له أي: جعل حد الماء المذكور، وهو سطحه الأسفل، مماساً لسطح الريح التي تحمله أو أراد من الحد المنع، أي: جعل من لوازمها ذلك

(٥) الفتيق: المفتوق، والدفيق: المدفوق

أَعْتَقَمَ مَهَبَّهَا [1] وَأَدَامَ مُرَبَّهَا ، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ [2] وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ . تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ [3] حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ . وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ [4] فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً [5] وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً ، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً ، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا [6] ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ [7] وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً [8] وَقَمَراً مُنِيراً : فِي

---

(١) اعتقم مهبها : جعل هبوبها عقيماً ، والريح العقيم التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً وكذلك كانت هذه ؛ لأنها انشئت لتحريك الماء ليس غير ، والمرب مصدر ميمي من « أرب بالمكان » مثل ألب به ، أي : لازمه ، فأدام مربها ، أي : ملازمتها أو أن « أدام من أدمت الدلو ملأتها ، والمرب ، بكسر أوله : المكان والمحل .

(٢) تصفيقه : تحريكه وتقليبه ، ومخضته : حركته بشدة كما يمخض السقاء بما فيه من اللبن ليستخرج زبده ، والسقاء : جلد السخلة يجذع فيكون وعاء للبن والماء جمعه أسقية وأسقيات وأساق . و « عصفت به الخ » الريح إذا عصفت بالفضاء الذي لا اجسام فيه كانت شديدة لعدم المانع . وهذه الريح عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذي يكون لها لو لم يكن مانع

(٣) الساجي : الساكن ، والمائر : الذي يذهب ويجيء ، أو المتحرك مطلقاً . وعب عبابه : ارتفع علاه . وركامه : ثبجه وهضبته ، وما تراكم منه بعضه على بعض

(٤) المنفهق : المفتوح الواسع

(٥) المكفوف : الممنوع من السيلان ، ويدعمها : يسندها ويحفظها من السقوط

(٦) الدسار : واحد الدسر ، وهي المسامير ، أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه

(٧) الثواقب : المنيرة المشرقة

(٨) مستطيراً : منتشر الضياء ، وهو الشمس

فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ [1] .

خلق الملائكة

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا ، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ [2] مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ ، وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ . لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ ، وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ ، وَمِنْهُم الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ . وَمِنْهُم

---

(١) الرقيم : اسم من أسماء الفلك : سمي به لأنه مرقوم بالكواكب ، ومائر : متحرك ، ويفسر الرقيم باللوح لأنه مسطح فيما يبدو للنظر [وأقول فلك دائر مجاز كليله نائم ونهاره صائم أي مُدار مسار متحرك فيها]

(٢) جعل الملائكة أربعة اقسام : الأول : أرباب العبادة ، ومنهم الراكع ، والساجد ، والصاف والمسبح . وقوله « صافون » أي : قائمون صفوفاً . لا يتزايلون أي : لا يتفارقون . والقسم الثاني : الأمناء على وحي الله لأنبيائه ، والألسنة الناطقة في أفواه رسله ، والمختلفون بالأقضية الى العباد : بهم يقضي الله على من شاء بما شاء . والقسم الثالث : حفظة العباد ، كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم ، يحفظ الله الموصولين بهما من المهالك والمعاطب ، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالانسان من السلامة ؛ ومنهم سدنة الجنان ، جمع سادن : وهو الخادم ، والخادم يحفظ ما عهد اليه وأقيم على خدمته . والقسم الرابع : حملة العرش ، كأنهم القوة العامة التي افاضها الله في العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه : مركزه وحدود مسيره في مداره ، فهي المخترقة له ، النافذة فيه ، الآخذة من اعلاه الى أسفله ، ومن أسفله إلى أعلاه . وقوله « المارقة من السماء » : المروق الخروج ، وقوله « الخارجة من الأقطار أركانهم » : الأركان الأعضاء والجوارح ، والتمثيل في الكلام لا يخفى على أهل البصائر .

الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ . نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ[1] مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ . لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ .

صفة خلق آدم عليه السلام

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا[2] تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ . وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ[3] فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ[4] وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ : أَجْمَدَهَا حَتَّى

(١) الضمير في « دونه » للعرش كالضمير في « تحته » ، ومتلفعون : من تلفعت بالثوب ، إذا التحفت به .

(٢) الحزن — بفتح فسكون — الغليظ الخشن [كالجبل] ، والسهل ما يخالفه ، والسبخ : ما ملح من الارض . وأشار باختلاف الاجزاء التي جبل منها الانسان إلى أنه مركب من طباع مختلفة ، وفيه استعداد للخير والشر ، والحسن والقبيح .

(٣) سن الماء : صبه . والمراد صب عليها ، أو « سنها » هنا بمعنى ملسها كما قال :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ... ـراء تمشي في مرمر مسنون

وقوله « حتى خلصت » أي : صارت طينة خالصة ، وفي بعض النسخ « حتى خضلت » بتقديم الضاد المعجمة على اللام ، أي : ابتلت ولعلها أظهر : لاطها : خلطها وعجنها ، أو هو من لاط الحوض بالطين : خاطه وطينه به ، والبلة — بالفتح — من البلل : ولزب — ككرم — : تداخل بعضه في بعض وصلب ، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد [وعن ابن عباس : لزبت أي صارت طيناً رطباً يلتصق ويصلصل] .

(٤) الأحناء : جمع حنو وهو — بالكسر والفتح — : كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحى والضلع أو هي الجوانب مطلقاً . وجبل : أي خلق .

اُسْتُمْسِكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ (١) لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ؛ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا (٢)، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا (٣) وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ (٤) وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ؛ وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ (٥) وَعَهْدَ

---

(١) أصلدها : جعلها صلبة ملساء متينة ، وصلصلت : يبست حتى كانت تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها رياح ، وذلك هو الصلصال ، واللام في قوله « لوقت » متعلقة بمحذوف ، كأنه قال: حتى يبست وجفت معدّة لوقت معلوم . ويمكن أن تكون متعلقة بجبل ، أي : جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهي بيوم القيامة .

(٢) مَثُلَ ، ككرم [وفتح] : قام منتصباً . والأذهان : قوى التعقل ، ويجيلها : يحركها في المعقولات .

(٣) يختدمها : يجعلها في مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم في خدمتك في شؤونك كلها ، والأدوات : جمع أداة ، وهي الآلة ، وتقليبها : تحريكها في العمل بها فيما خلقت له

(٤) معجونا صفة « إنسانا » والألوان المختلفة : الضروب والفنون ، وتلك الألوان هي التي ذكره من الحر والبرد والبلة والجمود

(٥) استأدى الملائكة وديعته : طلب منهم أداءها ، والوديعة هي عهده اليهم بقوله : (إني خالق بشراً من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ويروي الخنوع بالنون بدل الخشوع وهو بمعنى الخضوع . وقوله « فقال اسجدوا الخ » عطف على استأدى [وأجمع المسلمون على أن الأمر بالسجود لم يكن للعبادة وإنما للجهة أو للتحية أو معناه الطاعة]

وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : (اُسْجُدُوا لِآدَمَ) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ [1] وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ ؛ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ ؛ فَقَالَ (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ [2] فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ ، وَالْعَزِيمَةَ

---

(١) الشقوة – بكسر الشين وفتحها – ما حتم عليه من الشقاء . والشقاء ضد السعادة ، وهو النصب الدائم والألم الملازم ، وتعززه بخلقة النار : استكباره مقدار نفسه بسبب أنه خلق من جوهر لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال ، والصلصال : الطين الحر خلط بالرمل ، أو الطين ما لم يجعل خزفاً ، والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التي خلق آدم عليه السلام منها ، وجوهر ما خلق منه الجن – وهم من الجواهر اللطيفة – أعلى من جوهر ما خلق منه الانسان ، وهو مجبول من عناصر الأرض ، والنظرة – بفتح فكسر – : الانتظار به حياً ، ما دام الانسان عامراً الأرض متمتعاً بالوجود ؛ فيكون من الشيطان في هذا الأمد ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ، ويكون الله جل شأنه قد أنجز وعده في قوله : (إنك لمن المنظرين)

(٢) اغتر آدم عدوه الشيطان ، أي انتهز منه غرة فأغواه ، وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود في دار المقام ، ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار

بِوَهْنِهِ ، وَاُسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً[1] ، وَبِالاُغْتِرَارِ نَدَماً ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ[2] وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ[3] .

اختيار الانبياء

وَاُصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ[4] ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ[5] فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاُتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ[6] وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ

(١) أدخل الشيطان عليه الشك في أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان في نهي الله له عن تناوله ما يوجب له اليقين بحظره عليه ، وكانت العزيمة في الوقوف عندما أمر الله فاستبد بها الوهن الذي أفضى إلى المخالفة ، والجذل – بالتحريك – الفرح ، وقد كان في راحة الأمن بالاخبات إلى الله وامتثال الأمر ، فلما سقط في المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخوف من حلول العقوبة ، وقد ذهبت عنه الغرة ، وانتبه إلى عاقبة ما اقترف ، فاستشعر الندم بعد الاغترار

(٢) أهبطه من مقام مرشده فيه الالهام الالهي الخالص من الشوائب لانسياق قواه إلى مقتضى الفطرة السليمة الاولى ، إلى مقر قد خاط له فيه الخير والشر ، واختلط له فيه الطريقان ، ووكل الى نظره العقلي ، وابتلي بالتمييز بين النجدين . واختيار أي الطريقين ، وهو العناد الذي تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين

(٣) تناسل الذرية من خصائص تلك المنزلة الثانية التي أنزل الله فيها آدم ، وهو بما ابتلي به الانسان امتحاناً لقوته على التربية ، واقتداره على سياسة من يعولهم ، والقيام بحقوقهم ، وإلزامهم بتأدية ما يحق عليهم .

(٤) أخذ عليهم الميثـــاق أن يبلغوا ما أوحى إليهم ، ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له . وأخذ عليهم ألا يشرعوا للناس إلا ما يوحي إليهم .

(٥) عهد الله إلى الناس هو ما سيأتي يعبر عنه بميثاق الفطرة .

(٦) الأنداد : الأمثال ، وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى .

عَنْ مَعْرِفَتِهِ[1] وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ[2] لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ[3] وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ[4] وَيُرُوهُمُ الآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ[5] وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ؛ وَلَمْ يُخْلِ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ[6]: رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ

---

(١) اجتالتهم – بالجيم – صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرهم، وأصله من الدوران، كأن الذي يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا.

(٢) واتر إليهم أنبياءه: أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة، لا بمعنى أرسلهم تباعاً بعضهم يعقب بعضاً.

(٣) كأن الله تعالى – بما أودع في الانسان من الغرائز والقوى، وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقاً بان يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه، لو لا ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق، أي: ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم، وما ينبغي ان تسوقهم إليه غرائزهم.

(٤) دفائن العقول: أنوار العرفان التي تكشف للانسان أسرار الكائنات وترتفع به إلى الايقان بصانع الموجودات، وقد تحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال، فيأتي النبيون لاثارة تلك المعارف الكامنة، وإبراز تلك الأسرار الباطنة.

(٥) السقف المرفوع: السماء. والمهاد الموضوع: الارض. والاوصاب: المتاعب.

(٦) المحجة: الطريق القويمة الواضحة.

سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ[١] : عَلَى ذٰلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ[٢] ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ . وَخَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ .

مبعث النبي

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ[٣] وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ[٤] كَرِيماً مِيلَادُهُ . وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّٰهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ[٥] ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ . ثُمَّ اخْتَارَ

---

(١) من سابق : بيان للرسل ، وكثير من الانبياء السابقين سميت لهم الانبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة ، وفي القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام بشر بخاتم الرسل ﷺ . والغابر : الذي يأتي بعد ان يبشر به السابق ، جاء معروفاً بتعريف من قبله [وفي كلام امير المؤمنين ماينطق بأن الفطرة قليلة الجوْدُ بالخيار والداعين للخير للاكتفاء بالقلة] .

(٢) نسلت — بالبناء للمجهول — ولدت ، وبالبناء للفاعل : مضت متتابعة .

(٣) الضمير في « عدته » لله تعالى ؛ لأن الله وعد بارسال محمد ﷺ على لسان أنبيائه السابقين ، وكذلك الضمير في « نبوته » لأن الله تعالى أنبأ به وأنه سيبعث وحياً لأنبيائه ، فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة : ولما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوة اليه .

(٤) سماته : علاماته التي ذكرت في كتب الانبياء السابقين الذين بشروا به .

(٥) الملحد في اسم الله : الذي يميل به عن حقيقة مسماه ؛ فيعتقد في الله صفات يجب تنزيهه عنها . والمشير إلى غيره : الذي يشرك معه في التصرف إلهاً آخر فيعبده ويستعينه .

سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاءَهُ ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا ، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَامِ الْبَلْوَى ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَاخَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا — إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً ، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ، وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ[1] :

القرآن والاحكام الشرعية

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ : مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ[2] وَفَرَائِضَهُ

(١) العلم — بفتحتين — ما يوضع ليهتدى به ، أي : ان الانبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم ، وقد كان من محمد ﷺ مثل ما كان منهم ، فانه خلف في أمته كتاب الله تعالى حاوياً لجميع ما يحتاجون اليه في دينهم .

(٢) حلاله كالأكل من الطيبات ، وحرامه كأكل اموال الناس بالباطل ، وفرائضه كالزكاة أخت الصلاة ، وفضائله كنوافل الصدقات التي يعظم الأجر فيها ولا حرج على من لا يؤديها ، وناسخه : ما جاء قاضياً بمحو ما كان عليه الضالون من العقائد ، أو إزالة السابق من الأحكام لحكمة إلهية اقتضت تغييره وان خفيت على بعض العقول كقوله تعالى: «قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه» الآية ، ومنسوخه ما كان حكاية عن تلك الاحكام كقوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر » الآية « ورخصه كقوله : « فمن اضطر في مخمصة » ، وعزائمه كقوله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، وخاصه كقوله : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها » الآية ، وكقوله « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » ، وعامه ، كقوله : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » . والعبر كالآيات التي تخبر عما أصاب الأمم الماضية من النكال ، وعما نزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا طرق الظلم والعدوان ، والأمثال كقوله « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً » ، الآية ، وقوله : « كمثل الذي استوقد ناراً » ، وأشباه ذلك كثيرة ، والمرسل : المطلق ، والمحدود : المقيد ، والمحكم كآيات الاحكام والاخبار الصريحة

وَفضَائِلُهُ ، وَنَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ ، وَرُخَصُهُ وَعَزَائِمُهُ ، وَخَاصُّهُ وَعَامُّهُ ، وَعِبَرُهُ وَأَمْثَالُهُ ، وَمُرْسَلُهُ وَمَحْدُودُهُ ، وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقِ فِي عِلْمِهِ ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ [1] : مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ .

في معانيها ، والمتشابه كقوله : « يد الله فوق أيديهم ». [والمأخوذ الميثاق في علمه أي ما يجب تعلمه كوحدانية الله] . والموسع على العباد في جهله كالحروف المفتتحة بها السور نحو ألم والر. والمثبت في الكتاب فرضه مع بيان السنة لنسخه نحو قوله تعالى: « فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت » ، فانه نسخ بما سنه عليه السلام من رجم الزاني المحصن ، وكالصلاة فانها فرضت على الذين من قبلنا ، غير ان السنة بينت لنا الهيئة التي اختصنا الله بها وكلفنا ان نؤدي الصلاة عليها . فالفرض في الكتاب ، وتبيين نسخه لما كان قبله في السنة . والمرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوصاً على عينه، بل ذكر في الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله : « فاقرأوا ما تيسر منه » ، وقد عينته السنة بسورة مخصوصة في كل ركعة فوجب الأخذ بما عينته السنة ، ولو بقينا عند مجمل الكتاب لكان لنا ان نقرأ في الصلاة غير الفاتحة جوازا لا مؤاخذة معه ، والواجب بوقته الزائل في مستقبله كصوم رمضان يجب في جزء من السنة ولا يجب في غيره .

(١) و «مباين بين محارمه» ، بالرفع لا بالجر خبر لمبتدأ محذوف اي: والكتاب قد فرق بين المحارم التي حظرها : كالنظرة بشهوة ونحوها .

وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ[1] .

منها في ذكر الحج

وَفرضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ[2] جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ : يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلَامِ عَلَماً ، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً ، فَرَضَ حَجَّهُ ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ[3] فَقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) .

---

(١) رجوع إلى تقسيم الكتاب ، والمقبول في أدناه الموسع في أقصاه كما في كفارة اليمين يقبل فيها إطعام عشرة مساكين وموسع في كسوتهم وعتق الرقبة.

(٢) يألهون اليه : أي يفزعون اليه او يلوذون به ويعكفون عليه [التشبيه بورود الانعام ناحيته الازدحام والحرص والشوق كحال الانعام عند ورودها الماء ثم لا يخفى التشبيه بوله الحمام إذ هي أشد الطير ولهاً وحنيناً] .

(٣) الوفادة : الزيارة [وفي كلام الامام تنويه بامكنة المطيعين عند الله] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعْدَ انصرافه من صفين[1]

[وفيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين]

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ. وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ؛ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ[2]، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ[3]، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا[4] نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا[5]، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمٰنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ[6]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ[7] وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ

---

(١) صفين كسجين: محلة عدها الجغرافيون من بلاد الجزيرة (ما بين الفرات والدجلة) والمؤرخون من العرب عدوها من أرض سوريا، وهي اليوم في ولاية حلب الشهباء. وهذه الولاية كانت من اعمال سوريا.

(٢) وأل يئل: خلص.

(٣) الضمير في « فانه » للحمد المفهوم من « أحمده » [وقد يكون الضمير عائداً لله].

(٤) مصاص كل شيء خالصه.

(٥) الأهاويل: جمع أهوال، وأهوال جمع هول، فهي جمع الجمع.

(٦) مدحرة الشيطان أي: تبعده وتطرده.

(٧) العلم – بالتحريك – ما يهتدى به، وهو هنا الشريعة الحقة، والمأثور: المنقول عنه. [والغرض بالدين المشهور التام الاركان المرسوم الطريق].

الصَّادِعِ ، إزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ [1] وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلاتِ [2] . وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ [3] وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ [4] وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ [5] وَتَشَتَّتَ الأَمْرُ ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ [6] فَالْهُدَى خَامِلٌ ، وَالْعَمَى شَامِلٌ . عُصِيَ الرَّحْمٰنُ ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ ، وَخُذِلَ الإِيمَانُ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ [7] ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ [8]

---

(١) [وإزاحة الشبهات أهم مقاصد الشارع] .

(٢) المثلات ، بفتح فضم : العقوبات ، جمع مثلة — بضم الثاء وسكونها بعد الميم — وجمعها مثولات ومثلات ، وقد تسكن تاء الجمع تخفيفاً .

(٣) انجذم : انقطع .

(٤) السواري : جمع سارية ، العمود والدعامة [التي كانت تجمع الخلق أو التي تجمع الناس على فطرة واحدة ودين واحد] .

(٥) النجر بفتح النون وسكون الجيم : الأصل ، أي اختلفت الاصول فكل يرجع الى أصل يظنه مرجع حق ، وما هو من الحق في شيء .

(٦) مصادرهم في أوهامهم وأهوائهم مجهولة غير معلومة ، خفية غير ظاهرة فلا عن بينة يعتقدون ، ولا إلى غاية صالحة ينزعون .

(٧) انهارت : هوت وسقطت والدعائم : جمع دعامة ، وهي ما يستند اليه الشيء ويقوم عليه . ودعامة السقف ، مثلاً ما يرتفع عليه من الاعمدة [وأشار بخمول الهدى إلى عدم ظهوره بينهم] .

(٨) التنكر : التغير من حال تسر إلى حال تكره ، أي تبدلت علاماته وآثاره ، بما أعقب السوء وجلب المكروه .

وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ [١] وَعَفَتْ شُرُكُهُ . أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ [٢] بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لِوَاؤُهُ ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا [٣] وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا ، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ ، فِي خَيْرِ دَارٍ ، وَشَرِّ جِيرَانٍ [٤] نَوْمُهُمْ سُهُودٌ ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ ، وَجَاهِلُهَا مُكَرَّمٌ .

---

(١) درست ، كاندرست ، أي انطمست . والشرك قال بعضهم : جمع شراك ككتاب ، وهي الطريق ، والذي يفهم من القاموس انها بفتحات جوادّ الطريق أو ما لا يخفى عليك ولا يستجمع لك من الطرق ، اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، وعفت بمعنى درست .

(٢) المناهل جمع منهل ، وهو مورد الشاربة من النهر .

(٣) الاظلاف : جمع ظلف بالكسر للبقر والشاة وشبههما ، كالخف للبعير والقدم للانسان . . السنابك : جمع سنبك كقنفذ ، وهو طرف الحافر .

(٤) خير دار هي مكة المكرمة ، وشر الجيران عبدة الأوثان من قريش . [وقيل انها أرض الشام او العراق ، لما كان حادثاً بها من اهتمام أهلها بالقتال ، وقيل انها أرض الدنيا عامة ، وحين يكون المراد الشام او العراق أو الدنيا لا يراد بشرّ جيران عبدة الاوثان] . وقوله « نومهم سُهودٌ » كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة ، فهم في أحداث ابدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع . والعالم ملجم لأنه لو قال حقاً والجمهور على الباطل لانتاشوه ونهشوه ، والجاهل مكرم لأنه على شاكلة العامة مشايع لهم في أهوائهم : فمنزلته عندهم منزلة أوهامهم وعاداتهم ، وهي في المقام الاعلى من نفوسهم ، وهذه الاوصاف كلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ [او لتصوير غيرهم بعد البعثة] .

ومنها يعني آل النبي عليه الصلاة والسلام

مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ[1]، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ[2]، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ[3].

ومنها يعني قوماً آخرين[4]

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ[5]، لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً: هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ

---

(١) اللجأ – محركة – : الملاذ وما تلتجىء إليه كالوزر – محركة – ما تعتصم به.

(٢) العَيبة بالفتح الوعاء. والموئل المرجع أي أن حكمه وشرعه يرجع إليهم وهم حفاظ كتبه يحوونها كما تحوي الكهوف والغيران ما يكون فيها. والكتب القرآن، وجمعه لانه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب، ويزيد عليها ما خص الله به هذه الامة.

(٣) كنى بانحناء الظهر عن الضعف [في بدء الاسلام] وباقامته عن القوة. وبهم آمنه من الخوف الذي ترتعد منه الفرائص [التي هي جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة. وهذه صفات أهل البيت لكمال استعدادهم لاسرار الله وحكمته].

(٤) [يقال هم الخوارج أو هم المنافقون أو هم كل منابذ].

(٥) جعل ما فعلوا من القبائح كزرع زرعوه، وما سكنت إليه نفوسهم من الامهال واغترارهم بذلك بمنزلة السقي، فان الغرور يبعث على مداومة القبيح والزيادة فيه، ثم كانت عاقبة امرهم هذا الثبور، وهو الهلاك.

الْيَقِينِ. إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي [1] وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمِ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ؛ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ [2] وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ!

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشِّقْشِقِيَّةِ [3]

[وتشمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له]

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ [4] وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ [5] وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ؛

---

(١) يريد ان سيرتهم صراط الدين المستقيم، فمن غلا في دينه وتجاوز بالافراط حدود الجادة فإنما نجاته بالرجوع إلى سيرة آل النبي وتفيؤ ظلال أعلامهم. وقوله «وبهم يلحق التالي» يقصد به أن المقصر في عمله المتباطىء في سيره الذي أصبح وقد سبقه السابقون إنما يتسنى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبي ويحذو حذوهم [والامام يريد بهذا خصومه الذين حاربوه على حقه وباطلهم].

(٢) الآن ظرف متعلق برجع [وفي بعض النسخ قد رجع] و إذ زائدة للتوكيد، سوغ ذلك ابن هشام في نقله عن أبي عبيدة أو أن إذ للتحقيق بمعنى قد، كما نقله بعض النحاة [ويريد: الآن وقت رجوعها اليه بعد انتقالها عنه].

(٣) لقوله فيها: «إنها شقشقة هدرت ثم قرت» كما يأتي [وتعرف كذلك بالمقمصة لقوله لقد تقمصها فلان].

(٤) الضمير يرجع إلى الخلافة، وفلان كناية عن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه [وتقمصها أي لبسها كالقميص].

(٥) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي، وأن ما يصل الى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله. وعلى ذلك قوله «ولا يرقى الخ»، غير أن الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة [لأنه علوٌّ أكثر من ذاك].

فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً[1] ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً . وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[2] أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ[3] يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ[4] .

ترجيح الصبر

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى[5] فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى ، وَفِي الْحَلْقِ شَجاً[6] أَرَى تُرَاثِي نَهْباً ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ،

---

(١) فسدلت الخ : كناية عن غض نظره عنها ، وسدل الثوب : أرخاه . وطوى عنها كشحاً : مال عنها ، وهو مثل ؛ لأن من جاع فقد طوى كشحه ، ومن شبع فقد ملأه . فهو قد جاع عن الخلافة ، أي : لم يلتقمها .

(٢) وطفقت الخ : بيان لعلة الاغضاء ، والجذاء بالجيم والذال المعجمة وبالحاء المهملة والدال المهملة ايضاً بدلاً من الجيم والذال المعجمتين : بمعنى المقطوعة . ويقولون: رحم جذاء ، أي : لم توصل ، ومن جذاء أي متهتمة . والمراد هنا ليس ما يؤيدها . كأنه قال : تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً .

(٣) طخية - بطاء فخاء بعدها ياء ، ويثلث أولها - أي : ظلمة ، ونسبة العمى اليها مجاز عقلي ، وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق ، وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها [إذ لا فائدة من الأقدام ولا خير للناس من وراء الاحجام]

(٤) يكدح : يسعى سعي المجهود .

(٥) أحجى : ألزم ، من حجي به كرضي : أولع به ولزمه . ومنه هو حجٍ بكذا أي : جدير ، وما أحجاه وأحج به ، أي : أخلق به ، وأصله من الحجا بمعنى العقل فهي أحجى أي أقرب إلى العقل ، وهاتا بمعنى هذه [وهي لغة في هاتي وهذي وهذه] ، أي : رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير .

(٦) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه [والجملتان كنايتان عن شدة ما أضمره من التأذي] . والتراث : الميراث .

فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ (١) (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى) .

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا   وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ (٢)

فَيَاعَجَبَاً !! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ (٣) إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ــ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا (٤) ! ــ فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ

---

(١) أدلى بها : ألقى بها إليه [وفلان كناية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

(٢) الكور بالضم : الرحل أو هو مع أداته ، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل في قوله :

وقد أسلي الهم إذ يعتري   بجسرة دوسرة عاقر

والجسرة : العظيم من الابل ، والدوسرة : الناقة الضخمة . وحيان كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم ، وكان ذا حظوة عند ملوك فارس ، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة [وكان يصله كسرى بما يجعله مصوناً من وعثاء السفر] وكان الأعشى ينادمه ، والأعشى هذا : هو الأعشى الكبير أعشى قيس ، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل وأول القصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر   الناقض الأوتار والواتر

وجابر : اخو حيان أصغر منه [وقد لام حيان الشاعرَ على تعريفه بأخيه الذي هو اصغر منه وأقل جاهاً] ومعنى البيت أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته ، فان الاول كثير العناء شديد الشقاء ، وافر النعيم وافي الراحة . [ويشبه امير المؤمنين حاله في الخلافة بالاول الذي هو كثير العناء شديد الشقاء حين جاءته اخيراً] .

(٣) رووا أن أبا بكر قال بعد البيعة «أقيلوني فلست بخيركم» ، وأنكر الجمهور [من أهل السنة] هذه الرواية عنه ، والمعروف عنه [عندهم] « وليتكم ولست بخيركم »

(٤) لشد ما تشطرا ضرعيها : جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين فالفاء في فسيرها عطف على عقدها . وتشطر مسند إلى ضمير التثنية . وضرعيها تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدي للمرأة . قالوا : إن للناقة في ضرعها شطرين ، كل خلفين شطر . ويقال : شطر بناقته تشطيرا ، صر خلفيها وترك خلفين . والشطر ايضاً أن تحلب شطراً وتترك شطراً ، فتشطرا أي أخذ كل منهما شطراً . وسمي شطري

يَغْلُظُ كُلامُهَا[1] ، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْاِعْتِذَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[2] إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ[3] وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ، فَيَالله وَلِلشُّورَى[4] !

الضرع ضرعين مجازا : وهو ههنا من ابلغ أنواعه حيث إن من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلا تاماً، ولا يجوز ان يترك منه لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطر والاقتسام ، كأن احدهما ترك منه شيئاً للآخر ، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل [واللام في لشد للتوكيد وما تشطرا ، ما والفعل في تقدير مصدر هو فاعل شد والجملة للتعجب]

(١) الكلام - بالضم - الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها. وإنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول : خشونتها تجرح جرحاً غليظاً

(٢) الصعبة من الابل : ما ليست بذلول ، وأشنق البعير وشنقه : كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتيء خلف الأذن) بقادمة الرحل ، أو رفع رأسه وهو راكبه ، واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس . وأسلس : أرخى، وتقحم: رمى بنفسه في الفحمة ، أي: الهلكة وسيأتي معنى هذه العبارة في الكتاب. وراكب الصعبة إما أن يشنقها فيخرم أنفها ، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته [والضمير في قوله فصاحبها راجع للخلافة] .

(٣) مني الناس : ابتلوا وأصيبوا ، والشماس - بالكسر - إباء ظهر الفرس عن الركوب، والنفار والخبط :السير على غير جادة. والتلون: التبدل. والاعتراض: السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولا يقال : بعير عرضي،يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته ،وفي فلان عرضية ، أي. عجرفة وصعوبة

(٤) إجمال القصة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره الى ربه استشار فيمن يوليه الخلافة من بعده فأشير عليه بابنه عبدالله فقال : لا يليها (اي الخلافة) اثنان من ولد الخطاب ، حسب عمر ما حمل ! ثم رأى ان يكل الامر الى رأي ستة قال : إن النبي ﷺ مات وهو راض عنهم واليهم بعد التشاور

ان يعينوا واحداً منهم يقوم بأمر المسلمين ، والستة رجال الشورى هم : علي بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن ابي وقاص ، رضي الله عنهم . وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة ، وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أخواله لان امه حمنة بنت سفيان بن امية بن عبد شمس ، ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور . وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان ؛ لأن زوجته ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط كانت اختاً لعثمان من امه ، وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلات بينهما ، على ما ذكره بعض رواة الاثر . وقد يكفي في ميله الى عثمان انحرافه عن علي لانه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في ابي بكر ، وبعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا ، وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان ، والزبير إلى علي ، وسعد الى عبد الرحمن . وكان عمر قد اوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة ايام ، وان لا يأتي الرابع إلا ولهم امير وقال : إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن . فأقبل عبد الرحمن على علي وقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده . فقال علي : ارجو ان افعل واعمل على مبلغ علمي وطاقتي ؛ ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك ، فأجابه بنعم . فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال : اللهم اسمع واشهد . اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان ، وصفق بيده في يد عثمان . وقال : السلام عليك يا امير المؤمنين وبايعه . قالوا : وخرج الامام علي واجداً ، فقال المقداد بن الاسود لعبد الرحمن والله لقد تركت علياً وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون . فقال : يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين . فقال المقداد : والله إني لاعجب من قريش ، إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا اعلم ان رجلاً اقضى بالحق ولا اعلم به منه . فقال عبد الرحمن : يا مقداد ، إني اخشى عليك الفتنة فاتق الله . ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الاحداث من اقاربه على ولاية الامصار ووجد عليه كبار الصحابة روي انه قيل لعبد الرحمن : هذا عمل يديك ، فقال : ما كنت اظن هذا به ! ولكن لله علي ان لا اكلمه ابداً ، ثم مات عبد الرحمن

النَّظَائِرِ [١] !! لٰكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا [٢] وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا ؛ فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ [٣] وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ [٤] مَعَ هَنٍ وَهَنٍ [٥] إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حُضْنَيْهِ [٦] بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ [٧] إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ [٨] وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ [٩] .

وهو مهاجر لعثمان ، حتى قيل : إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحـول الى الحائط لا يكلمه ! والله اعلم ، والحكم لله يفعل ما يشاء .

(١) المشابه بعضهم بعضاً دونه .

(٢) أسف الطائر : دنا من الأرض ، يريد انه لم يخالفهم في شيء

(٣) صغى صغياً وصغا صغواً : مال والضغن الضغينة يشير إلى سعد .

(٤) يشير [بالآخر] إلى عبد الرحمن [وبصهره إلى عثمان بن عفان] .

(٥) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها

(٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحـــة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه في خبر القضية . ونافجاً حضنيه : رافعاً لهما، والحضن : ما بين الابط والكشح . يقال للمتكبر : جاء نافجاً حضنيه . ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً والنثيل : الروث . والمعتلف من مادة علف : موضع العلف وهو معروف ، أي لا هم له إلا ما ذكر

(٧) الخضم ، على ما في القاموس : الأكل مطلقاً ، أو بأقصى الاضراس ، أو ملء الفم بالمأكول ، أو خاص بالشيء الرطب . والقضم : الأكل بأطراف الاسنان أخف من الخضم . والنبتة ـ بكسر النون ـ كالنبات في معناه [ويريد بمال الله بيت مال المسلمين]

(٨) انتكث [عليه] فتله : انتقض . وأجهز عليه عمله : تمم قتله ، تقول : أجهزت على الجريح ، وذففت عليه

(٩) البطنة ـ بالكسر ـ البطر والأشر والكظة (أي : التخمة والأسراف في الشبع) ، وكبت به من كبا الجواد إذا سقط لوجهه [ونسبـة الكبو إلى البطنة استعارة دقيقة] .

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ [1] يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ [2] فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ [3] كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا [4]، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ [5] وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ [6] لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ [7] وَقِيَامُ

(١) عرف الضبع : ما كثر على عنقها من الشعر ، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام [والعرب تسمي الضبع عُرْفاً لعظم عرفها] وينثالون : يتتابعون مزدحمين، والحسنان : ولداه الحسن والحسين، وشق عطفاه : خدش جانباه من الاصطكاك . وفي رواية «شق عطافي» والعطاف الرداء . وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة [وقيل الحسنان الابهامـان والعطاف الذيل وقد وطئهـا الناس منه عند البيعة له] .

(٢) ربيضة الغنم : الطائفة الرابضة من الغنم ، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه [أو قلة نظامهم حين مبايعته] .

(٣) الناكثة : أصحاب الجمل [وطلحة والزبير خاصة] ، والمارقة : أصحاب النهروان [وهم الخوارج] . والقاسطون - أي الجائرون - اصحاب صفين [والمروق الخروج بالمبالغة والقسط الفسق والخروج بالمخالفة] .

(٤) [والآية تنصب على الطوائف الثلاث] .

(٥) حليت الدنيا : من حليت المرأة إذا تزينت بحليها . والزبرج : الزينة من وشي او جوهر .

(٦) النسمة - محركة - الروح [وهي في البشر أرجح] ، وبرأها : خلقها .

(٧) من حضر لبيعته ، ولزوم البيعة لذمة الامام بحضوره .

الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ [١]، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا [٢]، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ [٣].

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد [٤] عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً [قيل إن فيه مسائل كان يريد الاجابة عنها]، فأقبل ينظر فيه [فلما فرغ من قراءته]، قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو اطَّردتْ مقالتُك من حيث أفضيت.

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ [٥] هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.

---

(١) والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة، والكظة: ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد استئثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

(٢) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

(٣) عفطة العنز: ما تنثره من انفها، تقول: عفطت تعفط من باب ضرب، غير ان اكثر ما يستعمل ذلك في النعجة. والأشهر في العنز النفطة بالنون. يقال: ما له عافط ولا نافط، أي: نعجة ولا عنز. كما يقال: ما له ثاغية ولا راغية. والعفطة الحبقة ايضاً، لكن الاليق بكلام امير المؤمنين هو ما تقدم.

(٤) السواد: العراق وسمي سواداً لخضرته بالزرع والاشجار، والعرب تسمي الاخضر اسود. قال الله تعالى «مدهامتان» يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

(٥) الشقشقة — بكسر فسكون فكسر — شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة الى الآلة، قال في القاموس: والخطبة الشقشقية العلوية، وهي هذه. [واسمها المقمّصة ايضاً]

قال ابن عباس : فوالله ماأسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام الّا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد

•

قال الشريف رضي الله عنه : قوله « كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها ، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ، يقال : أشنق الناقة ، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشنقها أيضاً ، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق : وإنما قال : « أشنق لها » ولم يقل « أشنقها » لأنه جعله في مقابلة قوله « أسلس لها » فكأنه عليه السلام قال : إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهي من أفصح كلامه عليه السلام وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم]
[ويقال انه خطبها بعد قتل طلحة والزبير]

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ[1] ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ

(١) تسنمتم العلياء : ركبتم سنامها وارتقيتم الى اعلاها ، والسرار – كسحاب وكتاب – آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر [اوآخر ليلتين فيه] . وانفجرتم : دخلتم في الفجر ، والمراد كنتم في ظلام حالك ، وهو ظلام الشرك والضلال . فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا ، والضمير لمحمد ﷺ ، والامام ابن عمه ونصيره في دعوته [أوهو للرسول وآله ، والخطاب لحاضري الوقت من قريش المخالفين للامام] ويروى « أفجرتم » بدل « انفجرتم » وهو افصح وأوضح ، لأن انفعل لا يأتي لغير المطاوعة إلا نادراً ، أما افعل فيأتي لصيرورة الشيء إلى حال لم يكن عليها ، كقولهم : أجرب الرجل : إذا صارت إبله جربي وأمثاله كثير .

عَنِ السِّرَارِ. وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ[1] وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ[2]. رَبَطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ[3] مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ[4] سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ[5] وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ[6] حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ،

---

(١) الواعية : الصاخة والصارخة والصراخ نفسه ، والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة الاثر ، ووقرت اذنه فهي موقورة ، ووقرت كسمعت : صمت ، دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر .

(٢) الصيحة هنا : الصوت الشديد ، والنبأة : اراد منها الصوت الخفي ، اي من أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكن ان يسمع النبأة فيراعيها ، ويشير بالصيحة الى زواجر كتاب الله ومقال رسوله . وبالنبأة الى ما يكون منه رضى الله عنه . وقد رأينا هذا اقرب مما اشرنا اليه في الطبعة السابقة .

(٣) ربط جأشه رباطة بكسر الراء : اشتد قلبه ، ومثله رباطة الجنان ، اي : القلب ، وهو دعاء للقلب الذي لازمه الخفقان والاضطراب خوفاً من الله بأن يثبت ويستمسك .

(٤) ينتظر بهم الغدر : يترقب غدرهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة وأنهم لا يميزون بين الحق والباطل ، ولهذا لا يبعد ان يجهلوا قدره فيتركوه الى من ليس من الحق على مثل حاله ، والحلية هنا : الصفة .

(٥) جلباب الدين : ما لبسوه من رسومه الظاهرة ، أي : ان الذي عصمكم مني هو ما ظهرتم به من الدين ،وإن كان صدق نيتي قد يصرني ببواطن احوالكم وما تكنه صدوركم ، وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته إلى سرائر النفوس فتستخرجها.

(٦) المضلة ــ بكسر الضاد وفتحها ــ الأرض يضل سالكها ، وللضلال طرق كثيرة ؛ لأن كل ما جاز عن الحق فهو باطل وللحق طريق واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال ؛ لهذا قال : أقمت لكم على سنن الحق ، وهو طريقه الواضح فيما بين جواد المضلة وطرقها المتشعبة حيث يلاقي بعضكم بعضاً وكلكم تائهون فلا فائدة من التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل .

وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ (١) اَلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ (٢) غَرَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي (٣) مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ (٤): أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلَالِ. اَلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ (٥).

---

(١) تميهون: تجدون ماء، من أماهوا أركيتهم: أنبطوا ماءها، او تستقون، من أماهوا دوابهم: سقوها.

(٢) أراد من العجماء رموزه وإشاراته، فانها وإن كانت غامضة على من لا بصيرة لهم لكنها جلية ظاهرة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد؛ لهذا سماها ذات البيان مع انها عجماء [مشبهة بالحيوان إذ لا نطق لها في الحقيقة ومع ذلك يستفيد الناظر فيها فهي ذات بيان عند الاعتبار بها].

(٣) غرب: غاب، أي لا رأي لمن تخلف عني ولم يطعني [وهو كلام في معرض التوبيخ. وقد بين امير المؤمنين عليه السلام بالكلام التالي اسباب وجوب اتباعه].

(٤) يتأسى بموسى عليه السلام؛ إذ رموه بالخيفة، ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون؛ فانه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل، كما كان من نبي الله موسى، وهو احسن تفسير لقوله تعالى: (فأوجس في نفسه خيفة موسى) وافضل تبرئة لنبي الله من الشك في امره [كما ان البلاغة في ضرب المثل بموسى انه قوبل بالسحر وهو ابطل الباطل وما قوبل به امير المؤمنين يشبه السحر].

(٥) [والتوافق المقابلة والتلاقي اي انهما تقابلا وتلاقيا، هو على الحق وهم على الباطل. وقوله من وثق بماء لم يظمأ نبّه به على وجوب الثقة بما عنده].

ومن خطبة له عليه السلام

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان ابن حرب في ان يبايعا له بالخلافة [وذلك بعد ان تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة وفيها ينهى عن الفتنة ويبين عن خلقه وعلمه]

النهي عن الفتنة

أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ[1] أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ[2]. هٰذَا مَاءٌ آجِنٌ[3] وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا.

---

(١) قلب قصد به المبالغة، والقصد ضعوا تيجان المفاخرة عن رؤوسكم. وكأنه يقول: طأطئوا رؤوسكم تواضعاً، ولا ترفعوها بالمفاخرة الى حيث تصيبها تيجانها. ويروي: «وضعوا تيجان المفاخرة» بدون لفظ «عن» وهو ظاهر. وعرج عن الطريق: مال عنه وتنكبه.

(٢) المفلح احد رجلين: إما ناهض للأمر بجناح، اي بناصر ومعين يصل بمعونته إلى ما نهض اليه، وإما مستسلم يريح الناس من المنازعة بلا طائل، وذلك عند عدم الناصر. وهذا ينحو نحو قول عنترة لما قيل له: إنك اشجع العرب، فقال: لست بأشجعهم، ولكني اقدم إذا كان الاقدام عزما، واحجم إذا كان الاحجام حزما.

(٣) الآجن: المتغير الطعم واللون لا يستساغ، والاشارة إلى الخلافة، اي: ان الامرة على الناس والولاية على شؤونهم مما لا يهنأ لصاحبه، بل ذلك امر يشبه تناوله تناول الماء الآجن، ولا تحمد عواقبه: كاللقمة يغص بها آكلها فيموت بها.

وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ (١).

خلقه وعلمه

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ (٢) هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي (٣) وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ (٤).

---

(١) يشير الى ان ذلك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الامر، فلونهض اليه كان كمجتني الثمرة قبل إيناعها ونضجها، وهو لا ينتفع بما جنى، كما ان الزارع في غير ارضه لا ينتفع بما زرع.

(٢) إن تكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده بالحرص على السلطان، وإن سكت – وهم يعلمونه اهلاً للخلافة – يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقه.

(٣) اي: بعد ظن من يرميني بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها، قيل: إن رجلاً تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقي بعشرتها، ثم طلقها وتزوج باخرى طويلة، فكان شقاؤه بها اشد، فطلقها، وقال: لا اتزوج بعد اللتيا والتي، يشير بالاولى إلى الصغيرة وبالثانية إلى الكبيرة، فصارت مثلاً في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها. وقوله «هيهات الخ»: نفي لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته.

(٤) ادمجه: لفه في ثوب، فاندمج، اي: انطويت على علم والتفت عليه، والأرشية: جمع رشاء بمعنى الحبل. والطوى: جمع طوية، وهي البئر. والبعيدة بمعنى العميقة، او هي بفتح الطاء كعلي بمعنى السقاء: ويكون البعيدة نعتاً سببياً، اي: البعيدة مقرها من البئر: او نسبة البعد اليها في العبارة مجاز عقلي [والعلم الذي انطوى عليه هو علمه – عليه السلام – بنتائج الامور وعواقبها].

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما اشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال [1]

[وفيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لايخدع]

وَاللهِ لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ : تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ [2]، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا [3]، وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ وَجْهَ الْمُدْبِرِ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً [4]، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[يذم فيها اتباع الشيطان]

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلاَكاً [5] وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً،

---

(١) يرصد : يترقب، او هو رباعي من الارصاد بمعنى الاعداد، اي : ولا يعد لهما القتال.

(٢) اللدم : الضرب بشيء ثقيل يسمع صوته : قال ابو عبيد : يأتي صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضرباً غير شديد، وذلك هو اللدم، ثم يقول : خامري ام عامر، بصوت ضعيف، يكررها مراراً، فتنام الضبع على ذلك، فيجعل في عرقوبها حبلاً ويجرها فيخرجها، وخامري اي : استتري في جحرك. ويقال : خامر الرجل منزله، اذا لزمه.

(٣) [الختل الخديعة]

(٤) [في الكلام مقابلة لطيفة فالمطيع في مقابل العاصي والمريب في مقابل السامع ولا يخفى السر في قوله عليه السلام وجه المدبر عنه لئلا يكون الضرب غدرا]

(٥) ملاك الشيء — بالفتح، ويكسر — قوامه الذي يملك به، والاشراك : جمع شريك كشريف واشراف، فجعلهم شركاءه، او جمع شرك، وهو ما يصاد به، فكأنهم آلة الشيطان في الاضلال

فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ[1] وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ[2] فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ[3] فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك ويدعوه للدخول في البيعة ثانية]

يَزْعُمُ أَنَّهُ بَايَعَ بِيَدِهِ ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ[4] فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ[5] ؛ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في صفته وصفة خصومه ويقال إنها في اصحاب الجمل]

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هٰذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ ؛

---

(١) باض وفرخ : كناية عن توطنه صدورهم وطول مكثه فيها ؛ لأن الطائر لا يبيض إلا في عشه ، وفراخ الشيطان : وساوسه

(٢) دب ودرج الخ : اي انه تربى في حجورهم كما يربى الطفل في حجر والديه حتى يبلغ فتوته ويملك قوته [ولشدة امتزاج الشيطان بهم صار ينظر بأعينهم وينطق بألسنتهم كأنما صاروا معه شيئاً واحداً]

(٣) الخطل : اقبح الخطأ . والزلل : الغلط والخطأ [وشَرِكَه كعَلِمَه اي صار شريكاً له]

(٤) الوليجة : الدخيلة [في الأمر] ، وما يضمر في القلب ويكتم ، والبطانة [يريد ان الزبير بعد ان بايع ادعى انه كان يضمر الا يبايع ، فهي غير لازمة له]

(٥) [فليأت عليها بأمر يُعرَف : اي ليأت على فساد البيعة بدليل واضح]

وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ [1] وَلَا نَسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يريد الشيطان او يكني به عن قوم]

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجْلَهُ ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي [2] : مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ . وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ ! [3] لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ [4] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لابنه محمد بن الحنفية [5] لما أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ ! [6] عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ [7] . أَعِرِ اللهَ

---

(١) وإذا اوقعنا بعدو اوعدنا آخر بان يصيبه ما اصاب سابقه ، وإذا امطرنا اسلنا [اي اننا نجري الأمور على حقائقها]، اما اولئك الذين يقولون نفعل ونفعل وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر ، وهو محال غير موجود ، فهم كالعدم فيما به يوعدون [والفشل الجبن والخَوَر وهو تصوير حسن، لأن الغالب من الجبناء الجلبة والضوضاء ومن الشجعان الصمت والعمل]

(٢) افرطه : ملأه حتى فاض ، والماتح : من متح الماء ، اي : نزعه ، اي : انا نازع ماءه من البئر فمالىء به الحوض، وهو حوض البلاء والفناء ، او انا اسقيهم منه.

(٣) [اي بصيرتي معي مذ كنت بصيراً لم تتغير]

(٤) اي : انهم سيردون الحرب فيموتون عندها ، ولا يصدرون عنها ، ومن نجا منهم [بالفرار] فلن يعود اليها [وافرُطه بضم الهمزة اي املأه وانا ماتحه، اي انا خبير به، ويريد عليه السلام انه يملأ لهم حياض الحرب التي هو عليم بها]

(٥) [محمد بن الحنفية هو محمد بن علي وامه امرأة من بني حنيفة وقد قيل له كذلك ليعرف من اولاد فاطمة الزهراء عليهم السلام وأخباره مشهورة] .

(٦) [تزول الجبال، قيل هو خبر فيه معنى الشرط، والمبالغة في النهي ظاهرة لأن الجبال لا تزول]

(٧) النواجذ : أقصى الاضراس ، او كلها ، او الانياب ، والناجذ واحدها ،

جُمْجُمَتَكَ. تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ [١]. ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ [٢] وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا [٣]؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ [٤] وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم أهل البصرة [بعد وقعة الجمل]

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ [٥]: رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ

قيل: إذا عض الرجل على اسنانه اشتدت اعصاب رأسه وعظامه، ولهذا يوصى به عند الشدة ليقوى، والصحيح ان ذلك كناية عن الحمية؛ فان من عادة الانسان إذا حمي واشتد غيظه على عدوه عض على اسنانه. وأعر: امر من اعار، اي: ابذل جمجمتك لله تعالى، كما يبذل المعير ماله للمستعير.

(١) أي: ثبتها، من وتد يتد [وقد نبهنا من قبل على ان الامام عليه السلام استعمل الثلاثي من وتد].

(٢) ارم ببصرك الخ، اي: احط بجميع حركاتهم، وغض النظر عما يخيفك منهم، اي: لا يهولنك منهم هائل [وليس بين الأمر برمي البصر وغضه تناقض إذ الرمي يراد به الاحاطة بهم، والغض يراد به الاستهتار ببريق السيوف وادوات القتال].

(٣) هو اخيك: اي ميله ومحبته.

(٤) يرعف بهم؛ اي: سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالرعاف: يأتي بهم على غير انتظار [وفيه تشبيه الزمان بالانسان].

(٥) يريد [بالبهيمة] الجمل. ومجمل القصة ان طلحة والزبير بعد ما بايعا امير

فَهَرَبْتُمْ. أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ[1] وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ[2] وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ[3] قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا.

وفي رواية: وَأَيْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ[4].

المؤمنين فارقاه في المدينة وأتيا مكة مغاضبين، فالتقيا بعائشة زوج النبي ﷺ، فسألتها الاخبار، فقالا: إنا تحملنا هربا من غوغاء العرب بالمدينة، وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً، ولا ينكرون باطلاً، ولا يمنعون انفسهم. فقالت: ننهض الى هذه الغوغاء او نأتي الشام؟ فقال احد الحاضرين: لا حاجة لكم في الشام قد كفاكم امرها معاوية فلنأت البصرة، فان لأهلها هوى مع طلحة، فعزموا على المسير، وجهزهم يعلى بن منبه، وكان والياً لعثمان على اليمن وعزله علي كرم الله وجهه، واعطى للسيدة عائشة جملاً اسمه عسكر، ونادى مناديها في الناس بطلب ثار عثمان، فاجتمع نحو ثلاثة آلاف، فسارت فيهم الى البصرة، وبلغ الخبر علياً فأوسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة، فلم ينجح النصح، فتجهز لهم وادركهم بالبصرة، وبعد محاولات كثيرة منه يبغي بها حقن الدماء نشبت الحرب بين الفريقين واشتد القتال، وكان الجمل يعسوب البصريين: قتل دونه خلق كثير من الفئتين، واخذ خطامه سبعون قرشياً [من بني ضبّة] ما نجا منهم احد. وانتهت الموقعة بنصر علي كرم الله وجهه بعد عقر الجمل، وفيها قتل طلحة والزبير، وقتل سبعة عشر الفاً من اصحاب الجمل، وكانوا ثلاثين الفاً، وقتل من اصحاب علي الف وسبعون.

(١) دقة الاخلاق: دناءتها.

(٢) مالح [وإنما ذمهم بملوحة مائهم لسوء اختيارهم لمكانها].

(٣) الجؤجؤ: الصدر.

(٤) من «جثم» اذا وقع على صدره، او تلبد بالأرض. وقد وقع ما اوعد به

وفي رواية: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

وفي رواية اخرى: بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ ٱللهِ تُرْبَةً [1]: أَقْرَبُهَا مِنَ ٱلْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ [2]، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ [3]، الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ، وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ ٱللهِ [4] كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شَرَفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ [5].

ومن كلام له عليه السلام

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ [6]، وَأُكْلَةٌ لآكِلٍ،

امير المؤمنين، فقد غرقت البصرة: جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع. ومعنى قوله «ابعدها من السماء»: انها في ارض منخفضة، والمنخفض ابعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع.

(١) [وذلك لكثرة ركوب الماء لها وتعفنها به].

(٢) [وقربها من الماء اشارة الى هبوط مكانها وبعدها من السماء اي من الرحمة].

(٣) [ليس هذا العدد على سبيل الحصر وإنما هو للمبالغة].

(٤) [المحتبس فيها مرتهن بذنبه لانخراطه في سلك اهلها وانفعاله باخلاقهم وطباعهم، والخارج بعفو الله ليسلم من الذنوب، وكل ذلك في معرض التنفير منهم].

(٥) [وشرف المسجد اعلى مكان فيه].

(٦) [خفة العقول اشارة الى ضعفها عن التدبير والتسرع الى ما لا ينبغي].

الغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام. والنابل: الضارب بالنبل [وروي بعده: وفريسة لصائد].

وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه (١)

وَٱللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ ، وَمُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً . وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ (٢) .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما بويع في المدينة [وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول اليه احوالهم وفيها يقسمهم الى اقسام]

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ (٣) وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ (٤) حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ

---

(١) قطائع عثمان : ما منحه للناس من الاراضي [وكان الأصل فيها ان تنفق غلتها على ابناء السبيل واشباههم كقطائعه لمعاوية ومروان] .

(٢) اي : ان من عجز عن تدبير امره بالعدل فهو عـــن التدبير بالجور اشد عجزاً ؛ فان الجور مظنة ان يقاوم ويصد عنه . وهذه الخطبة رواها الكلبي مرفوعة الى ابي صالح عن ابن عباس ان علياً خطب ثاني يوم من بيعته في المدينة فقال : الا إن كل قطيعة اقطعها عثمان ، وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال،فان الحق القديم لا يبطله شيء،ولو وجدته قد تزوج الخ [فالضمير في وجدته يرجع الى المال] .

(٣) الذمة : العهد ، تقول : هذا الحق في ذمتي ، كما تقول في عنقي ، وذلك كناية عن الضمان والالتزام . والزعيم : الكفيل ، يريد انه ضامن لصدق ما يقول، كفيل بانه الحق الذي لا يدافع .

(٤) العبر – بكسر ففتح – جمع عبرة بمعنى الموعظة ، والمثلات : العقوبات ،

الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ ٱللهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١) وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ(٢) حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا(٣) وَٱللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً(٤) وَلَا

اي : من كشف له النظر في احوال من سبق بين يديه وحقق له الاعتبار والاتعاظ ان العقوبات التي نزلت بالأمم والاجيال والافراد من ضعف وذل وفاقة وسوء حال إنما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان وما لبسوا من جهل وفساد احوال . ماكنته التقوى وهي التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لاهلها فمنعته عن تقحم الشبهات والتردي فيها ؛ فان الشبهة مظنة الخطيئة ، والخطيئة مجلبة العقوبة .

(١) إن بلية العرب التي كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمداً ﷺ هي بلية الفرقة ، ومحنة الشتات : حيث كانوا متباغضين متنافرين ، يدعو كل إلى عصبيته ، وينادي نداء عشيرته ، يضرب بعضهم رقاب بعض ، فتلك الحالة التي هي مهلكة الامم قد صاروا اليها بعد مقتل عثمان : بعثت العداوات التي كان قد قتلها الدين ، ونفخت روح الشحناء بين الامويين والهاشميين واتباع كل ؛ ولاحول ولا قوة إلا بالله.

(٢) « لتبلبلن » اي : لتخلطن من نحـو « تبلبلت الالسن » اختلطت ، « ولتغربلن » اي : لتقطعن من : غربلت اللحم ، اي : قطعته و « لتساطن » من السوط ، وهو ان تجعل شيئين في الاناء وتضربهما بيدك حتى يختلطا . وقوله « سوط القدر » اي : كما تختلط الابزار ونحوها في القدر عند غليانه فينقلب اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ، وكل ذلك حكاية عما يؤلون اليه من الاختلاف وتقطع الارحام وفساد النظام .

(٣) ولقد سبق معاوية إلى مقام الخلافة وقد كان في قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله اليه ، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه وقد كانوا اسبق الناس اليه .

(٤) الوشمة : الكلمة ، وقد كان رضي الله عنه لايكتم شيئاً يحوك بنفسه : كان أماراً بالمعروف ، نهاء عن المنكر ، لا يحابي ، ولا يداري ولا يكذب ، ولايداجي

كَذَبْتُ كِذْبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا الْمَقَامِ وَهٰذَا الْيَوْمِ . أَلا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا ، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ[1] أَلا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ[2] فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ[3] !

وهذا القسم توطئة لقوله : ولقد نبئت بهذا المقام ؛ اي : انه قد اخبر من قبل على لسان النبي ﷺ بان سيقوم هذا المقام ويأتي عليه يوم مثل هذا اليوم .

(١) الشمس – بضمتين وبضم فسكون – جمع شموس وهي من « شمس » كنصر اي منع ظهره ان يركب ، وفاعل الخطيئة إنما يقترفها لغاية زينت له يطلب الوصول اليها ، فهو شبيه براكب فرس يجري به إلى غايته ، لكن الخطايا ليست إلى الغايات بمطايا ؛ فانها اعتساف عن السبيل واختباط في السير ، لهذا شبهها بالخيل الشمس التي قد خلعت لجمها ؛ لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة افلتت منه إلى حيث ترديه وتتقحم به في النار . وتشبيه التقوى بالمطايا الذلل ظاهر ؛ فان التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة ، فصاحبها على الجادة لا يزال عليها حتى يوافي الغاية . والذلل : جمع ذلول ، وهي المروضة الطائعة السلسة القياد .

(٢) اي : ان ما يمكن ان يكون عليه الانسان ينحصر في امرين : الحق ، والباطل ، ولا يخلو العالم منهما . ولكل من الأمرين اهل : فللحق اقوام ، وللباطل اقوام ، ولئن امر الباطل – اي : كثر بكثرة اعوانه – فلقد كان منه قديماً لأن البصائر الزائغة عن الحقيقة اكثر من الثابتة عليها . ولئن كان الحق قليلاً بقلة انصاره فلربما غلبت قلته كثرة الباطل ، ولعله يقهر الباطل ويمحقه .

(٣) هذه الكلمة صادرة من ضجر نفسه يستبعد بها ان تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم . ومن هذا المعنى قول الشاعر :

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما ذوى نبت جنبيه وجف المشارع
فقلت : إلى ان يرجع النهر جارياً ويعشب جنباه تموت الضفادع

قال السيد الشريف: أَقُولُ: إِنَّ في هٰذَا الْكَلامِ الْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الِاسْتِحْسَانِ، وَإِنَّ حَظَّ الْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ الْعَجَبِ بِهِ، وَفِيهِ ــ مَعَ الْحَالِ الَّتِي وَصَفْنَا ــ زَوَائِدُ مِنَ الْفَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ وَلَا يَطَّلِعُ فَجَّهَا إِنْسَانٌ[1]، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هٰذِهِ الصِّنَاعَةِ بِحَقٍّ، وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ[2]. «وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ».

ومن هذه الخطبة [وفيها يقسم الناس الى ثلاثة]

شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ[3] سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا[4]، وَطَالِبٌ

(١) «لا يطلع» من قولهم: اطلع الارض، اي: بلغها، والفج: الطريق الواسع بين جبلين في قبل من احدهما.

(٢) العرق: الاصل، اي: سلك في العمل بصناعة الفصاحة والصدور عن ملكتها على اصولها وقواعدها.

(٣) «شغل» مبني للمجهول نائب فاعله مَن، والجنة والنار مبتدأ خبره امامه، والجملة صلة مَن، اي: كفى شاغلا ان تكون الجنة والنار امامك ومن كانت امامه الجنة والنار ــ على ما وصف الله سبحانه ــ فحري به ان تنفد اوقاته جميعها في الاعداد للجنة والابتعاد عما عساه يؤدي الى النار.

(٤) يقسم الناس الى ثلاثة اقسام: الاول [الفائز بالسبق وهو]: الساعي الى ما عند الله السريع في سعيه، وهو الواقف عند حدود الشريعة لا يشغله فرضها عن نفلها، ولا شاقها عن سهلها. والثاني [المتجاذَبُ بين الخير والشر]: الطالب البطيء له قلب تعمره الخشية، وله ميل الى الطاعة، ولكن ربما قعد به عن السابقين ميل الى الراحة فيكتفي من العمل بفرضه، وربما انتظر به غير وقته، وينال من الرخص حظه، وربما كانت له هفوات، ولشهوته نزوات على انه رجاع الى ربه، كثير الندم على ذنبه، فذلك الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو

بَطِيءٌ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ[1] عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ . هَلَكَ مَنِ ادَّعَى ، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى . مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ[2] وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ . لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ[3] ،

يرجو ان يغفر له . والقسم الثالث : المقصر ؛ وهو الذي حفظ الرسم ونسي الاسم، وقال بلسانه انه مؤمن ، وربما شارك الناس فيما يأتون من اعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابههما ، وظن ان ذلك كل ما يطلب منه ، ثم لا تورده شهوتـــه منهلاً إلا عبّ منه ، ولا يميل به هواه الى امر إلا انتهى اليه ، فذلك عبد الهوى ، وجدير به ان يكون في النار هوى .

(١) اليمين والشمال مثال لما زاغ عن جادة الشريعة والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة ، ثم اخذ يبين ان الجادة والطريق الوسطى هي سبيل النجـاة ، جاء الكتاب هادياً اليها ، والسنة لا تنفذ إلا منها ، فمن خالف الكتاب ونبذ السنة ثم ادعى انه على الجادة فقد كذب ، ولهذا يقول : خاب من ادعى ، اي : من ادعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده مما يدعيه إلا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل عن الجادة .

(٢) الرواية الصحيحة هكذا : من ابدى صفحته للحق هلك ، اي من كاشف الحق مخاصما له مصارحا له بالعداوة هلك . ويروى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس . وعلى هذه الرواية يكون المعنى : من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم – وهم اعوان الباطل – فهلك .

(٣) السنخ : المثبت ، يقال : تبتت السن في سنخها ، اي : منبتهـا . والأصل لكل شيء : قاعدته وما قام عليه بقيته ، فأصل الجبل مثلاً اسفلـه الذي يقوم عليه اعلاه ، وأصل النبات جذره الذاهب في منبته ، وهلاك السنخ فساده حتى لا تثبت فيه اصول مـا اتصل به ، ولا ينمو غرس غرس فيه . وكل عمل ذهبت اصوله في اسناخ التقوى كان جديراً بان تثبت اصوله وتنمو فروعه ويزكو بزكاه منبته ومغرس

وَلا يَظْمأُ عَلَيْها زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ[1] ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ . وَلا يَحْمَدْ حامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلا يَلُمْ لائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ .

ومن كلام له عليه السلام

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

[وفيها : ابغض الخلائق الى الله صنفان]

الصنف الاول : إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلائِقِ إِلَى اللهِ رَجُلانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ[2] فَهُوَ جائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلامِ بِدْعَةٍ ، وَدُعاءِ ضَلالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ ، ضالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدى بِهِ فِي حَياتِهِ وَبَعْدَ وَفاتِهِ ، حَمَّالٌ خَطايا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ[3] .

اصله ، وهو التقوى ، وكما ان التقوى سنخ لأصول الاعمال كذلك منها تستمد الاعمال غذاءها وتستقي ماءها من الاخلاص ، وجدير بزرع يسقى بماء التقوى ألا يظمأ . و« عليها » في الموضعين : في معنى معها . وقد يقال في قوله : سنخ اصل : انه هو على نحو قول القائل : اذا خاض عينيه كرى النوم . والكرى هو النوى ، والسنخ هو الاصل . والأليق بكلام الامام ما قدمناه .

(١) [أي الزموها لتبتعدوا عن الاجتماع للمنافرات والمفاخرات] .

(٢) وكله الله إلى نفسه : تركه ونفسه ، وهو كناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد ، لا يرجع إلى حقيقة من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب ، فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته . والمشغوف بشيء : المولع به [أي بلغ حبه شغاف قلبه وهو غلافه] ، وكلام البدعة : ما اخترعته الاهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين .

(٣) هذا الضال المولع بتنميق الكلام لتزيين البدعة الداعي إلى الضلالة قد غرر

الصنف الثاني : وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً [١] مُوضِعٌ في جُهَّالِ الْأُمَّةِ [٢] عَادٍ في أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمٍ بِمَا في عَقْدِ الْهُدْنَةِ [٣] قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ [٤] حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ ،

بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن بخطيئته لا مخرج له منها ، وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم بدعائه ، كما قال تعالى : (وليحملن اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم) .

(١) قمش جهلا : جمعه [واصل القمش جمع المتفرق] ، والجهل هنا بمعنى المجهول ، كما يسمى المعلوم علماً . بل قال قوم : إن العلم هو صورة الشيء في العقل ، وهو المعلوم حقيقة ، كذلك يسمى المجهول جهلاً ، بل الصورة التي اعتبرت مثالاً لشيء وليست بمنطبقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق . فالجهل المجموع : هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعها تحكي واقعاً ولا واقع لها .

(٢) « موضع في جهال الأمة » : مسرع فيها بالغش والتغرير : وضع البعير أسرع ، واوضعه راكبه فهو موضع به : أي : مسرع به . وقوله « عاد في اغباش الفتنة » الاغباش : الظلمات [او اوائلها] ، واحدها غبش بالتحريك ، واغباش الليل بقايا ظلمته . وعاد : بمعنى مسرع في مشيته ، أي : انـه ينتهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدو إلى غايته من التصدر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما يظنه الجهلة علماً وليس بـه ، ويروي « غار في اغباش الفتنة » : من « غره يغره » إذا غشه وهو ظاهر .

(٣) عم : وصف من العمى ، أي : جاهل بما اودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح [أي لا يبصر وجوه المصالح في الصلح والمسالمة بين الناس] ، وقـد يراد بالهدنة إمهال الله له في العقوبة وإملاؤه في اخـذه ، ولو عقل ما هيأ الله له من العقاب لأخذ من العـلم بحقائقه ، وأوغل في النظر لفهم دقائقه ، ونصح لله ولرسوله وللمؤمنين .

(٤) [والمراد من اشباه الناس الجهال لأنهم يشبهون الناس في اشكالهم ولا يشبهونهم في عقولهم واخلاقهم] بكر : بادر إلى الجمع ، كالجاد في عمله يبكر اليه من

وَاُكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ (١) ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ (٢) ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ (٣) ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ (٤) : لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ ؛ إِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ ،

اول النهار ، فاستكثر : أي : اجتاز كثيراً « من جمع » بالتنوين ، أي : مجموع قليله خير من كثيره إن جعلت ما موصولة ، فان جعلتها مصدرية كان المعنى : قلته خير من كثرته . ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية ، أي : من جمع شيء قلته خير من كثرته .

(١) الماء الآجن : الفاسد المتغير الطعم واللون ، شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات ، وهي تشبه العلم في انها صور قائمة بالذهن فكأنها من نوعه ، كما ان الآجن من نوع الماء ، لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويطفيء من الأوار . والآجن يجلب العلة ويفضي بشاربه إلى البوار . واكتنز : أي عد ما جمعه كنزاً ، وهو غير طائل ، أي دونٌ ، خسيسٌ .

(٢) التخليص : التبيين ، والتبس على غيره : اشتبه عليه [وكونه ضامناً لتخليص ما التبس على غيره اي انه واثق من نفسه بفضل ما يعرض على الناس من المشكلات] .

(٣) المبهمات . المشكلات لأنها أبهمت عن البيان ، كالصامت الذي لم يجعل على ما في نفسه دليلاً . ومنه قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة . والحشو : الزائد الذي لا فائدة فيه ، والرث : الخلق البالي ضد الجديد ، أي أنه يلاقي المبهمات برأي ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئاً ، بل هو حشو لا فائدة له في تبينها ، ثم يزعم بذلك أنه بينها .

(٤) الجاهل بالشيء : من ليس على بينة منه فاذا أثبته عرضت له الشبهة في نفيه وإذا نفاه عرضت له الشبهة في إثباته . فهو في ضعف حكمه في مثل نسج العنكبوت ضعفاً ، ولا بصيرة له في وجوه الخطأ والاصابة فاذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أو مخطيء وقد جاء الامام في تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبير عنه .

جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهالاتٍ . عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ [1] لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ [2] يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ [3] لَامَلِيٌّ ـ وَاللهِ ـ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ [4] لَايَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ اُكْتَتَمَ بِهِ [5] لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعِجُّ

---

(١) خباط : صيغة مبالغـة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى ، ومنه خبط عشواء . وشبه الجهالات بالظلمات التي يخبط فيها السائر ، وأشار إلى التشبيه بالخابط والعاشي : الأعمى أو ضعيف البصر أو الخابط في الظلام ، فيكون كالتأكيد لما قبله. والعشوات: جمع عشوة مثلثة الأول ، وهي ركوب الأمر على غير هدى .

(٢) من عادة عاجم العود . أي مختبره ليعلم صلابته من لينه ـ ان يعضه،فلهذا ضرب المثل في الخبرة بالعض بضرس قاطع . أي : أنه لم يأخـذ العلم اختباراً بل تناوله كما سول الوهم وصور الخيـــال ، ولم يعرضه على محض الخبرة ليتبين أحق هو أم باطل .

(٣) الهشيم : ما يبس من النبت وتفتت، وأذرته الريح إذراء : أطارته ففرقته. ويروى يذرو الروايات كما تذرو الرياح الهشيم ، وهي أفصح ، قال الله تعـالى : (فأصبح هشيماً تذروه الرياح) وكما ان الريح في حمـل الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال نسقه، كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم.

(٤) الملي ُّ بالقضاء : من يحسنه ويجيد القيام عليه ، وهذا لا مليٌّ باصدار القضايا التي ترد عليه وإرجاعها عنه مفصولاً فيها النزاع ، مقطوعاً فيها الحكم . أي : غير قيم بذلك ، ولا غناء فيه لهـذا الأمر الذي تصدر له . وروى ابن قتيبة بعد قوله لامليٌّ ـ والله ـ باصدار ما ورد عليه (ولا أهل لمـا قرظ به) أي : مدح به ـ بدل ولا هو أهل لما فوض اليه .

(٥) [يعني أنه إذا غلب على ظنه حكمٌ في القضية جزم بـه وقد يكون رأى غيره اقوى منه] اكتتم به : أي كتمه وستره [لما يعلم من جهل نفسه] .

مِنْهُ الْمَوَارِيثُ[1] إِلَى ٱللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً[2] وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ[3] وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

[وفيه يذم أهل الرأي ويكل أمر الحكم في امور الدين للقرآن]

ذم أهل الرأي

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ[4]

---

(١) العج: رفع الصوت. وصراخ الدماء وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور [ونسبة الصراخ إلى الدماء والعجيج إلى المواريث جيد لدلالة نطقها بالظلم والشكوى وقد يكون إيجازاً أي أهل الدماء وأولياء المواريث].

(٢) إلى الله متعلق بأشكو، وفي رواية إسقاط لفظ أشكو فيكون إلى الله متعلقاً بتعج. وقوله من معشر: يشير إلى أولئك الذين تمشوا جهلا.

(٣) تلي حق تلاوته: أخذ على وجهه وما يدل عليه في جملته وفهم كما كان النبي وأصحابه ﷺ يفهمونه. وأبور من بارت السلعة: كسدت. وأنفق من النفاق -بالفتح- وهو الرواج. وما أشبه حال هذا المعشر بالمعاشر من أهل هذا الزمان

(٤) الامام الذي استقضاهم: الخليفة الذي ولاهم القضاء.

فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً ـ وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ ! ـ أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِالاخْتِلاَفِ فَأَطَاعُوهُ ؟ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ ؟

الحكم للقرآن

أَمْ أَنْزَلَ اللهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وَقَالَ : (فِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ) وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَأَنَّهُ لاَ اخْتِلاَفَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً) . وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ[1] وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

قاله للأشعث بن قيس[2] وهو على منبر الكوفة يخطب ،

---

(١) [استدل امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بثلاث آيات : بأولاهن على عدم النقصان وبالثانية على الوضوح مع التمام وبالثالثة على عدم الاختلاف والتناقض فلا يكمل بالرأي دينٌ وصفه كذلك] . أنيق : حسن معجب [بانواع البيان] وآنقني الشيء : اعجبني [وباطنه عميق أي لا يدرك اسراره إلا الراسخون في العلم] .

(٢) [الأشعث بن قيس الكندي واسمه معديكرب وسمي الأشعث لشعث

فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال : يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك[1] فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال :

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ! عَلَيْكَ لَعْنَةُ ٱللّٰهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ ، حَائِكٌ ٱبْنُ حَائِكٍ[2] مُنَافِقٌ ٱبْنُ كَافِرٍ[3] وَٱللّٰهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى[4] . فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا

رأسه وكان من أصحاب علي ثم خرج عليه ، وكان فاتناً شجاعاً جميلاً . زوّج ابنته للحسن بن علي ثم ناولته السم الذي مات به]

(١) كان امير المؤمنين يتكلم في أمر الحكمين فقام رجل من اصحابه وقال : نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد ? فصفق باحدى يديه على الاخرى ، وقال : هذا جزاء من ترك العقدة ، فقال الاشعث ما قـال ، وأمير المؤمنين يريد هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتم وألجأتموني لقبول الحكومة .

(٢) قيل : ان الحائكين انقص الناس عقلاً ، وأهل اليمن يعيرون بالحياكة . والاشعث يمني من كندة . قال خالد بن صفوان : في ذم اليمانيين : ليس فيهم إلا حائك برد ، أو دابغ جلد ، او سائس قرد ، ملكتهم امرأة وأغرقتهم فأرة ، ودل عليهم هدهد .

(٣) كان الأشعث في أصحاب علي كعبد الله بن ابي بن سلول في اصحاب رسول الله ﷺ كل منهما رأس النفاق في ذمته .

(٤) أسر مرتين : مرة وهو كافر في بعض حروب الجاهلية ، وذلك ان قبيلة مراد قتلت قيسا الأشج أبا الأشعث فخرج الاشعث طالباً بثار ابيه فخرجت كندة متساندين إلى ثلاثـة ألوية على احدها كبش بن هانيء ، وعلى احدها القشعم بن الأرقم ، وعلى احدها الاشعث ، فأخطأوا مرادا ووقعوا على بني الحارث بن كعب فقتل كبش والقشعم وأسر الاشعث ، وفدي بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربي قبله ولا بعده ، فهذا معنى قول امير المؤمنين « فما فداك » لم يمنعك من الاسر . وأما اسر الاسلام له فذلك ان بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي ﷺ وقاتلهم زياد بن لبيد البياضي الانصاري لجأوا الى الاشعث مستنصرين به فقال : لا أنصركم حتى تملكوني ،

حَسْبُكَ ، وَإِنَّ امْرَءاً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمْ الْحَتْفَ ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ (١) .

[قال السيد الشريف : أراد بقوله : دل على قومه السيف : ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة ، فانه غرَّ قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه (عُرف النار) وهو اسم للغادر عندهم].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيه ينفو من الغفلة وينبه الى الفرار لله]

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ

فتوجهوه كما يتوج الملك من قحطان ، فخرج معهم مرتدا يقاتل المسلمين وأمد ابو بكر زيادا بالمهاجر بن أبي أمية فالتقوا بالاشعث فتحصن منهم فحاصروه اياماً ثم نزل اليهم على ان يؤمنوه وعشرة من اقاربه حتى يأتي أبا بكر فيرى فيه رأيه ، وفتح لهم الحصن فقتلوا كل من فيه من قوم الاشعث إلا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ثامانائة ثم حملوه اسيراً مغلولاً الى ابي بكر فعفا عنه وعمن كان معه وزوجه اخته أم فروة بنت أبي قحافة .

(١) دلالة السيف — على قوله — وسوق الحتف اليهم تسليمهم لزياد بن لبيد ، وفتح الحصن عليهم حتى قتلهم كما تقدم وإن كان الذي ينقل عن الشريف الرضي ان ذلك إشارة إلى وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد في حرب المرتدين باليمامة ، وإن الأشعث دل خالداً على مكامن قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد فان ما نقله الشريف لا يتم إلا إذا قلنا إن بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة .وشاركت أهل الردة في حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل . وعلى كل حال فقد كان الأشعث ملوماً على ألسنة المسلمين والكافرين ، وكان نساء قومه يسمينه عرف النار ، وهو اسم للغادر عندهم [ومقتة الأقربون لأنه دل السيف على قومه وقاد اليهم الحتف وحيث لا يأمنه قومه فان البعيد أولى بألا يأمنه]

وَوَهِلْتُمْ[1] وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ[2] وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، بِحَقٍّ أَقُولُ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ[3] وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ. وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ[4].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهي كلمة جامعة للعظة والحكمة]

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ[5] وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ؛

---

(١) الوهل: الخوف [والفزع]، من وهل يوهل.

(٢) ما مصدرية، أي قريب طرح الحجاب، وذلك عند نهاية الأجل، ونزول المرء في أول منازل الآخرة [والحجاب يراد به ثقل البدن على الروح في الحياة الدنيا].

(٣) جاهرتكم العبر: انتصبت لتنبهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب أموركم، والعبر: جمع عبرة، والعبرة: الموعظة، لكنه أطلق اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازا؛ فان العبر التي جاهرتهم إما قوارع الوعيد المنبعثة عليهم من ألسنة الرسل الالهيين وخلفائهم. وإما ما يشهدونه من تصاريف القدرة الربانية ومظاهر العزة الالهية. [وفي مجاهرة العبر والزجر إلزام لهم بوجوب التنبه من الغفلة، والفرار الى الله]

(٤) رسل السماء: الملائكة، أي: إن قلتم لم يأتنا عن الله شيء فقد أقيمت عليكم الحجة بتبليغ رسول الله وإرشاد خليفته.

(٥) الغاية: الثواب أو العقاب، والنعيم والشقاء. فعليكم ان تعدوا للغاية ما يصل بكم اليها، ولا تستبطئوها فان الساعة التي تصيبونها فيها — وهي يوم القيامة — آزفة اليكم فكأنها — في تقربها نحركم وتقليل المسافة بينها وبينكم — بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسيرون اليه.

تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا[1] فَإِنَّمَا تَنْتَظِرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرَكُمْ[2].

قال السيد الشريف : أقول : إن هذا الكلام لو وزن ، بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ، بكل كلام ـ لمال به راجحاً ، وبرَّز عليه سابقا . فأما قوله عليه السلام « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا ، وما أبعد غورها من كلمة ، وأنقع نطفتها من حكمة[3] ! وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها .

ومن خطبة له عليه السلام

[حين بلغه خبر الناكثين ببيعته]

[وفيها يذم عملهم ويلزمهم دم عثمان ويتهددهم بالحرب]

ذم الناكثين

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ[4] ، وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ ،

(١) سبق سابقون بأعمالهم إلى الحسنى ، فمن أراد اللحاق بهم فعليه ان يتخفف من أثقال الشهوات وأوزار العناء في تحصيل اللذات ، ويحفز بنفسه عن هذه الفانيات فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار . وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر ان يلحق الذين سبقوه .

(٢) أي : ان الساعة لا ريب فيها ، وإنما ينتظر بالأول مدة لا يبعث فيها حتى يرد الآخرون وينقضي دور الانسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا ، وذلك يوم يبعثون .

(٣) من قولهم ماء ناقع ونقيع أي ناجع ، أي إطفاء العطش . والنطفة : الماء الصافي [والكلمة جامعة إذ بينت الغاية من وجود الخلق وهي عبادة الله ، وعرفت ان العمل في العبادة ينتهي عند الموت ، ولما كان السفر واجباً وجب التخفف للسبق والفوز ، وبعد الموت الشامل للخلائق تكون البعثة الكبرى] .

(٤) حثهم : وحضهم من قولهم « ذمر فلاناً بكذا » من بابي ضرب ونصر ،

لِيَعُودَ ٱلْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَيَرْجِعَ ٱلْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ [١] . وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً [٢] .

دم عثمان

وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ ؛ فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا ٱلتَّبِعَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ ! يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ [٣] وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ . يَا خَيْبَةَ ٱلدَّاعِي ! مَنْ دَعَا ؟ وَإِلَامَ أُجِيبَ ؟ [٤] وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ .

التهديد بالحرب

فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ ٱلْبَاطِلِ ،

إذا اغراه به . والجلب – بالتحريك – ما يجلب من بلد الى بلد ، وهو فعل بمعنى مفعول مثل سلب بمعنى مسلوب ، وجمع الجلب أجلاب [أو هو الجماعة من الناس] .

(٢) النصاب – بكسر النون – الاصل ، او المنبت وأول كل شيء [ويريد انهم يرجعون بعملهم هذا للجاهلية] .

(٣) النصف – بالكسر – العدل او المنصف ، أي : لم يحكموا العدل بيني وبينهم ، أو لم يحكموا عادلاً .

(٤) إذا فطمت الام ولدها فقد انقضي إرضاعها وذهب لبنها ، يمثل به طلب الامر بعد فواته [أو يمثل به نفسه أو بيت مال المسلمين] .

(٥) من : استفهامية ، وما المحذوفة الالف لدخول إلى عليها كذلك ، وهذا استفهام عن الداعي ودعوته تحقيراً لها ، والكلام في أصحاب الجمل . والداعي هو

وَنَاصِراً لِلْحَقِّ وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنِ ابْرُزْ لِلطِّعَانِ ! وَأَنِ اصْبِرْ لِلْجِلَادِ ، هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ[1] لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ ! وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَفِي غَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِيْنِي[2] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وتشمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الاغنياء بالشفقة]

تهذيب الفقراء

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ ٱلْمَطَرِ[3] إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ[4] فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً ؛ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ ٱلْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ

احد الثلاثة الذين تقدم ذكرهم في قصة الجمل عند الكلام في ذم البصرة [وبا خيبة الداعي خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى قتاله] .

(١) هبلتهم : ثكلتهم ، والهبول ـ بالفتح ـ من النساء التي لا يبقى لها ولد ، وهو دعـــاء عليهم بالموت ، لعدم معرفتهم باقدار انفسهم ، فالموت خير لهم من حياة جاهلية .

(٢) [بيّن الامام في الجمل الاخيرة انه خلق للحرب فهو لا يهابها من طبعه ثم ازداد اقداماً عليها لأنه على يقين من ربه في حقه وأنه ما اعترته شبهة قط في دينه فكيف يهدّد او يُرهّب مَن حاله كذلك ؟]

(٣) [وتشبيه أمر الرزق بالمطر وجهه أنه مقدّر بالقياس الى الاماكن التي يسقط فيها] .

(٤) غفيرة : زيادة و كثرة .

فَيَخْشعُ لهَا إذا ذُكِرَتْ، وَيُغرَى بهَا لِئَامُ النّاسِ ، كَانَ كَالْفَالِجِ اليَاسِرِ (١) الّذي يَنْتظِرُ أوّلَ فوْزَةٍ مِنْ قِداحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغرَمُ ، وَكَذلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ : إمّا دَاعِيَ اللهِ فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإمّا رِزْقَ اللهِ فَإذا هُوَ ذُو أهْلٍ وَمَالٍ، وَمعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ. إنّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ لأَقْوَامٍ ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ (٢) وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ

---

(١) الفالج : الظافر ، فلج يفلج – كنصر ينصر – ظفر وفاز . ومنه المثل : من يأت الحكم وحده يفلج ، والياسر : الذي يلعب بقداح الميسر أي : المقامر . وفي الكلام تقديم وتأخير ، ونسقه كالياسر الفالج كقوله تعالى (وغرابيب سود) ، وحسنه ان اللفظتين صفتان وإن كانت إحداهما إنما تأتي بعد الاخرى إذا صاحبتها، يريد ان المسلم إذا لم يأت فعلاً دنيئاً يخجل لظهوره وذكره ، ويبعث لئام الناس على التكلم به فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة ، فهو شبيه بالمقامر الفائز في لعبه لا ينتظر إلا فوزاً.أي : ان المسلم اذا بريء من الدناءات لا ينتظر إلا إحدى الحسنيين : إما نعيم الآخرة ، او نعيم الدارين ، فجدير به ألا يأسف على فوت حظ من الدنيا . فانه إن فاته ذلك لم يفته نصيبه من الآخرة ، وهو يعلم ان الارزاق بتقدير رزاقها ، فهو أرفع من ان يحسد احداً على رزق ساقه الله اليه . وقوله « فاحذروا ما حذركم الله من نفسه » : يريد احذروا الحسد ، فان مبعثه انتقاص صنع الله تعالى واستهجان بعض أفعاله ، وقد حذرنا الله من الجرأة على عظمته فقال : (وإياي فارهبون ، وإياي فاتقون .) وما يفوق الكثرة من الآيات الدالة على ذلك .

(٢) مصدر عذر تعذيراً لم يثبت له عذر، أي خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار .

رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللهِ يَكِلْهُ اللهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ[1] نَسْأَلُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَمُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ

تأديب الأغنياء

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ — وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ — عَنْ عَشِيرَتِهِ ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيطَةً مِنْ وَرَائِهِ[2] وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ . وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُوَرِّثُهُ[3] غَيْرَهُ .

ومنها : أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ[4] ؛

---

(١) العامل لغير الله لا يرجو ثواب عمله من الله وإنما يطلبه ممن عمل له ، فكأن الله قد تركه إلى من عمل له وجعل امره اليه .

(٢) حيطة كبيعة أي : رعاية وكلاءة ، ويروى حيطة ـ بكسر الحاء كبنية ، وسكون الياء مخففة — مصدر حاطه يحوطه ، أي : صانه ، وتعطف عليه : تحنن ، والشعث ـ بالتحريك — : التفرق والانتشار .

(٣) لسان الصدق : حسن الذكر بالحق ، وهو في القرابة أولى وأحق .

(٤) الخصاصة : الفقر والحاجة الشديدة ، وهي مصدر خص الرجل — من باب علم — خصاصا ، وخصاصة ، وخصاصاء ـ بفتح الخاء في الجميع ـ إذا احتاج وافتقر ، قال تعالى : (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقال الشاعر * وإذا تصبك خصاصة فتحمل * ينهي امير المؤمنين عن اهمال القريب إذا كان فقيراً ، ويحث على سد حاجته بالمال وأنواع المعاونة . فان ما يبذله في سد حاجة القريب لو لم يصرفه في هذا السبيل وأمسكه لنفسه لم يزده في غناه او في جاهه شيئاً ، ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك . ومعنى أهلكه : بذله .

وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ.

قال السيد الشريف: أقول: الغفيرة ههنا الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجم الغفير، والجماء الغفير. ويروى «عِفْوة من أهل أو مال[1]» والعِفْوة الخيار من الشيء، يقال: أكلت عِفوةَ الطعام، أي: خياره، وما أحسن المعنى الذي أراده عليه السلام بقوله: «ومن يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام» فإنَّ الْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإذَا أَحْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَأُضْطُرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ[2] قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ، وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ الأَيْدِي الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهُضَ الأَقْدَامِ الْجَمَّةِ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهي كلمة جامعة له، فيها تبرير قتال المخالف والدعوة الى طاعة الله والترقي فيها لضمان الفوز]

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ فِي قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ[3] فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَفِرُّوا مِنَ اللهِ إِلَى اللهِ،

(١) [العِفْوة – بكسر العين – من كل شيء صفوته].
(٢) المرافدة: المعاونة.
(٣) الادهان: المنافقة والمصانعة، ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن والغش

وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ[1]. فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلاً، إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً[2].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تواترت[3] عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نَمْرَان[4] لما غلب عليهما بُسْرُ بن أبي أَرْطَاة[5] فقام عليه السلام على المنبر ضجرا

والادهان: الدخول في الوهن، وهو من الليل نحو نصفه وهو هنا عبارة عن التستر والمخاتلة، وقد يكون مصدر أوهنته بمعنى أضعفته، أي: لا يعرض على فيه ما يضعفني. وخابط الغي والغي يخبطه وهو أشد اضطراباً ممن يخبط في الغي [والامام عليه السلام يرى في قوله هذا أنه في غير حاجة لمداهنة مخالفي الحق فليسوا بضعفيه ولا هو عاجز عنهم].

(١) عصبه بكم من باب ضرب ربطه بكم أي: كلفكم به، وألزمكم أداءه. ونهجه لكم: أوضحه وبينه.

(٢) لفلجكم، أي لظفركم وفوزكم.

(٣) تواترت عليه الأخبار: مثل ترادفت وتواصلت وتتابعت، ومن الناس من زعم ان التواتر لا يكون إلا مع فترات بين أوقات الاتيان، وزعم ان قوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى) يدل على ذلك لأنه بين كل نبيين فترة.

(٤) [سعيد بن نمران كان امير الجند لعلي على صنعاء وقد ثار الجند عليه فعزلوه لما بلغهم مقتل محمد بن أبي بكر والي عليّ على مصر].

(٥) يقال بسر بن أبي أرطاه وبسر بن أرطاة، وهو عامري من بني عامر بن لؤي بن غالب، سيره معاوية إلى الحجاز بعسكر كثيف، فأراق دماء غزيرة، واستكره الناس على البيعة لمعاوية، وفر من بين يديه والى المدينة أبو أيوب الأنصاري، ثم وجه والياً على اليمن فتغلب عليها، وانتزعها من عبيد الله بن العباس [وسعيد]، وفر عبيد الله ناجياً من شره، فأتى بسر بيته فوجد له ولدين صبيين فذبحهما، وباء بإثمهما — قبح الله القسوة وما تفعل! — ويروى أنهما ذبحا في بني كنانة

بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي ، فقال :

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا [١] ، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ [٢] فَقَبَّحَكِ اللهُ !

وتمثل بقول الشاعر :

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي ... عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ [٣]

ثم قال عليه السلام :

أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ [٤] ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هؤُلَاءِ

أخوالهما ، وكان ابوهما تركهما هناك ، وفي ذلك تقول زوجة عبيد الله :

هيا من أحس بابنيّ اللذين هما ... كالدرتين تشظّى عنهما الصدف

هيا من أحس بابني اللذين هما ... قلبي وسمعي، فقلبي اليوم مختطف

من ذل والهـة حيرى مدلهة ... على صبيين ذلا ، إذ غدا السلف

نُبئتُ بسراً وماصدقت ما زعموا ... من قتلهم ومن الافك الذي اقترفوا

وتروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص [وتقديم وتأخير وقيل انه لما قـدم عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران على علي بالكوفة لامها على ترك حرب بسر فاعتذرا بضعفها عنه] .

(١) أقبضها وأبسطها ، أي : أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه أو يبسطه [وهذا الكلام تحقير لما هو فيه من أمر الدنيا إذ التصرف في أمر الكوفة حقير بالنسبة إلى البلاد التي استولى عليها الخصوم] .

(٢) الأعاصير : جمع إعصار ، وهي ريح تهب وتمتـد من الأرض نحو السماء كالعمود ، أو كل ريح فيهـا العصار : وهو الغبار الكثير . إن لم يكن لي ملك الكوفة على ما فيها من الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله ؛ وشبه الاختلاف والشقاق بالأعاصير لاثارتها التراب وإفسادها الارض .

(٣) الوضر – بالتحريك – : غسالة السقاء والقصعة ، وبقيـة الدسم في الاناء وتقول . وضر الاناء – من باب طرب – إذا اتسخ بالدسم أو اللبن .

(٤) اطلع اليمن : بلغها وتمكن منها وغشيها بجيشه .

ٱلقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ : بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ[1] ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي ٱلْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمُ ٱلْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ . فَلَوِ ٱئْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ[2] ! ٱللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي ، ٱللَّهُمَّ مُثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ ٱلْمِلْحُ فِي ٱلْمَاءِ[3] ، أَمَا وَٱللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ[4] .

---

(١) سيدالون منكم : ستكون لهم الدولة بدلكم ، بـــذلك السبب القوي ، وهو اجتماع كلمتهم ، وطاعتهم لصاحبهم ، وأداؤهم الأمانة ، وإصلاحهم بلادهم . وهو يشير الى ان هذا السبب متى وجد كان النصر والقوة معه ، ومتى ذهب فقد ذهبت القوة والعزة بذهابه . فالحق ضعيف بتفرق انصـــاره ، والباطل قوي بتضافر اعوانه .

(٢) القعب – بالضم – القدح الضخم – وعلاقته – بكسر العين – ما يعلق منه من ليف أو نحوه .

(٣) مث قلوبهم : أذِبْها ، ماثه يميثه : دافه ، أي : أذابه .

(٤) بنو فراس بن غنم بن خزيمة بن مدركة بن إلياس مضر [حي من تغلب] أو هم بنو فراس ابن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حي مشهور بالشجاعة ، ومنهم علقمة بن فراس وهو جذل الطعان ، ومنهم ربيعة بن مكدم ، حامي الظعن حياً وميتاً ، ولم يحم الحريم أحد وهو ميت غيره : عرض له فرسان من بني سليم ومعه ظعائن من اهله يحميهن وحده فرماه احد الفرسان بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه في الارض واعتمد عليه وأشار إليهن بالمسير فسرن حتى بلغن بيوت الحي وبنو سليم قيام ينظرون اليه لا يتقدم احد منهم نحوه خوفاً منه حتى رموا فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتا .

هُنَالِكَ ، لَوْ دَعَوْتَ ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ ٱلْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر .

قال السيد الشريف : أقول : الأرمية جمع رمي وهو السحاب ، والحميم ههنا : وقت الصيف ، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوفا [1] لأنه لاماء فيه . وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء ، وذلك لا يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء ، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا ، والإغاثة إذا استغيثوا ، والدليل على ذلك قوله : « هنالك لو دعوت أتاك منهم ... »

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له]

العرب قبل البعثة

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ [2] تَشْرَبُونَ

(١) مصدر غريب لخف بمعنى انتقل وارتحل مسرعاً ، والمصدر المعروف خفا

(٢) [الاناخة المقام] الخشن : جمع خشناء من الخشونة ، ووصف الحيات بالصم لأنها أخبثها إذ لاتنزجر [بالأصوات كأنها لا تسمع] ، وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر والغلظ ، فأكثر اراضيها حجارة خشنة غليظة ، ثم انه يكثر فيها الأفاعي والحيات ، فأبدلهم الله منها الريف واين المهاد من ارض العراق والشام ومصر وما شابهها .

الْـكَدِرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشْبَ[1] ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ . الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ[2] .

صفته قبل البيعة له ، منها

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ[3] ، وَأَغْضَيْتُ عَنِ الْقَذَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْـكَظَمِ[4] وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ .

ومنها : وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً[5] فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ[6] ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا ، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا ، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا ، وَعَلَا سَنَاهَا ،

(١) الجشب : الطعام الغليظ ، او ما يكون منه بغير أدم .

(٢) معصوبة : مشدودة . تمثيل للزومها لهم ، وقد جمع في وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة والملة .

(٣) [هم بنو هاشم كالعباس وبنيه فلما ضنّ بهم على الموت لزمه الاغضاء على القذى والشرب على الشجى] .

(٤) الكظم بالتحريك وبضم فسكون : الحلق ، أو الفم ، أو مخرج النفس ، والكل صحيح هنا . والمراد أنه صبر على الاختناق ، وأغضيت : غضضت طرفي على قذى في عيني ، وما أصعب ان يغمض الطرف على قذى في العين . والشجا : ما يعترض في الحلق . وكل هذا تمثيل للصبر على المضض الذي ألم به من حرمانه حقه وتألب القوم عليه .

(٥) ضمير يبايع الى عمرو بن العاص ، فانه شرط على معاوية ان يوليه مصر لو تم له الأمر .

(٦) [خزيت أي ذلت وهانت والمبتاع المشتري والامانة هي حقوق المسلمين في البلاد التي فتحوها والأموال] .

وَٱسْتَشْعِرُوا ٱلصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى ٱلنَّصْرِ (١) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الانبار بجيش معاوية فلم ينهضوا . وفيها يذكر فضل الجهاد ويستنهض الناس ويذكر علمه بالحرب ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته

فضل الجهاد

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ فَتَحَهُ ٱللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ (٢) ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَى ، وَدِرْعُ ٱللهِ ٱلْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُهُ ٱلْوَثِيقَةُ (٣) فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ وَشَمْلَةَ ٱلْبَلَاءِ ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءِ (٤) وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ (٥) ، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ (٦) وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ .

(١) [استشعار الصبر اتخاذه شعاراً كما يلازم الشعار الجسد] .

(٢) [الجهاد من ابواب الجنة أي يدخل اليها منه ، وخاصة الأولياء المخلصون له في المحبة والعبادة] .

(٣) جنته — بالضم — وقايته [والجنة كل ما استترت به] .

(٤) ديث مبنى للمفعول من ديثه ؛ اي : ذلله ، وقمؤ الرجل كجمع و ككرم قمأة وقماءة بزنة رحمة وسحابة — أي : ذل وصغر [والصغار الذل] .

(٥) الأسداد جمع سد ، يريد الحجب الذي تحول دون بصيرته والرشاد . قال الله (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ويروى بالاسهاب وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام ، أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة [والتعبير بضرب الأسداد يراد منه الاحاطة والشمول] .

(٦) أديل الحق منه ، أي : صارت الدولة للحق بدله ، وسيم الخسف ؛ أي : أولي الخسف وكلفه ، والخسف : الذل والمشقة أيضاً . والنصف بالكسر وبالتحريك العدل ومنع مجهول ، أي حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه .

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: اُغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا (١) فَتَوَاكَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ. هٰذَا أَخُو غَامِد وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ (٢) وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا (٣) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَاثَهَا (٤) مَا تُمْنَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْاِسْتِرْجَامِ (٥) ثُمَّ

(١) عقر الدار – بالضم – وسطها وأصلها. وتواكلتم وكّل كل منكم الأمر إلى صاحبه، أي: لم يتوله أحد منكم. بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل، أي: العاجز، لأنه يكل امره إلى غيره. وشنت الغارات: فرقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعة بعد دفعة. وما كان ارسالا غير متفرق يقال فيه: سن بالمهملة.

(٢) أخو غامد: هو سفيان بن عوف، من بني غامد، قبيلة من اليمن من أزد شنوءة، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلاً على أهله. والأنبار: بلدة على الشاطىء الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هبت.

(٣) جمع مسلحة – بالفتح – وهي الثغر والمرقب حيث يخشى طروق الاعداء، وفي الحديث: «كان أدنى مسالح مسالح فارس إلى العرب العذيب».

(٤) المعاهدة الذمية. والحجل، بالكسر، وبالفتح وبكسرتين – خلخالها. والقلب، بالضم كقفل: سوارها. والرعاث: جمع رعثة – بالفتح ويحرك – بمعنى القرط. ويروى رعثها – بضم الراء والعين – جمع رعاث، وجمع رعثة [وهو أيضاً ضرب من الخرز].

(٥) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء [مع القول: إننا لله وإنا اليه راجعون]

أنْصَرَفُوا وَافِرِينَ[1] مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَلا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ؛ فَلَوْ أَنَّ أمْرَءاً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً؛ فَيَاعَجَباً: عَجَباً - وَٱللهِ - يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبَ الْهَمَّ مِنَ أجْتِمَاعِ هٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ. فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً[2] حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلاَ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلاَ تَغْزُونَ، وَيُعْصَى ٱللهُ وَتَرْضَوْنَ؛ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هٰذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ[3] أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ[4] وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هٰذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ[5] أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هٰذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ

والاسترحام: ان تناشده الرحم.

(١) وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم، والكلم - بالفتح - الجرح.

(٢) ترحاً - بالتحريك - أي: هماً وحزناً أو فقراً، والغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها. فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون. وقوله «ويعصى الله»: يشير إلى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين. ثم أهل العراق راضون بذلك إذ لو غضبوا لهموا بالمدافعة.

(٣) حمارة القيظ - بتشديد الراء، وربما خففت في ضرورة الشعر - شدة الحر.

(٤) التسبيخ - بالخاء المعجمة - التخفيف والتسكين.

(٥) صبارة الشتاء بتشديد الراء: شدة برده، والقر - بالضم - البرد، وقيل: هو برد الشتاء خاصة؛ أما البرد فعام فيه وفي الصيف؛ وتقول: قر يومنا - من باب ضرب - أي: برد؛ وتقول قر فلان - مبني لما لم يسم فاعله - قراً - بفتح القاف وكسرها - إذا أصابه القر وهو البرد.

تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَٱللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ[1] .

البرم بالناس

يا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ ! حُلُومُ الأَطْفَالِ ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ[2] لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ! مَعْرِفَةٌ وَٱللهِ جَرَّتْ نَدَماً ، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً[3] قَاتَلَكُمُ ٱللهُ ![4] لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً ، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً ، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً[5] وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ، وَلٰكِنْ لَاعِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ .

لِلّٰهِ أَبُوهُمْ ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً ، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي[6] ! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهَأَنذا

(١) [والتفضيل لأنه لا مناسبة لشدة الحر والبرد مع القتل والمجالدة بالسيف].

(٢) حجال : جمع حجلة وهي القبة، وموضع يزين بالستور، والثياب للعروس . وربات الحجال : النساء [وقد ذمهم بثلاث صفات: الأولى نفي الرجولة عنهم والثانية نفي عقولهم والثالثة إلحاقهم بالنساء لعدم تدبيرهن المدن والحروب] .

(٣) السدم – محركة – الهم مع أسف أو غيظ وفعله كفرح ، والقيح : ما في القرحة من الصديد ، وفعله كباع ، وشحنتم صدري : ملأتموه .

(٤) [عاد – أمير المؤمنين – يدعو عليهم ويبين أسباب غضبه عليهم] .

(٥) النغب : جمع نغبة كجرعة وجرع لفظاً ومعنى، والتهمام – بالفتح – الهم ، وكل تفعال فهو بالفتح ، إلا التبيان والتلقاء فإنها بالكسر . وأنفاساً : أي جرعة بعد جرعة ، [أي لم تعد أنفاسه إلا هماً يتجرعه ، والتعبير بالقيح دلالة على بلوغ الجرح غايته] .

(٦) مراساً : مصدر مارسه ممارسة ومراساً ، أي عالجه ، وزاوله وعاناه .

قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ (١)، وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ!

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهو فصل من الخطبة التي أولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته]
[وفيه احد عشر تنبيهاً]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ (٢)، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ (٣) وَغَداً السِّبَاقُ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ (٤) وَالْغَايَةُ النَّارُ؛ أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ

---

(١) ذرفت على الستين : زدت عليها ، وروى المبرد « نيفت » وهو بمعناه ، وفي الخطبة روايات أخرى لا تختلف عن رواية الشريف في المعنى ، وإن اختلفت عنها في بعض الألفاظ ، أنظر الكامل للمبرد .

(٢) آذنت : أعلمت ، وإيذانها بالوداع إنما هو بما أودع في طبيعتها من التقلب والتحول ، فأول نظرة من العاقل إليها تحصل له اليقين بفنائها وانقضائها ، وليس وراء الدنيا إلا الآخرة ، فإن كانت الأولى مودعة فالأخرى مشرفة ، والاطلاع : من « اطلع فلان علينا » أتانا فجأة .

(٣) المضمار : الموضع والزمن الذي تضمر فيه الخيل ، وتضمير الخيل ان تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ، ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل [ثم تردّ الى القوت ، والمدة اربعون يوماً] وقد يطلق التضمير على العمل الاول او الثاني ، واطلاقه على الاول لأنه مقدمة للثاني ، وإلا فحقيقة التضمير : إحداث الضمور ، وهو الهزال وخفة اللحم ، وإنمـا يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق ، كما اننا نعمل اليوم في الدنيا للحصول على السعادة في الآخرة [وقد كنّى عليه السلام باليوم عن عمر الانسان في الدنيا وعلى هذا رفع المضمار لأنه خبر إن ورفع السباق لأنه مبتدأ] .

(٤) السبقة – بالتحريك – الغاية التي يجب على السابق ان يصل اليها وبالفتح المرة من السبق . والشريف رواها في كلام الامام بالتحريك او الفتح وفسرهـا بالغاية المحبوبة ، او المرة من السبق . وهو مطلوب لهذا ، وروى الضم بصيغة رواية

قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ؟ أَلا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ [١] ؟ أَلا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ [٢] مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَضَرَّهُ أَجَلُهُ ، أَلا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ [٣] ، أَلا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا [٤] ، أَلا وَإِنَّهُ مَنْ لا يَنْفَعْهُ الْحَقُّ يَضْرُرْهُ الْبَاطِلُ [٥] ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى

اخرى . ومن معاني السبقة – بالتحريك – الرهن الذي يوضع من المتراهنين في السباق ، اي : الجعل الذي يأخذه السابق . إلا ان الشريف فسرها بما تقدم .

(١) [والتوبة انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الأمارة بالسوء] البؤس بالضم : اشتداد الحاجة ، وسوء الحالة ، ويوم البؤس : يوم الجزاء مع الفقر من الاعمال الصالحة ، والعامل له هو الذي يعمل الصالح لينجو من البؤس في ذلك اليوم.

(٢) يريد الامل في البقاء واستمرار الحياة .

(٣) الرهبة – بالفتح – هي مصدر رهب الرجل – من باب علم – رهبا ، بالفتح وبالتحريك رهبانا – بالتحريك وبالضم – ومعناه: خاف ، اي : اعملوا لله في السراء كما تعملون له في الضراء لا تصرفكم النعم عن خشيته والخوف منه [وهو تنبيه من الامام على وجوب التسوية بين العمل في الرغبة والعمل في الرهبة] .

(٤) [في العبارة ايجاز أي أني لم أر نعمة كالجنة . . ولا نقمة كالنار . . .] من اعجب العجائب الذي لم ير له مثيل ان ينام طالب الجنة في عظمها واستكمال اسباب السعادة فيها ، وأن ينام الهارب من النار في هولها واستجماعها اسباب الشقاء.

(١) النفع الصحيح كله في الحق . فإن قال قائل : ان الحق لم ينفعه فالباطل اشد ضرراً له، ومن لم يستقم به الهدى المرشد الى الحق –أي لم يصل به الى مطلوبه من السعادة – جرى به الضلال الى الردى والهلاك [والمراد بالحق الاقبال على الله بلزوم الاعمال الصالحة والمراد بالباطل الالتفات عنه] .

يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعَنِ [1] ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَداً [2] .

قال السيد الشريف – رضي الله عنه – : أقول : لو كان كلامٌ يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هـذا الكلام ، وكفى به قاطعا لعلائق الآمال ، وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ، ومن أعجبه قوله عليه السلام « أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ وَغَداً السِّبَاقُ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ » فإن فيه – مع فخامة اللفظ ، وعظم قدر المعنى ، وصادق التمثيل ، وواقع التشبيه – سراً عجيباً ، ومعنى لطيفاً ، وهو قوله عليه السلام : « والسَّبَقَةُ الجنة ، والغاية النار » فخالفَ بين اللفظين لاختلاف المعنيين ، ولم يقل « السَّبَقة النار » كما قال « السبقة الجنة » ؛ لأن الاستباق إنما يكون إلي أمر محبوب ، وغرض مطلوب ، وهذه صفة

---

(١) [ان من لم يدله الهدى بالعلم والايمان على الطريق المستقيم فلا بد وان ينحرف به ضلاله عن سواء السبيل] والظعن – بالفتح ، وبالتحريك – الرحيل عن الدنيا ، وفعله كقطع ، وأمرنا به امر تكوين ، اي كما خلقنا الله خلق فينا ان نرحل عن حياتنا الاولى لنستقر في الاخرى ، والزاد الذي دلنا عليه : هو عمل الصالحات ، وترك السيئات .

(٢) تحرزون انفسكم : تحفظونها من الهلاك الابدي ، ويقـال : حرز نفسه – كنصر – او هذا إبدال والأصل حرس بالسين فأبدلت زايا ، وتقول : حرز فلان ككرم ، إذا تحصن ، وحرز كفرح ، إذا كثر ورعه .

الجنة وليس هذا المعنى موجوداً في النار نعوذ بالله منها ، فلم يجز أن يقول « والسبقة النار » بل قال « والغاية النار » ؛ لأن الغاية ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء ومن يسره ذلك ، فصَلَح أن يعبر بها عن الأمرين معا ، فهي في هـذا الموضع كالمصير والمآل ، قال الله تعالى : (قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار) ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال : سبقتكم ـ بسكون الباء ـ إلى النار ، فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد . وكذلك أكثر كلامه عليه السلام ، وفي بعض النسخ : وقد جاء في رواية أخرى « والسُّبقة الجنة » ـ بضم السين ـ والسبقة عندهم : اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض ، والمعنيان متقاربان لأن ذلك لايكون جزاء فعلِ الأمر المذموم ، وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود .

ومن خطبة له عليه السلام

[بعد غارة الضحاك بن قيس [1] صاحب معاوية على الحاجّ بعد قصة الحكمين]
[وفيها يستنهض اصحابه لما حدث في الاطراف]

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ [2] ،

---

(١) [الضحاك بن قيس بن ثعلبة بن محارب بن فهر اتخـذه معاوية من قواده واستعمله على الكوفة بعد زياد بن أبيه ، ثم صار بعد ذلك مع ابن الزبير فقاتل مروان ابن الحكم يوم مرج راهط وهو على قيس كلها فقتله مروان] .

(٢) أهواؤهم : آراؤهم وما تميل إليه قلوبهم والأهواء : جمع هوى ، بالقصر ـ وأصله إرادة النفس وما تميل إلية محمـوداً كان أو مذموماً ، ثم غلب في الاستعمال على غير المحمود .

كَلامُكُمْ يُوهِي ٱلصُّمَّ ٱلصِّلَابَ[1] وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ ٱلْأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي مَجَالِسِكُمْ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ[2]! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ[3] أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ وَسَأَلْتُمُونِي ٱلتَّطْوِيلَ[4] دِفَاعَ

---

(١) الصم: جمع أصم، وهو من الحجارة الصلب المصمت، والصلاب: جمع صليب، والصليب: الشديد، وبابه ظريف وظراف وضعيف وضعاف. ويوهيها: يضعفها ويفتتها. ويقال: وهى الثوب، ووهي يهي وهيا - من باب ضرب وحسب - تخرق وانشق، وأوهاه يوهيه إيهاء: شقه وخرقه؛ أي: تقولون من الكلام ما يفلق الحجر بشدته وقوته، ثم يكون فعلكم، من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو! [ويقال إنه استعار صفة الحجارة للقلوب التي تضعف من ...

(٢) [كانوا يقولون في مجالسهم إننا سنفعل بخصومنا كذا وكذا]. كَيْت وكيت - بكسر آخرهما - كلمتان لا تستعملان إلا مكررتين: إما مع واو العطف، وإما بدونها. وأصل تائها هاء، وربما قيل «كيه كيه»، ومعناهما كذا وكذا، وقيل: كيت كيت كناية عن الحديث، وذيت ذيت كناية عن الفعل، وكذا كذا كناية عن العدد، تقول: قال فلان كيت كيت، وفعل ذيت ذيت وأخذ كذا وكذا درهماً. وحيدي حياد: كلمة يقولها الهارب، كأنه يسأل الحرب أن تتنحى عنه [مرتين لتكرارها]، من الحيدان، وهو الميل والانحراف عن الشيء، وحياد: مبني على الكسر كما في قولهم: فيحي فياح، أي: اتسعي، وحمي حمام: للداهية [أي هي من أسماء الأفعال كنزال]، أي: أنهم يقولون في المجلس سنفعل بالأعداء ما نفعل، فاذا جاء القتال فروا وتقاعدوا [وحيدي حياد كلمة كان يقولها العرب عند الفرار فهي من مصطلحات كلامهم].

(٣) أي: من دعاهم وحملهم بالترغيب على نصرته لم تعز دعوته لتخاذلهم، فإن قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فأتعبوه. والأعاليل: إما جمع أعلال جمع علل جمع علة [لما يتعلل به من مرض وغيره]، أو جمع أعلولة. كما أن الأضاليل جمع أضلولة والأضاليل متعلقة بالأعاليل، أي: أنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى لها.

(٤) [أي تطويل الموعد والمطل فيه].

ذي ٱلدَّيْنِ ٱلمَطُولِ[١] لَا يَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ . وَلَا يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إلَّا بِالْجِدِّ ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ[٢] ؟ وَمَعَ أَيِّ إمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ ـ وَٱللهِ ـ بِالسَّهْمِ ٱلْأَخْيَبِ[٣] ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[٤] أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ،

---

(١) أي : أنكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه ، والمطول : الكثير المطل ، وهو تأخير أداء الدين بلا عذر [ولا تخفى قوة التشبيه إذ المدين المطول يشتهي أبداً عدم المطالبة وتودّ نفسه ألا يراه غريمه وقد عقب الامام على ذلك بقوله : « لا يمنع الضيمَ الذليلُ » لينبههم الى سوء عملهم] . وقوله « لا يمنع الضيم ـ الخ » أي : أن الذليل الضعيف البأس الذي لا منعة له لا يمنع ضيماً ، إنما يمنع الضيم القوي العزيز .

(٢) [يريد الامام دار الاسلام] .

(٣) فاز بكم : من « فاز بالخير » إذا ظفر به ، أي : من ظفر بكم و كنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الأخيب ، وهو من سهام الميسر الذي لا حظ له [ولا تخفى دقة التشبيه بالميسر لكثرة خسارته] .

(٤) الأفوق من السهام : مكسور الفوق ، والفوق موضع الوتر من السهم ، والناصل : العاري عن النصل [ولا يخفى طيش السهم الذي لا فوق له ولا نصل فإنه لا يكاد يتجاوز عن القوس مسافة] أي : من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى ، وإن رمى به لم يصب مقتلاً إذا لا نصل له . وهذه الخطبة خطبها امير المؤمنين عند إغارة الضحاك بن قيس ؛ فان معاوية لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين دعا الضحاك بن قيس وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنا ما استطعت ، فمن وجدت من الاعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وإن وجدت له خيلاً أو مسلحة فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى . ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت اليك لتلقاها فتقاتلها . وسرحه في ثلاثة آلاف ، فأقبل الضحاك فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الاعراب ، ثم لقي عمر بن عميس بن

وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ ! مَا دَوَاؤُكُمْ ! مَا طِبُّكُمْ ! الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ ! أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟ (١) وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ؟ وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ ؟! (٢) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى قتل عثمان

[وهو حكم له على عثمان وعليه وعلى الناس بما فعلوا وبراءة له من دمه]

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً ؛ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً (٣) غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ

مسعود الذهلي فقتله — وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود — ونهب الحاج ، وقتل منهم وهم على طريقهم عند القطقطانة ، فساء ذلك أمير المؤمنين ، وأخذ يستنهض الناس إلى الدفاع عن ديارهم ، وهم يتخاذلون ، فوبخهم بما تراه في هذه الخطبة ، ثم دعا بحجر بن عدي فسيره إلى الضحاك في أربعة آلاف ، فقاتله ، فانهزم فاراً إلى الشام يفتخر بأنه قتل ونهب .

(١) [ينسب الامام لهم أنهم يقولون بغير علم والمراد بالعلم هنا الاعتقاد والاخلاص لله ، إذ هم يقولون في مجالسهم ما لا يفعلون] .

(٢) [وذلك بخلاف الغفلة عن الدنيا مع الورع فانها صفة المؤمن. وأما الطمع في غير حق فيريد به الامام أنهم يوم أعطياتهم كانوا يطلبون المزيد] .

(٣) يقول : إنه لم يأمر بقتل عثمان ، وإلا كان قاتلا له ، مع أنه بريء من قتله، ولم ينه عن قتله — أي : لم يدافع عنه بسيفه ، ولم يقاتل دونه — وإلا كان ناصراً له . أما نهيه عن قتله بلسانه فهو ثابت ، وهو الذي أمر الحسن والحسين ان يذبا الناس عنه [والحق كان ان يقال ان نهيه عن قتله بلسانه فهو ثابت ، واما بعمله فهو إرساله ولديه للذب عنه ومن الخطأ ان يفهم من ظاهر القول بأن علياً لم يأمر بقتله ولم ينه عنه — ان دم عثمان صار عنده من الأمور المباحة ولكنه لم يأمر بقتله قطعاً ولم يمكنه الدفاع عنه مع ثورة الرأي العام حين ذلك ولا يدخل ذلك

وَمَنْ خذَلَهُ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يَقُولَ : نَصرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي[1] وَأنَا جَامِعٌ لَكُمْ أمْرَهُ : اسْتَأثَرَ فَأسَاءَ الأثَرَةَ ، وَجَزِعْتُمْ فَأسَأتُمُ الْجَزَعَ[2] وَلِلّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأثِرِ وَالْجَازِعِ[3] .

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

[لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير يستفيئة إلى طاعته قبل حرب الجمل[4]]

لَا تَلْقَيَنَّ طَلحَةَ فَإنَّكَ إنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهِ[5] يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ : هُوَ الذَّلُولُ . وَلكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ

في الأمور المباحة] .

(١) أي : ان الذين نصروه ليسوا بأفضل من الذين خذلوه ؛ لهذا لا يستطيع ناصره ان يقول : إني خير من الذي خذله ، ولا يستطيع خاذله ان يقول : إن الناصر خير مني ، يريد ان القلوب متفقة على ان ناصريه لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه

(٢) أي : أنه استبد عليكم فأساء الاستبداد ، وكان عليه ان يخفف منه حتى لا يزعجكم ، وجزعتم لاستبداده فأسأتم الجزع ، أي : لم ترفقوا في جزعكم ، ولم تقفوا عند الحد الأولى بكم . وكان عليكم ان تقتصروا على الشكوى ولا تذهبوا في الاساءة إلى حد القتل . ولله حكمه في المستأثر وهو عثمان ، وفي الجازع وهو انتم : فاما آخذه وآخذكم ، أو عفا عنه وعفا عنكم ، والأثرة – بفتحات – الاسم من قولهم « استأثر بالشيء » إذا استبد به وخص نفسه به .

(٣) [ونسبة الحكم في المستأثر والجازع لله براءة لعلي من دم عثمان ويحتمل انه يريد الحكم اللاحق في الآخرة من الثواب والعقاب لكل من القتلة والمقتول] .

(٤) « يستفيئه » أي : يسترجعه ، [من فاء إذا رجع] .

(٥) ويروى « إن تلقه تلفه » الأولى بالقاف والثانية بالفاء من « ألفاه يلفيه » ، وهي بمعنى تجده . و « عاقصاً قرنه » من « عقص الشعر » إذا ضفره وفتله ولواه ، وهو تمثيل له في تغطرسه وكبره وعدم انقياده و « يركب الصعب » يستهين به ويزعم انه ذلول سهل [والصعب الدابة الجموح] .

فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً (١) فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ٱبْنُ خَالِكَ (٢) : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا (٣).

قال السيد الشريف : وهو ــ عليه السلام ــ أول من سمع منه هذه الكلمة ، أعني : فما عدا مما بدا » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها يصف زمانه بالجور ويقسم الناس فيه خمسة اصناف ثم يزهد في الدنيا]

معنى جور الزمان

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ (٤) يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً ، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى

(١) العريكة: الطبيعة، [والخلق، وأصل العرك دلك الجلد بالدباغ وغيره] وعرفه بالحجاز : أطاعه فيه حيث عقد له البيعة . وأنكره بالعراق حيث خرج عليه وجمع لقتاله .

(٢) [وعلي ابن خال الزبير لأن ابا طالب وصفية أم الزبير من اولاد عبد المطلب بن هاشم] .

(٣) عداه الامر : صرفه ، وبدا ، ظهر ، و «من» هنا بمعنى عن. نقل ابن قتيبة «حدثني فلان من فلان» أي ، عنه ، أي ، ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك [من طاعتي وبيعتي] .

(٤) العنود : الجائر من « عند يعند » كنصر ، جار عن الطريق وعدل ، والكنود ، الكفور ، ويروى « وزمن شديد » اي ، بخيل كما في قوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) اي ، ان الانسان ــ لأجل حبه للمال ــ بخيل . والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر، وسوء طباع الناس يحملهم على عد المحسن مسيئاً.

تَحِلَّ بِنَا (١) .

اصناف المسيئين

فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُمُ الْفَسَادَ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلَالَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ (٢) ؛ وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ (٣) . وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً ، وَمِمَّا

(١) القارعة ، الخطب [العظيم] بقرع من ينزل به ، اي ، يصيبه .

(٢) القسم الاول من يقعد به عن طلب الامارة والسلطان حقارة نفسه ، فلا يجد معيناً ينصره . وكلالة حده ، اي : ضعف سلاحه عن القطع في اعدائه يقال : كل السيف كلالة إذا لم يقطع ، والمراد إعوازه من السلاح ، او لضعفه عن استعماله . ونضيض وفره قلة ماله . وكان مقتضى النسق ان يقول ، ونضاضة وفره ، لكنه عدل إلى الوصف تفنناً ، والنضيض القليل ، والوفر المال .

(٣) القسم الثاني الذي يطلب الامارة وما هي من حقه ، ويجهر بذلك فهو مصلت لسيفه – اي ، سال له – على اولئك الذين لا يسمعون لسلطان الباطل ، والمعلن ، المظهر ، والمجلب بخيله ، من « اجلب القوم » اي ، جلبوا وتجمعوا من كل أوب للحرب ، والرجل ، جمع راجل ، كالركب جمع راكب والصحب جمع صاحب ، وهو قليل ، و « اشرط نفسه » اي ، هيأها وأعدها للشر والفساد في الارض ، او للعقوبة وسوء العاقبة و « أوبق دينه » اهلكه . والحطام ، المال ، وأصله ما تكسر من اليبس . ينتهزه ، يغتنمه او يختلسه ، والمقنب ، طائفة من من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين ، وانما يطلب قود المقنب تعززاً على الناس و كبراً ، وفرغ المنبر – بالفاء – اي علاه وفي علو المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب فهذا القسم قد اضاع دينه وافسد الناس في طلب هذه الشهوات المذكورة .

لَكَ عِنْدَ ٱللهِ عِوَضاً ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ ، وَلا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأَمَانَةِ ، وَٱتَّخَذَ سِتْرَ ٱللهِ ذَرِيعَةً إِلَى ٱلْمَعْصِيَةِ[١] ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ ٱلْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ[٢] ، وَٱنْقِطَاعُ سَبَبِهِ ، فَقَصَرَتْهُ ٱلْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ ٱلْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ ٱلزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدًى .

الراغبون في الله

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ ٱلْمَرْجِعِ[٣] ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ ٱلْمَحْشَرِ ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ[٤] ؛ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ

---

(١) الذريعة : الوسيلة ، وهذا قسم ثالث .

(٢) الضؤولة – بالضم – : الضعف ، وهذا هو القسم الرابع ، وليس من الزهادة في ذهاب ولا إياب ، اي : لا فعل ولا ترك .

(٣) هذا قسم خامس للناس مطلقاً ، والاقسام الاربعة للناس المعروفين الواقعين تحت نظر العامة . فقوله فيا سبق : « فالناس اربعة اصناف » إنما يريد به الذين يعرفهم النظر الجلي ناساً ، أما الرجال الذين غضوا أبصارهم عن مطامع الدنيا خوفاً من الآخرة وتذكراً لمعادهم فهؤلاء لا يعرفون عند العامة ، وإنما يتعرف أحوالهم أمثالهم ، فكأنهم في نظر الناس ليسوا بناس .

(٤) الناد : الهارب من الجماعة الى الوحدة ، والمقموع : المقهور . والمكعوم : من « كعم البعير » شد فاه لئلا يأكل أو يعض ، وما يشد به كعام ككتاب . والثكلان : الحزين .

ٱلتَّقِيَّةُ [1] وَشَمِلَتْهُمُ ٱلذِّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ [2] ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ ، وَقَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا [3] ، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا [4] .

الزهد في الدنيا

فَلْتَكُنِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ ٱلْقَرَظِ وَقُرَاضَةِ ٱلْجَلَمِ [5] وَٱتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَٱرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ؛ فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ

---

(١) أخمله : أسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة . والتقية : اتقاء الظلم باخفاء الحال ، والأجاج : الملح ، أي ؛ أنهم في الناس كمن وقع في البحر الملح لا يجد ما يطفىء ظمأه أو ينقع غلته .

(٢) ضامزة : ساكنة ، من « ضمز يضمز » بالزاي المعجمة – كنصر وضرب – سكت بسكت . والقرحة – بفتح فكسر – المجروحة .

(٣) أي : انهم أكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وسئموا من كلامهم ، [أو هم ملوا وعظ الخلق لعدم تأثيرهم فيه] .

(٤) [وقتلوا حتى قلوا اي : قُتل منهم قوم ، وصحّ إسناد القتل الى الكل لأنهم جميعاً كانوا يرادون به] .

(٥) الحثالة – بالضم – : القشارة وما لا خير فيه ، وأصله ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشر إذا نقي . والقرظ – محركة – ورق السلم او ثمر السنط يدبغ به ، والجلم – بالتحريك – مقراض يجز به الصوف ، وقراضته : ما يسقط منه عند القرض والجز . وإنما طالبهم باحتقار الدنيا بعد التقسيم المتقدم لما ثبت من أن الدنيا لم تصف إلا للأشرار . أما المتقون الذين ذكرهم فانهم لم يصيبوا منها إلا العناء ، وكل ما كان من شأنه ان يأوي الى الأشرار ويجافي الأخيار فهو أجدر بالاحتقار .

بِهَا عِنْكُمْ[1].

قال الشريف —رضي الله عنه—:أقول: وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا شك فيه ، وأين الذهب من الرغام[2] والعذب من الأجاج ؟ وقد دل على ذلك الدليل الخِرِّيت[3] و نقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين، وذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته أنه قال : هذا الكلام أشبه بكلام علي وبمذهبه في تصنيف الناس، وفي الاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال، ومن التقية والخوف — أليقُ[4] قال : ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسالك الزهاد ، ومذاهب العبّاد !

ومن خطبة له عليه السلام

عند خروجه لقتال أهل البصرة[5] [وفيها حكمة مبعث الرسل]
[ثم يذكر فضله ويذم الخارجين]

قال عبد الله بن عباس —رضي الله عنه— : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار[6] وهو يخصف نعله[7] فقال لي : ما قيمة هذه

(١) : أي : من كان أشد تعلقاً بها منكم .
(٢) الرغام – بالفتح – : التراب ، وقيل : هو الرمل المختلط بالتراب .
(٣) الخريت – بوزن سكيت – الحاذق في الدلالة ، وفعله كفرح .
(٤) تصنيف الناس : تقسيمهم ، وتبيين أصنافهم .
(٥) في وقعة الجمل .
(٦) بلد بين واسط والكوفة ، وهو قريب من البصرة ، وكانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت فيه العرب قبل الاسلام .
(٧) يخصف نعله : يخرزها .

النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ! فقال عليه السلام : والله لهي أحب الي من إمرتكم ، إلا ان أقيم حقاً ، أو أدفع باطلا ، ثم خرج فخطب الناس فقال :

حكمة بعثة النبي

إِنَّ ٱللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ (١) فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ (٢) ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ .

فضل علي

أَمَا وَٱللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا (٣) حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا :

---

(١) بوأهم محلتهم ، أي : أنزلهم منزلتهم ، فالناس قبل الاسلام كانوا كأنهم غرباء مشردين والاسلام هو منزلهم الذي يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف ، فالنبي ﷺ ساق الناس حتى اوصلهم الى منزلهم من الاسلام الذي كانوا قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك [ونفي وجود قراءة الكتب منصرف الى جمهور العرب الذين لم يكن لهم دين ولا كتاب أما من كانوا يقرأون فقد كان دينهم محرّفاً] .

(٢) القناة : العود ، والرمح [والمراد به القوة والغلبة والدولة] والكلام تمثيل لاستقامة احوالهم . والصفاة : الحجر الصلد الضخم ، وأراد به مواطيء اقدامهم . والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل اقدامهم . [واطمأنت صفاتهم اي انهم كانوا على حجر املس متزلزل فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم] .

(٣) « إن كنت الخ » . إن هذه هي المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشان محذوف ، والاصل « إنه كنت الخ » . والمعنى قد كنت ، والساقة : مؤخر الجيش السائق لمقدمه ، وولت بحذافيرها : بجملتها وأسرها ، ويقال : « اخذه

مَا عَجَزْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا (١) وَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ (٢).

توبيخ الخارجين عليه

مَالِي وَلِقُرَيْشٍ! وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ (٣) وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ! (٤).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في استنفار الناس إلى أهل الشام [بعد فراغة من أمر الخوارج]
[وفيها يتأفف بالناس وينصح لهم بطريق السداد]

أُفٍّ لَكُمْ، لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

بجذفاره» بكسر الجاء وسكون الذال – و «اخذه بجذفوره» – بضم فسكون– و «اخذه بجذافيره»، والضمائر في «ساقتها»، و «ولت بجذافيرها» عائدة الى الحادثة المفهومة من الحديث وهي ما انعم الله به من بعثة النبي ﷺ ليخرجهم من الظلمات الى النور، ومن الذلة للعزة. وقال الشارح ابن ابي الحديد: الضمائر للجاهلية المفهومة من الكلام، و كونه في ساقتها انه طارد لها. ويضعفه أن ساقة الجيش منه لا من مقاتليه، فلو كان في ساقة الجاهلية لكان من جيشها، نعوذ بالله، ويمكن تصحيح كلام الشارح بجعل الساقة جمع سائق، اي: كنت في الذين يسوقونها طرداً حتى ولت.

(١) اي: انه يسير الى الجهاد في سبيل الحق.

(٢) الباطل يبادر الاوهام فيشغلها عن الحق، ويقوم حجاباً مانعاً للبصيرة عن الحقيقة، فكأنه شيء اشتمل على الحق فستره، وصار الحق في طيه، والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق، وحال الامام في كشف الباطل وإظهار الحق.

(٣) [اي لا قاتلتهم طالما كانوا على الفتنة والبعد عن الحق].

(٤) [في هذا اشارة الى عدم تغيّر حاله منذ حارب مع النبي في بدء البعثة فهو كما حاربهم على الكفر في الجاهلية يحاربهم على البغي في الاسلام].

مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً ؟ وَ بالذُّلِّ مِنَ ٱلعِزِّ خَلَفاً ؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إلى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ ٱلمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ (١) ، وَمِنَ ٱلذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حِوَارِي فَتَعْمَهُونَ (٢) . وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ (٣) فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ ٱللَّيَالِي (٤) وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ ، وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ (٥) مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا ، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ ٱنْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ (٦) ، لَبِئْسَ — لَعَمْرُ ٱللهِ —

---

(١) [أف كلمة تضجّر] . دوران الاعين : اضطرابها من الجزع ، ومن غمره الموت يدور بصره ، فانهم يبدون من غمرة الموت الشدة التي تنتهي اليه ، يشير الى قوله تعالى : (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) .

(٢) [الذهول النسيان والسهو] الحوار — بالفتح وربما كسر — هو مراجعة الكلام . و « يرتج » بمعنى يغلق ، وتقول : رتج الباب — كضرب — اي : أغلقه ، اي : لا تهتدون لفهمه ، فتعمهون : مضارع عَمِهَ — كعلم وقطع — اي : تتحيرون وتترددون [وهذه الحيرة والتردد إما من مخافة دعوة الامام وإما من الموت] .

(٣) المألوسة : المخلوطة بمس الجنون .

(٤) سجيس — بفتح فكسر — كلمة تقال بمعنى ابداً ، وسجيس : أصله من « سجس الماء » بمعنى تغير و كدر ، وكان اصل الاستعمال ما دامت الليالي بظلامها ، اي : ما دام الليل ليلاً . ويقال سجيس الاوجس — بفتح الجيم وضمها — و « سجيس عجيس » مصغرا ، كل ذلك بمعنى ابدا ، اي : انهم ليسوا بثقاة عنده يركن اليهم ابداً [لخلفهم للوعد و كذبهم] .

(٥) الزافرة من البناء : ركنه ، ومن الرجل عشيرته [وانصاره] . وقوله « يمال بكم » اي : يمال على العدو بعزكم وقوتكم [وهو وصف لهم بالذل والضعف] .

(٦) [تشبيههم بالابل التي ضل رعاتها دقيق رائع لضعفهم وتشتت آرائهم وعدم اجتماعهم على مصلحة] .

سَعْرُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ (١) ! تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ (٢) لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غُلِبَ وَٱللهُ ٱلْمُتَخَاذِلُونَ ، وَأَيْمُ (٣) ٱللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى وَٱسْتَحَرَّ ٱلْمَوْتُ قَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلرَّأْسِ (٤) . وَٱللهِ إِنَّ ٱمْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ (٥) ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ ؛ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ (٦) أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ (٧)

---

(١) السعر : أصله مصدر سعر النار – من باب نفع – أوقدها ، اي : لبئس ما توقد به الحرب انتم ، ويقال : إن « سعر » جمع ساعر كشرب جمع شارب وركب جمع راكب [وليسوا هم للحرب لجبنهم وفساد رأيهم] .

(٢) امتعض : غضب .

(٣) غلب – مبني للمجهول – والمتخاذلون الذين يخذل بعضهم بعضاً ولا يتناصرون .

(٤) حمس – كفرح – اشتد وصلب في دينه فهو حمس كفرح وحذر ، والوغى : الحرب ، واستحر : بلغ في النفوس غاية حدته ، وقوله « انفراج الرأس » اي : انفراجاً لا التئام بعده ، فان الرأس إذا انفرج عن البدن او انفرج احد شقيه عن الآخر لم يعد للالتئام [وقيل أن أول من تكلم به اكثم بن صيفي في وصيته لابنه ، وقيل انفراج الرأس معناه فساد انتظام عظامه فإنه لا يصح بعده وقيل انفراج رأس الولد عن امه حين الولادة] .

(٥) يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم ، وفراه يفريه : مزقه يمزقه .

(٦) ما ضمت عليه الجوانح : هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية ، والجوانح : الضلوع تحت الترائب ، والترائب : ما يلي الترقوتين من عظم الصدر ، او ما بين الثديين والترقوتين ، يريد : ضعيف القلب .

(٧) [أنت فكن ذاك إن شئت : قيل هو للتهديد] ويمكن أن يكون خطاباً

فَأَمَّا أَنَا فَوَٱللّٰهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ ٱلْهَامِ ، وَتَطِيحُ ٱلسَّوَاعِدُ وَٱلْأَقْدَامُ [1] وَيَفْعَلُ ٱللّٰهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ .

طريق السداد

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ : فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ [2] ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعَلَّمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي ٱلْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ [3] .

عاماً لكل من يمكن عدوه من نفسه . ويروى أنه خطاب للأشعث بن قيس عندما قال له « هلا فعلت فعل ابن عفان » فأجابه بقوله : إن فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ، وإن امرأ [أمكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رأيه !]

(١) أي : لا يمكن عدوه من نفسه حتى يكون دون ذلك ضرب بالمشرفية ، وهي السيوف التي تنسب إلى مشارف ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف . ولا يقال في النسبة اليها مشارفي ؛ لأن الجمع ينسب الى واحده ، ويقال : إن المشرفية نسبة الى موضع في بلاد اليمن لا إلى مشارف الشام ، وفراش الهام : العظام الرقيقة التي تلي القحف ، و « تطيح السواعد » أي : تسقط وفعله كباع وقال .

(٢) الفيء : الخراج وما يحويه بيت المال .

(٣) [بين لهم طريق السداد بأمور أربعة هي عليه لهم : توفير الفيء عليهم والنصح لهم وتعليمهم وتأديبهم ، وأربعة هي عليهم له : الوفاء بالبيعة والنصيحة له غائباً وحاضراً وإجابة دعوته ودوام الطاعة له ، فهن أربع لقاء أربع وليس لأحد فضل على الآخر من راع ولا من رعية] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد التحكيم [وما بلغه من أمر الحكمين]
[وفيها حمد الله على بلائه ثم بيان سبب البلوى]

الحمد على البلاء

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ (١) وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ (٢) وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

سبب البلوى

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَيْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي (٣) لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ

---

(١) من فدحه الدين — كقطع — أي: أثقله وعاله وبهظه، والحدث — بالتحريك — الحادث [وهو ما وقع من أمر الحكمين كما هو مشهور في التاريخ

(٢) [وليس معه غيره: تأكيد لكلمة التوحيد وتقرير لها].

(٣) الحكومة: حكومة الحكمين: عمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري وذلك بعدما وقف القتال بين علي امير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان في حرب صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة؛ فان جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون عليه رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم إلى كتاب الله، وكانت الحرب أكلت من الفريقين، فانخدع القراء وجماعة تتبعوهم من جيش علي، وقالوا: دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالاجابة اليه، فقال لهم أمير المؤمنين: إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة! أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد

أَمْرٌ[1] فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُنَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ[2] وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا ان يقطع دابر الذين ظلموا، فخالفوا واختلفوا، فوضعت الحرب أوزارها وتكلم الناس في الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما في كتاب الله، فاختار معاوية عمرو ابن العاص، واختار بعض اصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعري، فلم يرض أمير المؤمنين واختار عبد الله بن عباس فلم يرضوا، ثم اختار الأشتر النخعي فلم يطيعوا، فوافقهم على أبي موسى مكرهاً بعد ان أعذر في النصيحة لهم فلم يذعنوا. فقد نخل لهم أي أخلص رأيه في الحكومة أولاً وآخراً. [ووجه المشابهة ان أجود ما ينتفع به هو مما ينخل من دقيق ونحوه] ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبي موسى لعمرو بن العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية ثم صعود عمرو بعده وإثباته معاوية وخلعه أمير المؤمنين. وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه.

(١) هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش، وكان حاذقاً وكان قد أشار على سيده جذيمة ان لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته، فقال قصير: «لا يطاع لقصير أمر» فذهبت مثلاً.

(٢) يريد بالناصح نفسه، أي: أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك في نصيحته وظن ان النصح غير نصح، وان الصواب ما أجمعوا عليه وتلك سنة البشر: إذا كثر المخالف للصواب اتهم المصيب نفسه. وقوله «ضن الزند بقدحه» أي: أنه لم يعد له بعد ذلك رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم، وهكذا المشير الناصح إذا اتهم واستغش عشت بصيرته وفسد رأيه. «وأخو هوازن» هو دريد بن الصمة. ومنعرج اللوى: اسم مكان، واصل اللوى من الرمل: الجدد بعد الرملة. ومنعرجه: منعطفه يمنة ويسرة. وفي هذه القصيدة.

فلما عصوني كنت منهم، وقد أرى غوايتهم، وأنني غير مهتدي
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد

ومن خطبة له عليه السلام

(في تخويف أهل النهروان[1])

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ ، وَبِأَهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ[2] عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ : قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ[3] وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ ،

---

(١) النهروان : اسم لأسفل نهر بين لخافيق ، وطرفاه على مقربة من الكوفة في طرف صحراء حروراء . ويقال لأعلى ذلك النهر «تامر» ، وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه في التحكيم قد نقضوا بيعتــه ، وجهروا بعداوته ، وصاروا له حرباً ، واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع ، وهؤلاء يلقبون بالحرورية لما تقدم ان الأرض التي اجتمعوا فيها كانت تسمى حروراء ، وكان رئيس هذه الفئة الضالة حرقوص بن زهير السعدي ، ويلقب بذي الثدية (تصغير ثدية) خرج اليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقالتهم ، والعودة إلى بيعتهم ، فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال اصحابه كرم الله وجهه ، فأمر بقتالهم ، وتقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه [وقيل انه – عليه السلام – خاطب بها الخوارج الذين قتلهم بالنهروان] .

(٢) صرعى : جمع صريع ، أي : طريح ، أي : إني أحذركم من اللجاج في العصيان فتصبحوا مقتولين مطروحين: بعضكم في أثناء هذا النهر ، وبعضكم بأهضام هذا الغائط . والأهضام: جمع هضم وهو المطمئن من الوادي . والغائط: ما سفل من الارض والمراد منها المنخفضات .

(٣) اي : صرتم في متاهة ومضلة ، لا يدع الضلال لكم سبيلاً إلى مستقر من اليقين ، فأنتم كمن رمت به داره وقذفته . ويقال : « تطاوحت به النوى » اي : ترامت . وقد يكون المعنى أهلكتكم دار الدنيا ، كما اخترناه في الطبعة الاولى . والمقدار : القدر الالهي ، واحتبلهم : اوقعهم في حبالتـه فهم مقيدون للهلاك لا لا يستطيعون منه خروجاً [وهي استعــارة جيدة لاحاطة القدر بهم كما تحيط الحبالة بالصيد] .

وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ[1] ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءِ الْهَامِ[2] ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ ، وَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[3] ، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(يجري مجرى الخطبة[4])

[وفيه يذكر فضائله ـ عليه السلام ـ قاله بعد وقعة النهروان]

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا[5] وَنَطَقْتُ

---

(١) نهاهم عن إجابة اهل الشام في طلب التحكيم بقوله : « انهم ما رفعوا المصاحف ليرجعوا الى حكمها ـ إلى آخر ما تقدم في الخطبه السابقة » . وقد خالفوه بقولهم : دعينا الى كتاب الله فنحن أحق بالاجابة اليه ، بل اغلظوا في القول حتى قال بعضهم : لئن لم تجبهم الى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك .

(٢) الهام : الرأس وخفتها كناية عن [الطيش] وقلة العقل .

(٣) البجر ـ بالضم ـ : الشر والأمر العظيم والداهية ، وقال الراجز * ارمي عليها وهي شيء بجر * اي : داهية ويقال « لقيت منه البجاري » ، وهي الدواهي ، واحدها بجري مثل قمري وقماري . [ولا ابالكم كلمة في لغة العرب يراد بها المدح او الذم او هي دعاء عليهم بفقدان الأب الذي يلزم منه نفي العشيرة] .

(٤) هذا الكلام ساقه الرضى كأنه قطعة واحدة لغرض واحد ، وليس كذلك ، بل هو قطع غير متجاورة ، كل قطعة منها في معنى غير ما للأخرى ، وهو اربعة فصول : الأول من قوله : فقمت بالأمر الى قوله : واستبددت برهانها ، والفصل الثاني من قوله : كالجبل لا تحركه القواصف إلى قوله : حتى أخذ الحق منه . والفصل الثالث من قوله : رضينا من الله قضاءه ، إلى قوله : فلا أكون اول من كذب عليه . والفصل الرابع ما بقي [وهذا التقسيم كما في نسخة ابن ميسم] .

(٥) يصف حاله في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ومقاماته في الأمر بالمعروف

حِينَ تَعْتَعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً[1] وَأَعْلاَهُمْ فَوْتاً[2] فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا ، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا[3] كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَلاَ تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ : لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ[4] وَلاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ . الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . رَضِينَا عَنِ اللهِ قَضَاءَهُ ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ[5] ، أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى

والنهي عن المنكر ايام الأحداث ، اي : انه قام بانكار المنكر حين فشل القوم ، اي : حين جبنهم وخورهم ، والتقبع : الاختباء ، والتطلع : ضده ، ويقال : امرأة طلعة قبعة : تطلع ثم تقبع رأسها ، اي : تدخله كما يقبع القنفذ ، اي : يدخل رأسه في جلده ، وقبع الرجل : أدخل رأسه في قميصه . اي : انه ظهر في إعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصواب حين كان يختبىء القوم من الرهبة ، ويقال : « تقبع فلان في كلامه » إذا تردد من عي او حصر ، فقد كان ينطق بالحق ويستقيم به لسانه ، والقوم يترددون ولا يبينون [وتعتعوا اصلها تعتعوا خففت فيها تاء والتعتعة الاضطراب في الكلام] .

(١) كناية عن ثبات الجأش ؛ فإن رفع الصوت عند المخاوف إنما هو من الجزع ، وقد يكون كناية عن التواضع ايضاً .

(٢) الفوت : السبق .

(٣) هذا الضمير وسابقه يعودان الى الفضيلة المعلومة من الكلام : فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو يمثل حاله مع القوم بحال خيل الحلبة ، والعنان للفرس معروف ، وطار به : سبق به . والرهان : الجعل الذي وقع التراهن عليه .

(٤) الهمز والغمز : الوقيعة ، أي : لم يكن فيّ عيب أعاب به وهذا هو الفصل الثاني ، يذكر حاله بعد البيعة ، أي أنه قام بالخلافة كالجبل الخ . وقوله الذليل عندي - الخ ، أي : إنني أنصر الذليل فيعز بنصري ، حتى إذا أخذ حقه رجع إلى ما كان عليه قبل الانتصار بي . ومثل ذلك يقال فيما بعده .

(٥) قوله « رضينا - الخ » كلام قاله عندما تفرس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به من انباء الغيب .

رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَٱللهِ لَانَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ، وَإِذَا ٱلْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي [1] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها]

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ ٱلشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ ٱلْحَقَّ : فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ ٱللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ ٱلْهُدَى [2] وَأَمَّا أَعْدَاءُ ٱللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلضَّلَالُ ، وَدَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى ، فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر]

[وفيها يبدي عذره ويستنهض الناس لنصرته]

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ [3] وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ،

---

(١) قوله « فنظرت الخ » هذه الجملة قطعة من كلام له في حال نفسه بعد وفاة رسول الله ﷺ . بين فيه أنه مأمور بالرفق في طلب حقه ، فأطاع الأمر في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فبايعهم امتثالاً لما أمره النبي به من الرفق . وإيفاء بما أخذ عليه النبي من الميثاق في ذلك .

(٢) سمت الهدى : طريقته ، وقوله « فما ينجو من الموت الخ » ليس ملتئماً مع ما قبله فهو قطعة من كلام آخر ضمه الى هذا على نحو ما جمع الفصول المتقدمة [ويحتمل أن يكون الكلام متصلاً ويكون الغرض منه التذكير بالموت والزوال لكي يرجع الضلال عن ضلالهم ويتفهموا الأمور بعد إعمال الرأي لئلا يقعوا في الشبهة] .

(٣) منيت : بليت .

لَا أَبَا لَكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ[1] أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْراً ، حَتَّى تَكَشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ؟[2] فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ؛ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ[3] ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ[4]) .

---

(١) حمشه – كنصره – جمعه ، وحمش القوم : ساقهم بغضب . أو من أحمشه : بمعنى أغضبه ، أي : تغضبكم على أعدائكم ، والمستصرخ : المستنصر [المستجلب مَن ينصره بصوته] ، و « متغوثاً » أي قائلا « واغوثاه » .

(٢) تكشف : مضارع حذف زائده ، والأصل تتكشف ، أي انكم لاتزالون تخالفوني وتخذلوني حتى تنجلي الأمور والأحوال عن العواقب التي تسوءنا ولا تسرنا [وهو تعبير ينبه إلى أقصى تثاقلهم عن دعوته وانتظاره عقابهم على القعود عنه] .

(٣) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته [عند عسفه] [واستعارة لفظ الجرجرة لكثرة تضجرهم مما يدعوهم اليه ونسبتها الى الجمل لأن جرجرة الجمل الأسرّ أشد من جرجرة غيره] ، والأسرّ : المصاب بداء السَّرَر ، وهو مرض في الكركرة ينشأ من الدبرة . والنضو : المهزول من الابل ، والأدبر : المدبور ، أي : المجروح المصاب بالدبرة – بالتحريك – وهي العقر والجرح من القتب ونحوه .

(٤) وهذا الكلام خطب به امير المؤمنين في غارة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر من أعمال امير المؤمنين ، وعليها إذ ذاك من قبله مالك بن كعب الأرحبي [وكان اميراً على عين التمر من قِبَل علي وكان قد أسَرَ النعمان بن بشير عند فراره من علي ثم أطلقه فعاد عليه النعمان بجيش من معاوية ولم يكن مع مالك سوى مائة رجل أو نحوها فكتب إلى أمير المؤمنين يستعينه بمدد] .

قال السيد الشريف : أقول : قوله عليه السلام : « متذائب » أي مِضطرب ، من قولهم تذاءبت الريح ، اي : اضطرب هبوبها . ومنه يسمى الذئب ذئبا ؛ لاضطراب مشيته .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلامُ

في الخوارج لما سمع قولهم : لا حكم إلا لله

قال عليه السلام : كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ ! [1] نَعَمْ إِنَّهُ لا حُكْمَ إِلَّا لِلهِ [2] ، وَلَٰكِنْ هٰؤُلَاءِ يَقُولُونَ : لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلهِ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ [3] يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ [4] .

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :

---

(١) [أي قول الخوارج لا حكم إلا لله ودعاؤهم إلى كتاب الله ولكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل فتور الحرب عنهم] .

(٢) [وقول علي تصديق لقولهم ولكن لما عليه الكلمة من لفظ ومعنى] .

(٣) برهان على بطلان زعمهم أنه لا إمرة إلا لله بأن البداهة قاضية ان الناس لا بد لهم من أمير بر أو فاجر حتى تستقيم أمورهم ، وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لاحراز دينه ودنياه ، وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الأجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة ، وتجري سائر المصالح المذكورة . ويمكن ان يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار ، وبالكافر الأمير الفاجر ، كما تدل عليه الرواية الأخرى . وقوله « أما الامرة البرة الخ » .

(٤) [أي يستريح برٌّ بوجودها ويستراح من تعدي الفاجر وبغيه] .

حُكْمَ ٱللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ :

ثُم قال : أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ ؛ وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه]

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ (١) وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ ! وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً (٢) وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ . مَا لَهُمْ ! قَاتَلَهُمُ ٱللهُ ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ وَنَهْيِهِ ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ،

---

(١) التوأم : الذي يولد مع الآخر في حمل واحد ، فالصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق احدهما الآخر في الوجود ولا في المنزلة : والجنة – بالضم – الوقاية [واصلها ما استترت به من سلاح ونحوه] ومن علم ان مرجعه إلى الله ؛ وهو سريع الحساب ، لا يمكن ان يعدل عن الوفاء إلى الغدر [والعلم بكيفية المرجع يكون بالاطلاع على منازل الرحلة إلى الله وعلى احوال الآخرة التي تصرف عن ارتكاب المحرمات] .

(٢) الكيس – بالفتح – العقل ، واهل ذلك الزمان يعدون الغدر من العقل وحسن الحيلة ، كأنهم اهل السياسة من بني زماننا ، وامير المؤمنين يعجب من زعمهم ، ويقول : ما لهم قاتلهم الله يزعمون ذلك مع ان الحول القلب – بضم الأول وتشديد الثاني من اللفظين ، اي : البصير بتحويل الأمور وتقليبها – قد يرى وجه الحيلة في بلوغ مراده ، لكنه يجد دون الأخذ بـه مانعاً من امر الله ونهيه ، فيدع الحيلة وهو قادر عليها ، خوفاً من الله ، ووقوفاً عند حدوده .

وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَحَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ [1] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيه يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا]

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَطُولُ الْأَمَلِ [2] ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ [3] فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ [4] كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا ، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [5] ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ، وَغَداً حِسَابٌ

---

(١) الحريجة . التحرج ، اي : التحرز من الآثام .

(٢) طول الأمل : هو استفساح الأجل ، والتسويف بالعمل ، طلباً للراحة العاجلة ، وتسلية للنفس بامكان التدارك في الأقات المقبلة ، وهذا من أقبح الصفات ، أما قوة الأمل في نجاح الأعمال الصالحة ، ثقة بالله ويقيناً بعونه ، فهي حيـــاة كل فضيلة ، وسائقة لكل مجد ؛ والمحرومون منها آيسون من رحمة الله ، تحسبهم أحياء وهم أموات لا يشعرون .

(٣) الحذاء ــ بالتشديد ــ الماضية السريعـة [والدنيـا بالنسبة إلى كل شخص مولية مفارقة لم يبق منها بالقياس اليه إلا اليسير] .

(٤) الصبابة ــ بالضم ــ البقية من الماء واللبن في الاناء . و « اصطبها صابها » كقولك : أبقاها مبقيها ، او تركها تاركها [ولما نبه ــ عليه السلام ــ الى إجفال الدنيا أردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الآخرة] .

(٥) [واستعارة لفظ الأبناء للخلق من لطائف كلامـه ــ عليه السلام ــ لأن الابن لاحق بأبيه خِلْقَةً او ميلًا] .

وَلا عَمَلَ .

قال الشريف : أقول : الجذاء . السريعة ، ومن الناس من يرويه جَذَّاء [1] .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جريراً بن عبد الله البجلي إلى معاوية [2] [ولم ينزل معاوية على بيعته]

إِنَّ ٱسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلاقٌ لِلشَّامِ ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ أَرَادُوهُ . وَلٰكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً . وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا ، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ [3] .

---

(١) جذاء – بالجيم – أي : مقطوع خيرها ودرها .

(٢)[هو من بجيلة ويكنى أبا عمرو أسلم سنة عشر في رمضان وهاجر إلى المدينة وكان جميلاً حتى قيل له : يوسف هذه الأمة – وكانت نهاية أمره ان اعتزل علياً ومعاوية وتوفي بالشراة سنة أربع وخمسين] .

(٣) [الاستعداد التهيؤ للأمر والخداع الأخـذ بالحيلة والأناة اسم من التأني وأرْوِدوا أمهلوا] يقول أمير المؤمنين إنه ارسل جريراً ليخابر معاوية وأهل الشام في البيعة له ، والدخول في طاعته ، ولم ينقطع الأمل منهم ، فاستعداده للحرب ، وجمعه الجيوش ، وسوقها إلى أرضهم إغلاق لأبواب السلم على أهل الشام ، وصرف لهم عن الخير إن كانوا يريدونه . فالرأي الأناة ، أي : التأني ، ولكنه لا يكره الاعداد، أي : أن يعد كل شخص لنفسه مايحتاج اليه في الحرب من سلاح ونحوه ، ويفرغ نفسه مما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعي اليها لم يبطىء في الاجابة ، ولم يجد ما يمنعه عن اقتحامها . وقوله « أرودوا » أي : سيروا برفق .

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هـٰذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ [1] ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَرَ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً ، وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالاً ، فَقَالُوا ، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا [2] .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما هرب مَصْقَلة بنُ هبيرةَ الشيباني إلى معاوية ، وكان قد ابتاع سَبْيَ بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم [3] فلما طالبه

(١) مثل تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر ، وإنما خص الأنف والعين لأنها أظهر شيء في صورة الوجه ، وهما مستقلت النظر . والمراد من الكفر في كلامه الفسق ، لأن ترك القتال تهاون بالنهي عن المنكر ، وهو فسق لا كفر .

(٢) يريد من الوالي الخليفة الذي كان قبله [وهو عثمان بن عفان – رضي الله عنه –] ، وتلك الأحداث معروفة في التاريخ ، وهي التي أدت بالقوم إلى التألب على قتله ، ويروى : « قال » بالقاف بدل « وال » ؛ ولا أظنها إلا تحريفاً ، وإن كنت أتيت على تفسيرها في الطبعة الاولى .

(٣) كان الحريث بن راشد الناجي – أحد بني ناجية – مع أمير المؤمنين في صفين ، ثم نقض عهده في صفين ، ونقم عليه في التحكيم ، وخرج يفسد الناس ، ويدعوهم للخلاف ، فبعث اليه أمير المؤمنين كتيبة مع معقل ابن قيس الرياحي ، لقتاله هو ومن انضم اليه ، فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس ؛ وبعد دعوته إلى التوبة وإبائه قبولها شدت عليه ، فقتل وقتل معه كثير من قومه ، وسبى من أدرك في رحالهم من الرجال والنساء والصبيان ؛ فكانوا خمسمائة أسير . ولما رجع معقل بالسبي مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وكان عاملاً لعلي على أردشير ، خرج فبكى اليه النساء والصبيان ، وتصايح الرجال يستغيثون في فكاكهم ، فاشتراهم من معقل بخمسمائة الف درهم ، ثم امتنع من أداء المبلغ [وقيل بل أدى منه مائتي الف وعجز عن الباقي] ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فراراً تحت أستار الليل

بالمال خاس به وهرب إلى الشام[1] [خوفاً من أمير المؤمنين ـ عليه السلام]

قَبحَ ٱللهُ مَصْقَلَةَ ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ! فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ[2] ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ[3] وَٱنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ[4] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر ، وفيها يحمد الله ويذم الدنيا]

حمد الله

اَلْحَمْدُ لِلهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ مِنْ عِبَادَتِهِ ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .

ذم الدنيا

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ[5] ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ ، وَهِيَ

[وناجية قبيلة نسبوا أنفسهم إلى أسامة بن لؤي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسمتهم بني ناجية وهي أمهم] .

(١) خاس به : خان .

(٢) [ما أنطق مادحه حتى أسكته معناه أنه ما كاد يثير مادحه على ما فعل من الفداء حتى أسكته بما عمل من الفرار . وذلك كقولهم: ما اجتمعوا حتى تفرقوا]

(٣) [قبحه الله أي نحاه عن الخير . وبكته: قرّعه]، ميسوره : ما تيسر له.

(٤) وفوره : زيادته [مصدر وَفَر المال أي نما. وقد أنكر عليه الامام ـ عليه السلام ـ التناقض في أخلاقه وأعماله إذ عمل عمل أهل الحمية فاشترى القوم وأعتقهم ثم عمل عمل العبيد الجبناء إذ فرّ] .

(٥) [القنوط : اليأس. والاستنكاف : الاستكبار] ومني لها الفناء ـ ببناء

حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[1] ، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ[2] وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ[3] ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ[4] وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ[5] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند عزمه على المسير إلى الشام[6]

[وهو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب]

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ[7] ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ،

الفعل للمجهول ـ أي : قدر لها ، والجلاء : الخروج من الأوطان .

(١) تميل لها بما يألفه الذوق ، ويروق النظر .

(٢) عجلت للطالب : أسرعت اليه والتبست بقلب الناظر : اختلطت به محبة وعلقة .

(٣) أحسن ما بحضرتكم ، أي : أفضل الأشياء الحاضرة عندكم ؛ وذلك فاضل الأخلاق ، وصالح الأعمال .

(٤) الكفاف : ما يكفك أي: يمنعك عن سؤال غيرك ،وهو مقدار القوت .

(٥) البلاغ : ما يتبلّغ به ، أي : يقتات به [مدة الحياة] .

(٦) وذلك بعد حرب الجمل حيث اختلف عليه معاوية بن أبي سفيان، ولم يدخل في بيعته، وقام للمطالبة بدم عثمان، واستهوى أهل الشام، واستنصرهم لرأيه فعززوه على الخلاف ، وسار اليه أمير المؤمنين ، والتقيا بصفين ، واقتتلا مدة غير قصيرة ، وانتهى القتال بتحكيم الحكمين : عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري .

(٧) الوعثاء : المشقة [وأصله المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الأرجل فيه] والكآبة : الحزن . والمنقلب : مصدر بمعنى الرجوع ، وأول الكلام مروي عن رسول الله ﷺ في الكتب الصحيحة ، وأتمه أمير المؤمنين بقوله : « ولا يجمعها غيرك ـ الخ » . وذات الله تستوي عندها الأمكنة كما تستوي الأزمنة : فالحضر والسفر عندها سواء ، وليس هذا الشأن لغير الذات الأقدس .

وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ [1] ؛ لأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً ، وَالْمُسْتَصْحَبَ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً .

قال السيد الشريف رضي الله عنه : وابتداء هذا الكلام مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله – وقد صفاه أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ [2] تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ [3] ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللّهُ بِشَاغِلٍ ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ .

---

(١) [ضمير التثنية في يجمعهما راجع الى الاستخلاف والاستصحاب وقد رجع الامام فبينهما بعد في قوله : لأن المستخلف الخ ..] .

(٢) العكاظي : نسبة الى عكاظ – كغراب – وهو سوق كانت تقيمه العرب في صحراء بين نخله والطائف ، يجتمعون اليه من بداية شهر ذي القعدة ليتعاكظوا – أي : يتفاخروا – كل بما لديه من فضيلة وأدب ، ويستمر الى عشرين يوماً ، وليتبايعوا أيضاً ، وأكثر ما كان يباع [ذلك] الأديم بتلك السوق فنسب اليها [فلما جاء الاسلام رفع ذلك] ، والأديم : الجلد المدبوغ ، وجمعه أدم – بفتحتين ، وضمتين – ، وآدمة كأرغفة وقوله « تمدين – الخ » : تصوير لما ينالها من العسف والخبط ، و « تعركين » : من « عركتهم الحرب » إذا مارستهم ، والنوازل : الشدائد ، والزلازل : المزعجات من الخطوب .

(٣) [وقوله – عليه السلام – كأني بك كذا وكذا إنما هو قول مشاهد الكوفة العارف بمستقبلها . وهو شهادة بكثرة الظلم الواقع على أهلها ولذلك شبهه بمدّ الأديم] .

ومن خطبة له عليه السلام

عند المسير إلى الشام

[قيل إنه خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة الى صفين]

اَلْحَمْدُ لِلهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ (١)، وَالْحَمْدُ لِلهِ كُلَّمَا لاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ (٢)، وَالْحَمْدُ لِلهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلا مُكَافَأَ الْإِفْضَالِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي (٣) وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ (٤) فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ (٥).

---

(١) وقب: دخل. وغسق: اشتدت ظلمته.

(٢) خفق النجم: غاب، ولاح: ظهر [وفي الجملتين إشارة الى تعاقب الليل والنهار وكمال النعمة بمطالع النجوم ومغاربها. وذلك يستلزم حمد الله دائماً].

(٣) أراد بمقدمته صدر جيشه ومقدمة الانسان – بفتح الدال – صدره، والملطاط: حافة الوادي وشفيره وساحل البحر، والسمت أي: الطريق، وقول الشريف «يعني بالملطاط السمت» تبيين لمراد أمير المؤمنين من لفظ الملطاط في كلامه، لاتفسيراً للفظ في نفسه، وقوله «وهو شاطىء الفرات»: بيان للسمت، أي: الطريق، وقوله: «ويقال ذلك» أي: لفظ الملطاط، تفسير للفظ الملطاط في استعمال اللغويين، فاندفع بهذا ما اورده ابن أبي الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى.

(٤) الشرذمة: النفر القليلون، والأكناف: الجوانب، و«موطنين الأكناف» أي: جعلوها وطناً، يقال: أوطنت البقعة [وكانت هذه الشرذمة التي اقتطعها ثمانمائة رجل من اهل المدائن وهم الموطنون اكناف دجلة].

(٥) الامداد: جمع مدد، وهو ما يمد به الجيش لتقويته، وهذه الخطبة نطق

قال السيد الشريف: أقول: يعني — عليه السلام — بالملطاط هنا السمت الذي أمرهم بلزومه وهو شاطيء الفرات، ويقال ذلك أيضاً لشاطيء البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعني بالنطفة ماء الفرات. وهو من غريب العبارات وأعجبها.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيه جملة من صفات الربوبية والعلم الالهي]

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ ٱلْأُمُورِ (١). وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ ٱلظُّهُورِ، وَٱمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ ٱلْبَصِيرِ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ: (٢) سَبَقَ فِي ٱلْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ. وَقَرُبَ فِي ٱلدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ (٣) فَلَا ٱسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ

بها امير المؤمنين وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة الى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين. [وكانت المقدمة التي بعثها — عليه السلام — تحت زياد بن النضر وشريح بن هانيء في اثني عشر الف فارس وأمرهم ان يلزموا شاطيء الفرات. فأخذوا شاطئها من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغوا عانات].

(١) بطن الخفيات: علمها [من باطنها] والأعلام: جمع علم — بالتحريك — وهو ما يهتدى به، ثم عم في كل ما دل على شيء، وأعلام الظهور: الادلة الظاهرة التي بظهورها تظهر غيرها.

(٢) كان الأليق بعد قوله «وامتنع على عين البصير» يفسره ما جاء في رواية اخرى، وهو «فلا قلب من لم يره ينكره ولا عين من اثبته تبصره»، وما جاء في الكتاب معناه ان من لم يره لا ينكره اعتماداً على عدم رؤيته لظهور الادلة عليه، ومن اثبته لا يستطيع اكتناه حقيقته.

(٣) علا كل شيء بذاته وكماله وجلاله. وقرب من كل شيء بعلمه وإرادته وإحاطته وعنايته، فلا شيء إلا وهو منه، فأي شيء يبعد عنه؟

شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ بِهِ فِي ٱلْمَكَانِ. لَمْ يُطْلِعِ ٱلْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ [(١)] ، فَهُوَ ٱلَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ ٱلْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي ٱلْجُحُودِ [(٢)] تَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يَقُولُ ٱلْمُشَبِّهُونَ وَٱلْجَاحِدُونَ لَهُ ـ عُلُوّاً كَبِيراً .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن]

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً [(٣)] عَلَى غَيْرِ دِينِ ٱللهِ ، فَلَوْ أَنَّ ٱلْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى ٱلْمُرْتَادِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ ٱلْبَاطِلِ ٱنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ ٱلْمُعَانِدِينَ [(٤)] وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ [(٥)]

---

(١) [يفهم من ذلك انه لا حدّ لحقيقته ولكنه وهب لكل نفس قسطاً من معرفته] .

(٢) إن قلب الجاحد إن انكره فما انكاره إلا افتعال مما عرض عليه من اثر الفواعل الخارجة عن فطرته وظهور أعلام الوجود في الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره قلب الجاحد ، فلا مناص له من الاقرار في الواقع ،وإن ظهر الجحود في كلامه وبعض اعماله .

(٣) يستعين عليها رجال برجال .

(٤) المرتادين : الطالبين للحقيقة ، أي : لو كان الحق خالصاً من ممازجة الباطل ومشابهته لكان ظاهراً لا يخفى على من طلبه .

(٥) الضغث ـ بالكسر ـ قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس،يريد أنه إن اخذ الحق من وجه لم يعدم شبيهاً له من الباطل يلتبس به ، وإن نظر الى الباطل لاح كأن عليه صورة الحق فاشتبه به ، فذلك ضغث الحق ، وهذا ضغث

فَيُمْزَجَانِ ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى .

ومن خطبة له عليه السلام

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة[1] الفرات بصفين ومنعوهم الماء

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ[2] فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ؛ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تُرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ . وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ[3] . وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ[4] حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ[5] .

الباطل ومصادر الاهواء التي ينشأ عنها وقوع الفتن انما هي من الالتباس الواقع بين الحق والباطل .

(١) الشريعة : مورد الشاربة من النهر .

(٢) طلبوا منكم ان تطعموهم القتال كما يقال « فلان يستطعمني الحديث » أي : يستدعيه مني . وقوله « فأقروا الخ » أي إما ان تثبتوا على الذل وتأخر المنزلة ، وإما ان ترووا سيوفكم الخ .

(٣) [وقوله فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين من لطائف الكلام ومحاسنه بقوله ان الموت الذي عساهم يفرون من القتال خوفاً منه موجود في الغاية التي يطلبونها من ترك القتال] اللمة - بضم اللام وتشديد الميم - الأصحاب في السفر ، وبتخفيفها : الجملة القليلة مطلقـــاً ، او من الثلاثة الى العشرة . والتقليل مستفاد من الاول بطريق الكناية ، ومن الثاني على الحقيقة الصريحة ، وفي الأول الاشارة الى انهم ليسوا بأهل حرب .

(٤) عمس الكتاب والخبر - كنصر - اخفاه و « عمس عليه » اي: أريته انك لا تعرف الأمر وأنت به عارف ، والأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف .

(٥) [وتشبيه النحور باغراض المنية وجهه انها اشبهت ما ينصبه الرامي هدفاً

ومن خطبة له عليه السلام

[وهي في التزهيد من الدنيا وثواب الله للزاهد ونعم الله على الخلق]

التزهيد في الدنيا

أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا ، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ (١) فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا (٢) وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا ، وَقَدْ (٣) أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْواً ، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً (٤) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ (٥) أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ (٦) فَأَزْمِعُوا

وهو قول بليغ] .

(١) [تنكر معروفها خفي وجهل] حذاء : مسرعة ورحم حذاء : مقطوعة غير موصولة ، وفي رواية « جذاء » - بالجيم - اي مقطوعة الدر والخير .

(٢) تحفزهم : تدفعهم وتسوقهم ، حفزه يحفزه : دفعه من خلفه أو هو بمعنى تطعنهم من « حفزه بالرمح » إذا طعنه .

(٣) تحدر - بالراء ، من باب نصر وضرب - أي : تحوطهم بالموت ، وفي رواية - وهي الصحيحة - « تحدو » بالواو بعد الدال ، أي تسوقهم بالموت إلى الهلاك ، فكون الفقرة في معنى سابقتها مؤكدة لها .

(٤) أمرّ الشيء : صار مراً ، و كدر كدراً - كفرح فرحاً - و كدر - بالضم ككظرف - كدورة : تعكر وتغير لونه واختلط بما لا يستساغ هو معه .

(٥) السملة - محركة - بقية الماء في الحوض ، والأداوة : المطهرة ، وهي إناء الماء الذي يتطهر به ، والمقلة - بالفتح - حصاة يضعها المسافرون في إناء ، ثم يصبون الماء فيه ليغمرها ، فيتناول كل منهم مقدار ما غمره ، لا يزيد احدهم عن الآخر في نصيبه : يفعلون ذلك إذا قل الماء ، وأرادوا قسمته بالسوية .

(٦) التمزز : الامتصاص قليلاً قليلاً ، والصديان : العطشان « وقوله « لم ينقع » أي : لم يرو .

عِبَادَ ٱللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هٰذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ[1] وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ.

ثواب الزهاد

فَوَٱللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ[2] وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ[3] وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ[4] وَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱللهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ[5] — لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

نعم الله

وَٱللهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثاً[6]، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا — مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ[7] مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ — وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ

(١) فأزمعوا الرحيل: أي اعزموا عليه، يقال: أزمع الأمر؛ ولا يقال أزمع عليه، وجوزه الفراء بمعنى عزم عليه وأجمع، والمراد من العزم على الرحيل مراعاته والعمل له.

(٢) كل أنثى فقدت ولدها فهي واله وواهة، والعجال من الابل: التي فقدت ولدها.

(٣) هديل الحمام: صوته في بكائه لفقد إلفه.

(٤) جأرتم: رفعتم أصواتكم؛ والجؤار: الصوت المرتفع، أي: تضرعتم الى الله بأرفع أصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل، والمتبتل: المنقطع للعبادة.

(٥) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد.

(٦) انماثت: ذابت.

(٧) «ما الدنيا باقية» أي: مدة بقائها.

جُهْدِكُمْ - أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمْ العِظَامَ وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلإِيمَانِ[1] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكرى يوم النحر [وصفة الأضحية]

وَمِنْ تَمَامِ الأُضْحِيَةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا[2] وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا . فَإِذَا سَلِمَتِ الأُذُنُ وَالعَيْنُ سَلِمَتِ الأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ - وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ القَرْنِ[3] تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى المَنْسَكِ[4] .

قال السيد الشريف : والمنسك هنا المذبح .

---

(١) قوله « ما جزت » جواب « لو اناثت » وقوله « أنعمه عليكم العظام » مفعول « جزت » أي : ما كافأ ذلك أنعمه الكبار عليكم . وقوله « ولو لم تبقوا شيئاً - الخ » اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي في الجواب ، وقوله « وهداه إياكم » عطف على أنعمه : من عطف الخاص على العام ؛ فإن الهداية الى الايمان من أكبر النعم .

(٢) الأضحية : الشاة التي طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى ، واستشراف الأذن : تفقدها حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة . وفي الحديث : « أمرنا أن نستشرف العين والأذن » ، أي : نتفقدها . وذلك من كمال الأضحية ، أي : من كمال عملها وتأدية سنتها . وتكون سلامة عينها عطفاً على أذنها . وقد يراد من استشراف الأذن طولها وانتصابها يقال : « أذن شرفاء » أي : منتصبة طويلة ، فسلامة عينها عطف على استشراف . والتفسير الأول أمس بقوله « فاذا سلمت الأذن » .

(٣) عضباء القرن : مكسورته .

(٤) « تجر رجلها الى المنسك » أي عرجاء .. والمنسك : المذبح ، وفي صفات الاضحية وعيوبها المخلة بها تفصيل وخلافات تطلب من كتب الفقه .

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام]

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وُرُودِهَا[١] قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا ، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا[٢] حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰـذَا الأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ[٣] فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤] فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ[٥] .

ومن كلام له عليه السلام

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلُّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ[٦] الْمَوْتِ ؟ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي

---

(١) تداكوا : تزاحموا عليه ليبايعوه رغبة فيه ، والهيم : العطاش [من الابل] ويوم ورودها : يوم شربها [من الورد] .

(٢) جمع المثناة ـ بفتح الميم وكسرها ـ حبل من صوف او شعر يعقل به البعير.

(٣) [اي انه ـ عليه السلام ـ قلّب وجوه الرأي حتى يتبين له ما يلزم في ترك القتال من الحظ] .

(٤) قتال البغاة من الواجب على الامام ؛ فان لم يقاتلهم على قدرة منه ـ كان منابذاً لأمر الله في ترك ما اوجبه عليه ؛ فكأنه جاحد لما جاء به رسول الله ﷺ .

(٥) [استعار لفظ الموتات للأهوال والشدائد في الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينها من المناسبة في الشدة] .

(٦) [نصب كراهية على المفعول لأجله] .

أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ [1]. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يصف أصحاب رسول الله وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح]

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا: مَا يَزِيدُنَا ذٰلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ [2] وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ

---

(١) روي أن أمير المؤمنين بعدما ملك الماء على اصحاب معاوية ساهمهم فيه؛ رجاء أن يعطفوا اليه، ولزوماً للمعدلة وحسن السيرة، ومكث أياماً لا يرسل الى معاوية ولا يأتيه منه شيء، واستبطأ الناس إذنه في قتال أهل الشام واختلفوا في سبب التريث، فقال بعضهم: كراهة الموت، وذهب بعضهم الى الشك في جواز قتال أهل الشام؛ فأجابهم: أما الموت فلم يكن ليبالي به، وأما الشك فلا موضع له، وإنما يرجو بدفع الحرب ان ينحازوا اليه بلا قتال، فان ذلك أحب اليه من القتال على الضلال، وإن كان الاثم عليهم، وتبوء بآثامها: ترجع بها، وتعشو الى ضوئه: تستدل عليه — وإن كان ببصر ضعيف — في ظلام الفتن فتهتدي اليه. عشا الى النار أي: أبصرها ليلاً ببصر ضعيف فقصدها.

(٢) اللقم — بالتحريك وبوزن صرد أيضاً —: معظم الطريق أو جادته، ويقال عليك بلقم الطريق فالزمه، ويقال أيضاً: لقم الطريق — من باب نصر — إذ سد فمه، ومضض الألم: لذعته وبرحاؤه.

تَصاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخالَسانِ أَنْفُسَهُما [١] أَيُّهُما يَسْقِي صاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ: فَمَرَّةً لَنا مِنْ عَدُوِّنا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنا مِنّا، فَلَمّا رَأَى اللهُ صِدْقَنا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنا الْكَبْتَ [٢] وَأَنْزَلَ عَلَيْنا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلامُ مُلْقِياً جِرانَهُ [٣]، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطانَهُ. وَلَعَمْرِي لَوْ كُنّا نَأْتِي ما أَتَيْتُمْ ما قامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلا اخْضَرَّ لِلْإِيمانِ عُودٌ، وَأَيْمُ اللهِ لَتَحْتَلِبُنَّها دَماً [٤] وَلَتُتْبِعُنَّها نَدَماً.

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في صفة رجل مذموم ثم في فضله هو عليه السلام]

أَمّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ [٥] يَأْكُلُ ما يَجِدُ، وَيَطْلُبُ ما لا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ

---

(١) يتخالسان: كل منهما يطلب اختلاس روح الآخر، والتصاول: أن يحمل كل قرن على قرنه.

(٢) الكبت: الذل والخذلان.

(٣) جران البعير – بالكسر –: مقدم عنقه من مذبحه الى منحره، وإلقاء الجران: كناية عن التمكن.

(٤) الاحتلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن، والضمير المنصوب يعود الى اعمالهم المفهومة من قوله «ما أتيتم»، واحتلاب الدم تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من اعمالهم، وسيتبعون تلك الاعمال بالندم عندما تصيبهم دائرة السوء او تحل قريباً من دارهم.

(٥) مندحق البطن: عظيم البطن بارزه، كأنه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين عنه، وأصل «اندحق» بمعنى اندلق، وفي الرحم خاصة. والدحوق – من النوق – التي يخرج رحمها عند الولادة، ورحب البلعوم: واسعه، يقال: عنى به زياداً، وبعضهم يقول: عنى المغيرة بن شعبة، والبعض يقول: معاوية [وبعضهم يقول عنى به الحجاج].

تَقْتُلُوهُ! [1] أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي: أَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي؛ فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ [2].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به الخوارج [3] [حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا: ألا حكم إلا لله]

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ [4]، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ. أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلّاً شَامِلاً وَسَيْفاً قَاطِعاً وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً [5].

قال الشريف: قوله عليه السلام «ولا بقي منكم آبر» يروى بالباء

---

(١) أمرهم أولا بقتله، لأنه يستحق ذلك، ثم اخبر انهم ليسوا بقاتليه، وانهم سيخالفون هذا الامر.

(٢) قد تسب شخصاً وأنت مكره، ولحبه مستبطن، فتنجو من شر من اكرهك، وما أكرهك على سبه إلا مستعظم لأمره يريد ان يحط منه وذلك زكاة للمسبوب. أما البراءة من شخص فهي: الانسلاخ من مذهبه.

(٣) زعم الخوارج خطأ الامام في التحكيم وغلوا فشرطوا في العودة الى طاعته ان يعترف بانه كان قد كفر ثم آمن، فخاطبهم بكلام منه هذا الكلام.

(٤) الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب والحصاء، والجملة دعاء عليهم بالهلاك.

(٥) «أوبوا شر مآب» انقلبوا شر منقلب بضلالكم في زعمكم، وارتدوا على اعقابكم بفساد هواكم، فلن يضرني ذلك شيئاً وانا على بصيرة في امري. ثم انذرهم بما سيلاقون من سوء المنقلب والاثرة والاستبداد فيهم، والاختصاص بفوائد الملك دونهم، وحرمانهم من كل حق لهم.

والراء من قولهم للذي يأبر النخل – أي : يصلحه – ويروى « آثر » وهو الذي يأثر الحديث ويرويه أي يحكيه ، وهو أصح الوجوه عندي ، كأنه عليه السلام قال : لا بقي منكم مَنْ يَرْوي حديثا ! ويروى « آبز » – بالزاي المعجمة – وهو الواثب . والهالك أيضاً يقال له آبز .

وقال عليه السلام [في الخوارج

لما عزم على حرب الخوارج وقيل له : إنَّ القوم عبروا جسر النهروان :

مَصَارِعُهُم دُونَ النُّطْفَةِ ، وَٱللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ [1] لا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ .

قال الشريف : يعني بالنطفة ماء النهر ، وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جما .

ولما قتل الخوارج قيل له : يا أمير المؤمنين ، هلك القوم بأجمعهم !

قال عليه السلام :

كَلاَّ وَٱللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ [2] كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ .

---

(١) إنه ما نجا منهم إلا تسعة تفرقوا في البلاد ، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين إلا ثمانية .

(٢) « قرارات النساء » كناية عن الأرحام ، و « كلما نجم منهم قرن » أي : كلما ظهر وطلع منهم رئيس قتل ، حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلابين لا يقومون بملك ، ولا ينتصرون إلى مذهب ، ولا يدعون إلى عقيدة ، شأن الأشرار الصعاليك الجهلة .

وقال عليه السلام :

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي ، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ (يعني معاوية وأصحابه [١]) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لمَّا خُوِّفَ من الغيلة [٢]

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً [٣] فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي ، فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ [٤] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يحذر من فتنة الدنيا]

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا [٥] وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ

---

(١) الخوارج من بعده – وإن كانوا قد ضلوا بسوء عقيدتهم فيه ، إلا أن ضلتهم لشبهة تمكنت من نفوسهم : فاعتقدوا الخروج عن طاعة الامام بما يوجبه الدين عليهم ، فقد طلبوا حقاً وأرادوا تقريره شرعاً فأخطأوا الصواب فيه – لكنهم بعد أمير المؤمنين يخرجون بزعمهم هذا على من غلب على الامرة بغير حق ، وهم الملوك الذين طلبوا الخلافه باطلا فأدركوها وليسوا من أهلها ، فالخوارج على ما بهم أحسن حالاً منهم .

(٢) الغيلة : القتل على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل [وكان خوّف من ابن ملجم مراراً ، خوّفه منه الأشعث] .

(٣) الجنة – بالضم – الوقاية ، والملجأ ، والحصن .

(٤) طاش السهم عن الهدف – من باب باع – أي : جاوزه ولم يصبه . الكلم – بالفتح – الجرح [واستعار السهم للمرض ونحوه من ضرب أو قتل فيكون سبباً للموت ولفظ الكَلْم للأثر الناشيء عن تلك الاسباب] الكلم بالفتح : الجرح

(٥) اي : من اراد السلامة من محنتها فليهيىء وسائل النجاة وهو فيها ، إذ

كَانَ لَهَا[1] : أُبْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا، أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ[2] وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ، وَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ[3] : بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ[4]، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ[5]، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ[6] وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ

بعد الموت لا يمكن التدارك، ولا ينفع الندم. فوسائل النجاة إما عمل صالح، أو اقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح، وكلاهما لا يكون إلا في دار التكاليف وهي دار الدنيا.

(١) أي : لا نجاة بعمل يعمل للدنيا ؛ إذ كل عمل يقصد به لذة دنيوية فانية فهو هلكة لا نجاة.

(٢) « ما اخذوه منها لها »، كالمال يدخر للذة، ويقتنى لقضاء الشهوة، و « ما اخذوه لغيرها »، كالمال ينفق في سبيل الخيرات، يقدم صاحبه في الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم.

(٣) إضافة « الفيء » الى « الظل » إضافة الخاص للعام ؛ لأن الفيء لا يكون إلا بعد الزوال.

(٤) [بينا أصله بين بمعنى التوسط فأشبعت الفتحة فحدثت الف]. سابغاً : ممتداً ساتراً للأرض ؛ وقلص : انقبض، وحتى هنا لمجرد الغاية بلا تدريج، اي : ان غاية سبوغه الانقباض، وغاية زيادته النقص.

(٥) « بادروا الآجال بالأعمال » أي : سابقوها وعاجلوها بها، اي : استكملوا اعمالكم قبل حلول آجالكم.

(٦) ابتاعوا : اشتروا ما يبقى من النعيم الابدي، بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية.

بِكُمْ[1]، وَٱسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ[2] وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَٱنْتَبَهُوا[3] وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَٱسْتَبْدَلُوا فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى[4]، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ[5]

---

(١) « الترحل » الانتقال، والمراد هنا لازمه، وهو: إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل والزاد في الانتقال عن الدنيا ليس إلا زاد التقوى وقوله « فقد جد بكم » أي: فقد حثثتم وأزعجتم الى الرحيل، او فقد أسرع بكم مسترحلكم وأنتم لا تشعرون.

(٢) الاستعداد للموت: إعداد العدة له، او طلب العدة للقائه، ولا عدة له إلا الاعمال الصالحة. وقوله « فقد أظلكم » اي: قرب منكم حتى كأن له ظلاً قد ألقاه عليكم.

(٣) اي: كونوا قوماً حذرين اذا استنامتهم الغفلة وقتاً ما، ثم صاح بهم صائح الموعظة؛ انتبهوا من نومهم، وهبوا لمطلب نجاتهم وقوله « وعلموا — الخ » اي: عرفوا الدنيا، وانها ليست بدار بقاء وقرار، فاستبدلوها بدار الآخرة، وهي الدار التي ينتقل اليها.

(٤) تعالى الله ان يفعل شيئاً عبثاً وقد خلق الانسان وآتاه قوة العقل التي تصغر عندها كل لذة دنيوية، ولا تقف رغائبها عند حد منها مهما علت رتبته، فكأنها مفطورة على استصغار كل ما تلاقيه في هذه الحياة وطلب غاية أعلى مما يمكن ان ينال فيها؛ فهذا الباعث الفطري لم يوجده الله تعالى عبثاً، بل هو الدليل الوجداني المرشد الى ما وراء هذه الحياة، و « سدى » اي: مهملين بلا راع يزجركم عما يضركم ويسوقكم الى ما ينفعكم وأصل السدى — بضم السين، وتفتح — الابل المهملة بلا راع، ويقال بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، ورعاتنا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخلفاؤهم.

(٥) « ان ينزل به » في محل رفع بدل من الموت، اي: ليس بين الواحد منا وبين الجنة إلا نزول الموت به إن كان قد أعد للجنة عدتها، ولا بينه وبين النار إلا نزول الموت به إن كان قد عمل بعمل اهلها، فما بعد هذه الحياة إلا الحياة الاخرى وهي إما شقاء وإما نعيم.

وَإنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ[١] وَإنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ[٢] وَإنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا، فِي الدُّنْيَا، مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً[٣] فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ، غَلَبَ شَهْوَتَهُ[٤] فَإنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ. وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا[٥] حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونَ عَنْهَا[٦] فَيَالَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي

(١) تلك الغاية هي الاجل . و « تنقصها » اي : تنقص أمد الانتهاء اليها، وكل لحظة تمر فهي نقص في الأمد بيننا وبين الاجل ، والساعة تهدم ركناً من ذلك الامد ، وما كان كذلك فهو جدير بقصر المدة .

(٢) ذلك الغائب هو الموت . ويحدوه : يسوقه ، والجديدان الليل والنهار ، لأن الاجل المقسوم لك إن كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بكرورهما عليك يسوقان اليك ذلك المنتظر على رأس الألف ، وما أسرع مرهما ، والانتهاء الى الغاية ، وما اسرع اوبة ذلك الغائب الذي يسوقانه اليك – اي : رجوعه – والموت هو ذلك القادم إما بفوز وإما بشقوة ، وعدته الاعمال الصالحة ، والملكات الفاضلة .

(٣) « ما تحرزون به انفسكم » اي : تحفظونها به ، وذلك هو تقوى الله في السر والنجوى ، وطاعة الشرع ، وعصيان الهوى .

(٤) قوله « فاتقى عبد ربه » وما بعده : أوامر بصيغة الماضي ، ويجوز ان يكون بياناً للتزود المأمور به في قوله « فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم» او بياناً لما يحرزون به انفسهم .

(٥) « يسوفها » اي : يؤجلها ، ويؤخرها .

(٦) قوله « أغفل ما يكون » حال من الضمير في « عليه » . والمنية : الموت ، اي : لا يزال الشيطان يزين له المعصية ويمنيه بالتوبة ان تكون في مستقبل العمر ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو في أشد الغفلة عنه .

غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً[1]، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ، نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ[2]، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها مباحث لطيفة من العلم الالهي]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً[3] فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ[4]، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ

---

(١) يكون عمره حجة عليه لأنه اوتي فيه المهلة، ومكن فيه من العمل، فلم ينشط له.

(٢) لا تبطره النعمة: لا تطغيه، ولا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر اليه.

(٣) ما لله من وصف فهو كذاته يجب بوجوبها، فكما ان ذاته - سبحانه - لا يدنو منها التغير والتبدل، فكذلك اوصافه هي ثابتة له معا، لا يسبق منها وصف وصفاً، وإن كان مفهوماً قد يشعر بالتعاقب - إذا اضيفت الى غيره - فهو أول وآخر أزلا وأبدا، اي: هو السابق بوجوده لكل موجود، وهو بذلك السبق باق لا يزول وكل وجود سواه، فعلى أصل الزوال مبناه، ثم هو في ظهوره بأدلة وجوده، باطن بكنهه: لا تدركه العقول، ولا تحوم عليه الاوهام.

(٤) الواحد: أقل العدد، ومن كان واحداً منفرداً عن الشريك محروماً من المعين كان محتقراً لضعفه، ساقطاً لقلة انصاره، أما الوحدة - في جانب الله - فهي علو الذات عن التركيب المشعر بلزوم الانحلال، وتفردها بالعظمة والسلطان، وفناء كل ذات سواها اذا اعتبرت منقطعة النسبة اليها، فوصف غير الله بالوحدة تقليل، والكمال في عالمه ان يكون كثيرا، إلا الله. فوصفه بالوحدة تقديس

قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا [1] وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ [2] ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ [3] ، وَلَا شَرِيكٍ مُكَابِرٍ ،

وتنزيه . وبقية الاوصاف ظاهرة .

(١) السامعون من الحيوان والانسان – لقوى سمعهم حد محدود ، فما خفي من الاصوات لا يصل اليها ، فهي صماء عنه ، فيصم – بفتح الصاد – مضارع « صم » – من باب علم – إذ أصيب بالصمم وفقد السمع ، وما عظم من الاصوات حتى فات المألوف الذي يستطاع احتماله يحدث فيها الصمم بصدعه لها ، فيصم – بكسر الصاد ، وضم حرف المضارعة – مضارع « أصم » وما بعد من الاصوات عن السامع – بحيث لا يصل موج الهواء المتكيف بالصوت اليه – ذهب عن تلك القوى فلا تناله . كل ذلك في غيره سبحانه . اما هو – جل شأنه – فيستوي عنده الخفي والشديد ، والقريب والبعيد : لأن نسبة الاشياء اليه واحدة . ومثل ذلك يقال في البصر والبصراء .

(٢) الباطن هنا غيره فيما سبق ، أي : كل ما هو ظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو باطن بذاته ، أي لا وجود له في نفسه ، فهو معدوم بحقيقته ، وكل باطن سواه فهو بهذا المعنى ، فلا يمكن ان يكون ظاهراً بذاته ، بل هو باطن ابداً .

(٣) الند – بكسر النون – النظير والمثل ، ولا يكون إلا مخالفاً ، وجمعه أنداد ، مثل حمل وأحمال ، ويقال : فلان ند فلان ، أي : نظيره . ويقال : فلانة ند فلانة ، ولا يقال : فلانة ند فلان . والمثاور : المواثب والمحارب . والشريك المكاثر أي المفاخر بالكثرة ، هذا إذا قرىء بالثاء المثلثة . ويروى المكابر – بالباء الموحدة – أي : المفاخر بالكبر والعظمة ، و « الضد المنافر » أي المحاكي في الرفعة

وَلا ضِدّ مُنافِر ؛ وَلٰكِنْ خَلائِقُ مَرْبُوبُون ، وَعِبادٌ دَاخِرُونَ[(١)] ، لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْياءِ فَيُقالُ هُوَ كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقالُ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ[(٢)] لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ[(٣)] وَلا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ[(٤)] ، وَلا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَلا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيما قَضَى وَقَدَّرَ[(٥)] . بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ[(٦)] . الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ ، وَالْمَرْجُوُّ مِنَ النِّعَمِ .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في تعليم الحرب والمقاتلة]

[والمشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهرير أو أول اللقاء بصفين]

مَعاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ[(٧)] وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ[(٨)] فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ . وَأَكْمِلُوا

والحسب ، يقال : نافرته في الحسب فنفرته ، اي : غلبته وأثبت رفعتي عليه .

(١) مربوبون : أي مملوكون ، وداخرون : أذلاء ، من دخر .

(٢) «لم ينأ عنها» أي: لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن،أي: منفصل.

(٣) «لم يؤُدْه» أي : لم يثقله ، آده الأمر يؤوده : أثقله وأتعبه .

(٤) ذرأ أي : خلق .

(٥) ولجت عليه : دخلت .

(٦) مبرم: محتوم، وأصله من «أبرم الحبل» جعله طاقين،ثم فتله.وبهذا أحكمه

(٧) استشعر : لبس الشعار ، وهو ما يلي البدن من الثياب . وتجلبب : لبس الجلباب ، وهو ما تغطي به المرأة ثيابها من فوق ؛ ولكون الخشية – أي: الخوف من الله – غاشية قلبية عبر في جانبها بالاستشعار ، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة لأنها عارضة تظهر في البدن ، كما لا يخفى .

(٨) النواجذ . جمع ناجذ ، وهو أقصى الأضراس . ولكل إنسان أربعة نواجذ

اللَّأْمَةَ (١) وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا (٢)، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ (٣) وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ (٤) وَنَافِحُوا بِالظُّبَا (٥)، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا (٦). وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ (٧)، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ (٨) فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً (٩)، وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ

وهي بعد الأرحاء. ويسمى الناجذ ضرس العقل؛ لأنه ينبت بعد البلوغ. وإذا عضضت على ناجذك تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماغك فكانت هامتك أصلب وأقوى على مقاومة السيف، فكان أنبى عنها، وأبعد عن التأثير فيها، والهام: جمع هامة، وهي الرأس.

(١) اللأمة: الدرع. وإكمالها أن يزاد عليها البيضة ونحوها. وقد يراد من اللأمة آلات الحرب والدفاع، وإكمالها على هذا استيفاؤها.

(٢) مخافة ان تستعصي عن الخروج عند السل.

(٣) الخزر – محركة – النظر، كأنه من أحد الشقين، وهو علامة الغضب.

(٤) اطعنوا – بضم العين – فاذا كان في النسب مثلاً كان المضارع مفتوحها، وقد يفتح فيهما. والشزر – بالفتح – الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً.

(٥) نافحوا: كافحوا وضاربوا، والظبا – بالضم – جمع ظبة، وهي طرف السيف وحده.

(٦) «صلوا» من الوصل، اي اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا اعدائكم جمع خطوة، او اذا قصرت سيوفكم عن الوصول الى اعدائكم فصلوها بخطاكم.

(٧) «بعين الله» اي: ملحوظون بها.

(٨) الفر: الفرار، وهو عار في الاعقاب؛ اي: في الاولاد، لأنهم يعيرون بفرار آبائهم. وقوله «وطيبوا عن انفسكم نفسا» اي: ارضوا ببذلها فانكم تبذلونها اليوم لتحرزوها غداً.

(٩) السجح – بضمتين – السهل.

الْمُطَنَّبِ[١] فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ[٢] فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ[٣]، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً، فَصَمْداً صَمْداً[٤] حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ، وَاللهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ[٥]).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة[٦] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام:

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟!

قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟

---

(١) الرواق – ككتاب وغراب – الفسطاط، والمطنب: المشدود بالأطناب جمع طنب – بضمتين – وهو حبل يشد به سرادق البيت. وأراد بالسواد الاعظم جمهور اهل الشام، والرواق: رواق معاوية.

(٢) الثبج – بالتحريك – الوسط.

(٣) كسره – بالكسر – شقه الاسفل، كناية عن الجوانب التي يفر اليها المنهزمون، والشيطان الكامن في الكسر: مصدر الاوامر بالهجوم والرجوع، فان جبنتم مد يده للوثبة، وإن شجعتم أخر للنكوص والهزيمة رجله.

(٤) الصمد: القصد، اي: فاثبتوا على قصدكم.

(٥) لن ينقصكم شيئاً من جزائها.

(٦) سقيفة بني ساعدة: اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لاختيار خليفة له.

فقال عليه السلام :

لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ !

ثم قال عليه السلام :

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ : قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام : اُحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ[1] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فمُلِكَتْ عليه و قُتِل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ[2] ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ ، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ[3] وَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً ، وَكَانَ لِي رَبِيباً[4] .

---

(١) يريد من الثمرة آل بيت الرسول ﷺ [والثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها] .

(٢) العرصة : كل بقعة واسعة بين الدور . والمراد ما جعل لهم مجالاً للمغالبة . وأراد بالعرصة عرصة مصر ، وكان محمد قد فر من عدوه ظناً منه انه ينجو بنفسه ، فأدركوه وقتلوه .

(٣) « بلا ذم لمحمد – الخ » لما يتوهم من مدح عتبة .

(٤) قالوا : ان اسماء بنت عميس كانت تحب جعفر بن ابي طالب ، فلما قتل تزوجها ابو بكر فولدت منه محمداً ، ثم تزوجها علي بعده ، وتربى محمد في حجره ، وكان جارياً مجرى اولاده ، حتى قال علي كرم الله وجهه : محمد ابني من صلب أبي بكر .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في توبيخ بعض أصحابه]

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ[1] ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ ،[2] كُلَّمَا حِيصَتْ[3] مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ ! أَكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا ، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا ؟ ![4] ، الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[5] . إِنَّكُمْ ـ وَاللهِ ـ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ[6] قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ[7] وَلَكِنِّي لا أَرَى إِصْلاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي ! أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ[8] ، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ[9] ، لا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ

(١) البكار ـ ككتاب ـ جمع بكر : الفتى من الابل . والعمدة ـ بفتح فكسر ـ التي انفضخ داخل سنامها من الركوب ، وظاهره سليم .

(٢) المتداعية : الخلقة المتخرقة ، ومداراتها : استعمالها بالرفق التام .

(٣) حيصت : خيطت ، وتهتكت : تخرقت .

(٤) المنسر ـ كمجلس ومنبر ـ القطعة من الجيش تمر امام الجيش الكثير . وأطل : أشرف ، وانجحر : دخل الجحر ، والوجار ـ بالكسر ـ جحر الضبع وغيرها .

(٥) الأفوق من السهام : ما كسر فوقه ، اي : موضع الوتر منه . والناصل : العاري من النصل ، والسهم اذا كان مكسور الفوق عاريا عن النصل لم يؤثر في الرمية ، فهم في ضعف اثرهم وعجزهم عن النكاية بعدوهم اشبه به .

(٦) الباحات : الساحات .

(٧) أودكم ـ بالتحريك ـ اعوجاجكم .

(٨) اي : أذل الله وجوهكم .

(٩) وأتعس جدودكم ، اي : حط من حظوظكم . والنعس : الانحطاط

الْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ .

وقال عليه السلام

في سحرة اليوم الذي ضرب فيه [١]

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ [٢] فَسَنَحَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَارَسُولَ ٱللهِ ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ ؟ فَقَالَ : « اُدْعُ عَلَيْهِمْ » فَقُلْتُ : أَبْدَلَنِي ٱللهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي .

قال الشريف : يعني بالأود الاعوجاج ، وباللدد الخصام . وهذا من أفصح الكلام .

ومن خطبة له عليه السلام

في ذم أهل العراق [في زمانه وكانت بعد وقعة صفين]

[وفيها يوبخهم على ترك القتال والنصر يكاد يتم ثم تكذيبهم له]

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُم كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ! حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ [٣] وَمَاتَ قَيِّمُهَا ، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا ، وَوَرِثَهَا

والهلاك والعثار .

(١) السحرة — بالضم — السحر الاعلى من آخر الليل .

(٢) ملكتني عيني : غلبني النوم . وسنح لي رسول الله : مر بي كما تسنح الظباء والطير .

(٣) أملصت : [أسقطت] وألقت ولدها ميتاً .

أَبْعَدُهَا[١] أَمَا وَٱللهِ مَا أَتَيْتُكُمُ ٱخْتِيَاراً ، وَلٰكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً[٢] وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : يَكْذِبُ ![٣] قَاتَلَكُمُ ٱللهُ ، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ ؟ أَعَلَى ٱللهِ ؟ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ[٤] ! كَلَّا وَٱللهِ ، وَلٰكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا[٥] وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا . وَيْلُمِّهِ ! كَيْلًا بِغَيْرِ

(١) قيمها : زوجها ، وتأيمها : خلوها من الازواج ، يريد انهم لما شارفوا استئصال اهل الشام وبدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا الى السلم إجابة لطلاب التحكيم ، فكان مثلهم مثل المرأة الحامل ، لما أتمت اشهر حملها ، ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي ؛ بل بالحادث العارضي كالضربة والسقطة ، وقلما تلقيه كذلك إلا هالكاً ، ولم يكتف في تمثيل خيفتهم في ذلك حتى قال : ومات مع هذه الحالة زوجها ، وطال ذلها بفقدها من يقوم عليها ، حتى اذا هلكت من غير ولد ورثها الاباعد السافلون في درجة القرابة بمن لا يلتفت الى نسبه .

(٢) يقسم انه لم يأت العراق مستنصراً باهله اختياراً لتفضيله اياهم على من سواهم ، وانما سيق اليهم بسائق الضرورة ؛ فانه لولا وقعة الجمل لم يفارق المدينة المنورة . ويروى هذا الكلام بعبارة اخرى وهي « ما أتيتكم اختياراً ولا جئت إليكم شوقاً » بالشين المعجمة .

(٣) [والضمير راجع اليه هو - عليه السلام -] .

(٤) كان كرم الله وجهه كثيراً ما يخبرهم بما لا يعرفون، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، فيقول المنافقون من اصحابه : إنه يكذب ! كما كان المنافقون يقولون مثل ذلك للنبي ﷺ ، فهو يرد عليهم قولهم بأنه أول من آمن بالله وصدق برسوله فكيف يجترىء على الكذب على الله أو على رسوله مع قوة إيمانه وكمال يقينه ! ولا يجتمع كذب وإيمان صحيح !

(٥) « لهجة غبتم عنها » أي : ضرب من الكلام أنتم في غيبة عنه ، أي : بعد عن معناه ، ونبو طبع عما حواه ، فلا تفهمونه ؛ ولهذا تكذبونه .

ثَمَنٍ[1]! لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ. (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)[2].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله [والدعاء له]

[وفيها بيان صفات الله سبحانه وصفة النبي والدعاء له]

صفات الله

أَللَّهُمَّ دَاحِيَ ٱلْمَدْحُوَّاتِ[3]، وَدَاعِمَ ٱلْمَسْمُوكَاتِ، وَجَابِلَ

---

(١) ويله: كلمة استعظام تقال في مقام المدح وإن كان أصل وضعها لضده [وقد يكون القصد منها الترحم، ويحتمل ان يكون التعجب]، ومثل ذلك معروف في لسانهم يقولون للرجل يعظمونه ويقرظونه «لا أبالك» وفي الحديث «فاظفر بذات الدين تربت يداك» وفي كلام الحسن يحدث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعظم أمره: وما لك والتحكيم، والحق في يديك، ولا أبالك! وأصل الكلمة. ويل أمه. وقوله «كيلا» مصدر يقع مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف أي: أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلا بلا ثمن، لو أجد وعاء أكيل فيه؛ أي: لو أجد نفوساً قابلة، وعقولاً عاقلة.

(٢) [اقتبس الآية المفصحة عن مقصوده والضمير في نبأه يعـود على جهلهم وإعراضهم، وبعد حين أي بعد مفارقته لهم وابتلائهم بمن بعده]

(٣) «داحي المدحوات» أي: باسط المبسوطات، وأراد منها الأرضين، وبسطها أن تكون كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقراً ومجالاً للبشر وسائر الحيوان، تتصرف عليها هذه المخلوقات في الأعمال التي وجهت اليها بهادي الغريزة كما هو المشهود لنظر الناظر، وإن كانت الأرض في جملتها كرية الشكل. و«داعم المسموكات»: مقيمها وحافظها [بالدعامة]؛ تقول: دعمه — كمنعه —: أقامه وحفظه. والمسموكات: المرفوعات، وهي السموات، وتقول: سمكت الشيء سمكاً — كنصرته نصراً — فسمك هو سموكاً — كخرج خروجاً — يتعدى ويلزم، ومعناه رفعته وقد يراد من هذا الوصف المجهول لها سمكاً يفوق كل سمك، والسمك:

الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا[1] شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا.

صفة النبي

اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ[2]: الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ[3] قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي

الثخن المعروف في اصطلاح أهل الكلام بالعمق، ودحمه للسموات: إقامته لها، وحفظها من الهوي بقوة معنوية، وإن لم يكن ذلك بدعامة حسية. قال صاحب القاموس: المسموكات لحن، والصواب مسمكات، ولعل هذا في إطلاق اللفظ اسماً للسموات، أما لو أُطلق صفة كما في كلام الامام فهو صحيح فصيح، بل لا يصح غيره؛ فان الفعل سَمَكَ لا أسمك.

(١) «جابل القلوب»: خالقها؛ والفطرة: أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده، وهي للانسان: حالته خالياً من الآراء والاهواء والديانات والعقائد وقوله «شقيها وسعيدها» بدل من القلوب، اي: جابل الشقي والسعيد من القلوب على فطرته الاولى التي هو بها كاسب محض؛ فحسن اختياره يهديه الى السعادة، وسوء تصرفه يضله في طرق الشقاوة.

(٢) الشرائف: جمع شريفة، والنوامي: الزوائد، والخاتم لما سبق: اي لما تقدمه من النبوات، والفاتح لما انغلق: كانت ابواب القلوب قد اغلقت باقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه وآله وسلم بآيات نبوته، وأعلن الحق، وأظهره بالحق والبرهان، والاباطيل: جمع باطل على غير قياس: كما ان الاضاليل جمع ضلال على غير قياس، وجيشاتها: جمع جيشة - بفتح فسكون - من جاشت القدر إذ ارتفع غليانها، والصولات: جمع صولة، وهي السطوة، والدامغ: من دمغه إذا شجه حتى بلغت الشجة دماغه، والمراد انه قامع ما نجم من الباطل، والكاسر لشوكة الضلال وسطوته، وذلك بسطوع البرهان، وظهور الحجة.

(٣) اي: اعلن الحق بالحق، وقمع الباطل، وقهر الضلال، كما حمل تلك الاعمال

مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلا وَاهٍ فِي عَزْمٍ[1] وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً عَلَى عَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ ٱلْقَابِسِ، وَأَضَاءَ ٱلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ[2] وَهُدِيَتْ بِهِ ٱلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ ٱلْفِتَنِ، وَإِلَى مُوضِحَاتِ ٱلْأَعْلَامِ، وَنَيِّرَاتِ ٱلْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ ٱلْمَخْزُونِ[3]، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ

الجليلة بتحمله اعباء الرسالة، فاضطلع – اي: نهض بها قوياً – والضلاعة: القوة، والمستوفز: المسارع المستعجل، وقد تكون الكاف في «كما حمل» للتعليل كما في قوله: –

فقلت له ابا الملحاء خذها ... كما أوسعتنا بغياً وعدوا

(١) الناكل: الناكص والمتأخر، اي: غير جبان يتأخر عند وجوب الاقدام، والقدم – بضمتين – المشي الى الحرب، ويقال: مضى قدماً، اي: سار ولم يعرج والواهي: الضعيف. واعياً: اي حافظاً وفاهماً وعبت الحديث، اذا حفظته وفهمته. و «ماضياً على نفاذ امرك» اي: ذاهباً في سيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه.

(٢) يقال: ورى الزند – كوعى – وورى – كولي – يرى وريا ورياً ورية فهو وار: خرجت ناره، وأوريته ووريته واستوريته. والقبس: شعلة من النار، والقابس: الذي يطلب النار، يقال: قبست ناراً فأقبسني، اي: طلبت منها فأعطاني والكلام تمثيل لنجاح طلاب الحق ببلوغ طلبتهم منه وإشراق النفوس المستعدة لقوله بما سطع من انواره، والخابط: الذي يسير ليلاً على غير جادة واضحة فأضاء الطريق له: جعلها مضيئة ظاهرة، فاستقام عليها سائراً الى الغاية، وهي السعادة فكان من ذلك ان هديت به القلوب الى ما فيه سعادتها؛ بعد ان خاضت الفتن اطواراً، واقتحمتها مراراً، والخوضات؛ جمع خوضة، وهي المرة من الخوض، كما قال: «وهديت به القلوب – الخ». والاعلام: جمع علم – بالتحريك – وهو ما يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه، والاعلام: موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها.

(٣) العلم المخزون: ما اختص الله به من شاء من عباده، ولم يبح لغير اهل

ٱلدِّينِ[1] وَبعِيثُكَ بِالْحَقِّ[2] ، وَرَسُولُكَ إِلَى ٱلْخَلْقِ .

الدعاء للنبي

اَللَّهُمَّ ٱفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ[3] ، وَٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . ٱللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ[4] ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَهُ ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ ، وَٱجْزِهِ مِنَ ٱبْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ ٱلشَّهَادَةِ ، مَرْضِيَّ ٱلْمَقَالَةِ[5] ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ . ٱللَّهُمَّ

الحظوة به ان يطلعوا عليه ، وذلك مما لا يتعلق بالاحكام الشرعية .

(١) شهيدك : شاهدك على الناس ، كما قال الله تعالى : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) .

(٢) « بعيثك » ، اي : مبعوثك ، فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح .

(٣) افسح له : وسع له ما شئت ان توسع « في ظلك » ، اي : إحسانك وبرك ، فيكون الظل مجازاً ، ومضاعفات الخير : اطواره ودرجاته .

(٤) أراد من بنائه : ما شيده ﷺ بأمر ربه : من الشريعة العادلة ، والهدي الفاضل ، مما يلجأ اليه التائهون ويأوى اليه المضطهدون ، فالامام يسأل الله أن يعلي بناء شريعته على جميع الشرائع ، ويرفع شأن هديه فوق كل هدي لغيره ، واكرام المنزلة بإتمام النور ، والمراد من إتمام النور : تأييد الدين حتى يعم أهل الأرض ، ويظهر على الدين كله ، كما وعده بذلك ، وإكرام المنزلة في الآخرة قد تقدم في قوله « افسح له ، واجزه مضاعفات الخير » .

(٥) أي : اجزه على بعثك له الى الخلق وقيامه بما حملته ، واجعل ثوابه — على ذلك — الشهادة المقبولة ، والمقالة المرضية يوم القيامة : وتلك الشهادة والمقالة تصدران منه ، وهو ذو منطق عدل ، و « خطة » أي أمر فاصل . ويروى « وخطبة » — بزيادة باء بعد الطاء — أي : مقال فاصل . وقد روي أنه ﷺ يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على أمته وعلى غيرها من الأمم ، فيكون كلامه الفصل .

أَجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ ٱلْعَيْشِ وَقَرَارِ ٱلنِّعْمَةِ [١] وَمُنَى ٱلشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ ٱللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ ٱلدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى ٱلطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ ٱلْكَرَامَةِ [٢].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا: لَمَّا أُخِذَ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، استشفع بالحسن والحسين عليهما السلام [٣] إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلماه فيه، فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي قَبْلَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ [٤] لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ [٥] أَمَا إِنَّ لَهُ

---

(١) تقول العرب «عيش بارد» أي لا حرب فيه ولا نزاع لأن البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة، وقرار النعمة: مستقرها حيث تدوم ولا تفنى.

(٢) منى: جمع منية — بالضم — وهي ما يتمناه الانسان لنفسه، والشهوات: ما يشتهيه، يدعو بأن يتفق مع النبي ﷺ في جميع رغباته وميله. والرخاء: من قولهم «رجل رخي البال» أي: واسع الحال. والدعة: سكون النفس واطمئنانها والتحف: جمع تحفة، وهي ما يكرم به الانسان من البر واللطف وقد كان ﷺ من أرخى الناس بالاً، وألزمهم للطمأنينة، وأعلاهم منزلة في القلوب فالامام يطلب من الله أن يدنيه منه في جميع الصفات الكريمة. [ويراد من تحف الكرامات ثمرات الجنة وقطوفها].

(٣) استشفعهما إليه: سألهما أن يشفعا له عنده وليس من الجيد قولهم: استشفعت به.

(٤) «كف يهودية» أي: غادرة ماكرة.

(٦) السبت — بالفتح — الاست، وهو مما يحرص الانسان على إخفائه، وكني

إمْرَةً كَلعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ [1] ، وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ [2] وَسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ [3] .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَوَاللهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ مِنْ زُخْرُفِهِ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيما تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ [4] .

به عن الغـــدر الخفي ، واختاره لتحقير الغادر . وقد يكون ذلك إشارة الى ما كانت تفعله سفهاء العرب عند الغدر بعقد أو عهد : من أنهم كانوا يحبقون عند ذكره استهزاء .

(١) تصوير لقصر مدتها ، وكانت تسعة أشهر .

(٢) جمع كبش ، وهو من القوم : رئيسهم ، وفسروا الأكبش ببني عبدالملك ابن مروان هذا، وهم الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، قالوا : ولم يتول الخلافة أربعة إخوة سوى هؤلاء . ويجوز أن يراد بهم بنو مروان لصلبه وهم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، وبشر ، ومحمد ، وكانوا كباشاً ابطالاً : اما عبدالملك فولي الخلافة، وولى محمد الجزيرة ، وعبد العزيز مصر ، وبشر العراق .

(٣) [في هذا إشارة الى ما يصيب الناس من ولده من القتل وانتهاك الحرمة أما وصف اليـوم بالأحمر فإن العرب تصف الأمر الشديد بالاحمرار لكون الحمرة لون الدم] .

(٤) يقسم بالله ليسلمن الامر في الخلافة لعثمان ما دام التسليم غير ضار بالمسلمين وحافظاً لهم من الفتنة ؛ طلباً لثواب الله على ذلك، وزهداً في الامرة التي تنافسوها - اي : رغبوا فيهـــا - وإن كان في ذلك جور عليه خاصة . وأصل الزخرف :

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي (١) ؟ أَوَ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي ! وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي (٢) أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ (٣) وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ ، وَعَلَى كِتَابِ اللّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ (٤) وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ .

الذهب وكذلك الزبرج ـ بكسرتين ، بينهما سكون ـ ثم اطلق على كل مموه مزور ، وأغلب ما يقال الزبرج على الزينة من وشي أو جوهر ، و « من زخرفة » ليس للبيان ، ولكن حرف الجر للتعليل ، اي ، ان الرغبة إنما كان الباعث عليها الزخرف والزبرج ، ولولا لزوم ذلك للامارة ما كان فيها التنافس [ولا يخفى ان تسليم علي للراشدين غير التسليم لمعاوية ولذلك لزمه قتاله !] .

(١) قرفه قرفا ـ بالفتح ـ عابه ، و « علمها » فاعل « ينه » و « أمية » مفعول. اي : ألم يكن في علم بني أمية بحالي ومكاني من الدين والتحرج من سفك الدماء بغير حق ما ينهاهم عن ان يعيبوني بالاشتراك في دم عثمان ؟ خصوصاً وقد علموا اني كنت له لا عليه ، ومن أحسن الناس قولاً فيه ، و « سابقته » حاله المعلومة لهم مما تقدم . ووزع بمعنى : كف ، والتهمة ـ بفتح الهاء بعد ضم التاء ـ : رميه بعيب الاشتراك في دم عثمان .

(٢) «ولما ـ الخ » : اللام هي التي للتأكيد ، و«ما» موصول مبتدأ ، و«أبلغ» خبره . والله قد وعظهم في الغيبة بانها في منزلة اكل لحم الاخ ميتاً .

(٣) « حجيج المارقين » اي : خصيمهم ، والمارقون : الخارجون من الدين ، والمرتابون : الذين لا يقين لهم ، وهو ـ كرم الله وجهه ـ قارعهم بالبرهان الساطع فغالبهم .

(٤) الامثال : متشابهات الاعمال والحوادث : تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع ، وما خالفه فهو الباطل الممنوع ، وهو ـ كرم الله وجهه ـ قد

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في الوعظ بعشرين عظة]

رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا [١] وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا [٢]: رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ. قَدَّمَ خَالِصاً، وَعَمِلَ صَالِحاً، اكْتَسَبَ مَذْخُوراً [٣] وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً رَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عِوَضاً [٤] كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ. جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ. رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ [٥]، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ. اغْتَنَمَ الْمَهَلَ [٦] وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

جرى على حكم كتاب الله في اعماله، فليس للغامز عليه ان يشير اليه بطعن، ما دام ملتزماً لأحكام الكتاب.

(١) الحكم هنا: الحكمة، قال الله تعالى: (وآتيناه الحكم صبياً) ووعى: حفظ وفهم المراد واعتبر بما سمع وعمل عليه، ودنا: قرب من الرشاد الذي دعا اليه.

(٢) الحجزة ـ بالضم ـ: معقد الازار، ومن السراويل موضع التكة. والمراد الاقتداء والتمسك، يقال: أخذ فلان بحجزة فلان، إذا اعتصم به ولجأ اليه.

(٣) اكتسب مذخوراً: كسب بالعمل الجليل ثواباً يذخره ويعده لوقت حاجته.

(٤) رمى غرضاً: قصد الى الحق فأصابه، وكابر هواه: غالبه. ويروى «كاثر» بالمثلثة ـ اي: غالبه بكثرة افكاره الصائبة فغلبه.

(٥) الغراء: النيرة الواضحة، والمحجة: جادة الطريق ومعظمه، والطريقة الغراء والمحجة البيضاء: سبيل الحق ومنهج العدل.

(٦) المهل هنا: مدة الحياة مع العافية، فانه أمهل فيها دون ان يؤخذ بالموت أو تحل به بائقة العذاب، فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه لآخرته، فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتزوده من طيب العمل.

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[وذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه]

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقاً. وَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ!

ويروى « التراب الوذمة » . وهو على القلب[1] .

قال الشريف : وقوله عليه السلام « ليفوقونني » أي : يعطونني من المال قليلا كفواق الناقة ، وهو الحلبة الواحدة من لبنها ، والوذام : جمع وذمة وهي : الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض[2] .

ومن كلمات كان يدعو بها

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي ، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي[3] اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ

---

(١) على القلب ، أي : إن الحقيقة « الوذام التربة » كما في الرواية الأولى ، لا « التراب الوذمة » إذ لا معنى له ، فهذه الرواية يراد منها مقلوبها .

(٢) الحزة ـ بالضم ـ القطعة ، وفسر صاحب القاموس « الوذمــة » بمجموع المعى والكرش [واستعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا] .

(٣) وأيت : وعدت ، وأى ـ كوعى ـ وعد وضمن ، وإذا عزمت على عمل خير فكأنك وعدت من نفسك بتأدية أمر الله فإن لم توف به فكأن الله لم يجد عندك وفاء بما وعدته ، فتكون قد أخلفته ، ومخلف الوعد مسيء ، فهو يطلب المغفرة على هذا النوع من الاساءة .

قَلْبِي[1]. اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي رَمَزَاتِ الأَلْحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الأَلْفَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ[2].

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[يحرم تعلم التنجيم]

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك — من طريق علم النجوم —

فقال عليه السلام:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ[3]؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الإِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ؛ وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ؛ لِأَنَّكَ — بِزَعْمِكَ أَنْتَ —

---

(١) تقريب باللسان مع مخالفة القلب، كأن يقول: الحمد لله على كل حال، ويسخط على أغلب الأحوال، أو يقول: إياك نعبد وإياك نستعين، وهو يستعين بغير الله، ويعظم أشباهاً ممن دونه.

(٢) رمزات الألحاظ: الاشارة بها، والألحاظ: جمع لحظ، وهو باطن العين. أما اللحاظ — وهو مؤخرُ العين — فلا أعرف له جمعاً إلا لحظ — بضمتين — وسقطات الألفاظ: لغوها؛ والجنان: القلب، واللب، وشهواته: ما يكون من ميل منه الى غير الفضيلة، وهفوات اللسان: زلاته.

(٣) حاق به الضر: أحاط به.

هَدَيْتَهُ إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي نَالَ فِيهَا ٱلنَّفْعَ وَأَمِنَ ٱلضُّرَّ !!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ ٱلنُّجُومِ ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ [1] فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى ٱلْكَهَانَةِ ، وَٱلْمُنَجِّمُ كَٱلْكَاهِنِ [2] وَٱلْكَاهِنُ كَٱلسَّاحِرِ وَٱلسَّاحِرُ كَٱلْكَافِرِ ! وَٱلْكَافِرُ فِي ٱلنَّارِ ، سِيرُوا عَلَى ٱسْمِ ٱللَّهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد [فراغه] من حرب الجمل ، في ذم النساء ببيان نقصهن

مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ ، إِنَّ ٱلنِّسَاءَ نَوَاقِصُ ٱلْإِيمَانِ [3] ، نَوَاقِصُ

---

(١) طلب لتعلم علم الهيئة الفلكية وسير النجوم وحركاتها للاهتداء بها ، وإنما ينهي عما يسمى علم التنجيم ، وهو : العلم المبنى على الاعتقاد بروحانية الكواكب ، وان لتلك الروحانية العلوية سلطاناً معنوياً على العوالم العنصرية ، وان من يتصل بارواحها - بنوع من الاستعداد ومعاونة من الرياضة - تكاشفه بما غيب من اسرار الحال والاستقبال .

(٢) الكاهن : من يدعي كشف الغيب ، وكلام امير المؤمنين حجة حاسمة لخيالات المعتقدين بالرمل ، والجفر ، والتنجيم ، وما شاكلها ، ودليل واضح على عدم صحتها ، ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية .

(٣) خلق الله النساء ، وحملهن على ثقل الولادة وتربية الاطفال الى سن معينة لا تكاد تنتهي حتى تستعد لحمل وولادة ، وهكذا فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية . فكأنهن قد خصصن لتدبير امر المنزل وملازمته ، وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها ازواجهن ، فخلق اليهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة ، فكن - في احكامه - غير لاحقات للرجال ، لا في العبادة ، ولا الشهادة ولا الميراث .

ٱلْحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ : فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى ٱلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ ٱلرِّجَالِ ، فَٱتَّقُوا شِرَارَ ٱلنِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي ٱلْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي ٱلْمُنْكَرِ [1] .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في بيان الزهادة]

أَيُّهَا النَّاسُ ، الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ [2] فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ

---

(١) لا يريد ان يترك المعروف لمجرد امرهن به ؛ فان في ترك المعروف مخالفة السنة الصالحة ، خصوصاً إن كان المعروف من الواجبات ، بل يريد ان لا يكون فعل المعروف صادراً عن مجرد طاعتهن ، فأذا فعلت معروفاً فافعله لأنه معروف ولا تفعله امتثالاً لأمر المرأة . ولقد قال الامام قولاً صدقته التجارب في الاحقاب المتطاولة ، ولا استثناء مما قال ، إلا بعضاً منهن وهبن فطره تفوق في سموها ما استوت به الفطن ، او تقاربت ، او اخذت بسلطان من التربية طباعهن على خلاف ما غرز فيها وحولتها الى غير ما وجهتها الجبلة اليه [ويجوز ان يكون النهي عن طاعتهنّ في اعطائهن ما يطلبن من الزينة التي تحلّ فيكون الاكثار منها سبباً لأن يطلبن ما لا يحل] .

(٢) الورع : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات ، يقال : ورع الرجل ـ من باب علم وقطع و كرم وحسب ـ ورعا ، مثل وعد ، وورعا ـ بفتحتين كطلب ـ وورعا ، اي جانب الاثم ، و كف عن المعاصي ، وترك الشبهات . اي : إذا عرض المحرم فمن الزهادة ان تكف عما يشتبه به ، فضلاً عنه . والشكر عند

الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ، وَلَا[1] تَنسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ ، فَقَدْ أَعْذَرَ اللّٰهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ[2] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ[3] ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ ، وَمَنْ

النعم : الاعتراف بانها من الله ، والتصرف فيها على وفق ما شرع ، وقصر الامل : توجس الموت والاستعداد له بالعمل ، وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة .

(١) عزب عنكم ـ من بابي ضرب ودخل ـ عزوبا ، بضمتين كدخول ـ اي : بعد عنكم ، وفاتكم ، والاشارة الى ما تقدم من قصر الأمل ، أي : فإن عسر عليكم أن تقصروا آمالكم وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم ؛ فلا يغلب الحرام صبركم ؛ أي فلا يفتكم الركنان الآخران ، وهما : شكر النعم ، واجتناب المحرم ؛ فان نسيان الشكر يجر الى البطر ، وارتكاب المحرم يفسد نظام الحياة المعاشية والمعادية ، والبطر والفساد مجلبة للنقم في الدنيا والشقاء في الآخرة .

(٢) أعذر : بمعنى أنصف ، وأصله مما همزته للسلب ، فأعذرت فلاناً سلبت عذره أي : ما جعلت له عذراً يبديه لو خالف ما نصحته به . ويقال « أعذرت الى فلان » أي : أقمت لنفسي عنده عذراً واضحاً فيما أنزله به من العقوبة ، حيث حذرته ، ويصح ان تكون العبارة في الكتاب على هذا المعنى أيضاً ، بل هو الأقرب من لفظ « إليكم » ويكون الكلام على المجاز ، وتنزيل قيام الحجة له منزلة قيام العذر لنا . والمسفرة : الكاشفة عن نتائجها الصحيحة ، و « بارزة العذر » ظاهرته .

(٣) من جرى معها في مطالبها ، والقصد بذلك أنه اهتم بها وجد في طلبها .

أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ[1] ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ .

قال الشريف : أقول : وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام « من أبصر بها بصرته » وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد مالا تبلغ غايته ولا يدرك غوره ، ولا سيما إذا قرن اليه قوله « ومن أبصر إليها أعمته » ، فإنه يجد الفرق بين « أبصر بها » و « أبصر إليها » واضحا نيرا وعجيبا باهرا ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ

ومن خطبة له عليه السلام

وهي الخطبة العجيبة وتسمى الغراء

[وفيها نعوت الله جل شأنه ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا ثم ما يلحق من دخول القيامة ثم تنبيه الخلق لما هم فيه من الاعراض ثم فضله عليه السلام في التذكير]

صفته جل شأنه

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلاَ بِحَوْلِهِ[2] ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ[3] ، مَانِحِ كُلِّ

وقوله « فاتته » أي سبقته ؛ فإنه كلما نال شيئاً فتحت له أبواب الآمال فيها، فلا يكاد يقضي مطلوباً واحداً حتى يهتف به ألف مطلوب، وقوله «ومن قعد عنها واتته» يريد به أن من قوم اللذائذ الفانية بقيمتها الحقيقية ، وعلم أن الوصول اليها إنما يكون بالعناء ، وفواتها يعقب الحسرة عليها ، والتمتع بها لا يكاد يخلو من شوب الألم فقد واتته هذه الحياة وأراحته ؛ فإنه لا يأسف على فائت منها ، ولا يبطر لحاضر ، ولا يعاني ألم الانتظار لمقتبل .

(١) « أبصر بها » أي : جعلها مرآة نيرة : تجلو لقلبه آثار الجد في عظائم الأعمال وتمثل له هياكل المجد الباقية ، مما رفعته أيدي الكاملين ، وتنكشف له عواقب اهل الجهالة من المترفين ؛ فقد صارت الدنيا له بصراً وحوادثها عبراً . وأما من أبصر اليها واشتغل بها فانه يعمى عن كل خير فيها ويلهو عن الباقيات بالزائلات وبئس ما اختار لنفسه !

(٢) « علا بحوله » أي عز وارتفع عن جميع ما سواه ، لقوته المستعلية بسلطة الايجاد على كل قوة .

(٣) « دنا بطوله » أي : إنه مع علوه ، سبحانه ، وارتفاعه في عظمته فقد دنا

غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ[1] أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ[2]، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً[3]، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِراً قَاهِراً وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ[4] وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ[5].

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثَالَ[6]،

وقرب من خلقه بطوله، أي: عطائه وإحسانه.

(١) الأزل ـ بالفتح ـ الضيق والشدة، وكاشف الشدة: المنقذ منها، كما أن مانح الغنيمة: معطيها المتفضل بها.

(٢) العواطف: ما يعطفك على غيرك، ويدنيه من معروفك. وصفة الكرم في الجناب الالهي، وخلقه في البشر؛ مما يعطف الكريم على موضع الاحسان وسوابغ النعم: كواملها، من سبغ الظل: إذا عم وشمل.

(٣) أولاً بادياً: موضعه من سابقه كموضع «قريباً هادياً»، وما جاء به بعده من سوابقها؛ فهي احوال من الضمائر الراجعة الى الله سبحانه وتعالى، فيكون «اول» صفة نصبت على الحال من ضمير به، أي أصدق بالله حال كونه سابق كل شيء في الوجود، فهو البادي، أي الظاهر بذاته المظهر لغيره، ومن كان كذلك لم تخالط التصديق به ريبة. والقريب الهادي جدير بان تطلب منه الهداية، والقادر القاهر حقيق بان يستعان به؛ لأنه قوي على المعونة، والكافي الناصر حري بان يتوكل عليه.

(٤) إنهاء عذره: إبلاغه، والعذر هنا كناية عن الحجج العقلية والنقلية التي اقيمت ببعثة النبي ﷺ على ان من خالف شريعة الله استحق العقاب، ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب.

(٥) النذر: جمع نذير، اي: الاخبار الالهية المنذرة بالعقاب على سوء الاعمال او هو مفرد بمعنى الانذار.

(٦) ضرب الامثال: جاء بها في الكلام؛ لايضاح الحجج، وتقريرها في

وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ ، وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ وَأَحْصَاكُمْ عَدَداً ، وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً ، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ ، وَدَارِ عِبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا ، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا .

التنفير عن الدنيا

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا[1] رَدِغٌ مَشْرَعُهَا : يُونِقُ مَنْظَرُهَا[2] وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا ، غُرُورٌ حَائِلٌ[3] ، وَضَوْءٌ آفِلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ

الاذهان ، و « وقت الآجال » جعلها في اوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر والرياش : ما ظهر من اللباس ، ووجه النعمة فيه انه ساتر للعورة واق من الحر والبرد. وقد يراد بالرياش الخصب والغنى ، فيكون « ألبسكم » على المجاز و « أرفغ لكم » ، أي : أوسع ، يقال : رفغ عيشه – بالضم – رفاغة ، أي : اتسع ، و « أحاطكم بالاحصاء » أي : جعل إحصاء أعمالكم والعلم بها محيطاً كالسور لا تنفذون منه ولا تتعدونه ، ولا تشذ عنه شاذة ، و « أرصد لكم الجزاء » أعده لكم فلا محيص عنه ، والرفد : جمع رفدة – ككسرة و كسر – وهي : العطية ، والروافغ : الواسعة ، والحجج البوالغ : الظاهرة البينة ، و « وظف لكم مدداً » أي قدر لكم ، والمدد : جمع مدة ، اي : عين لكم ازمنة تحيون فيها ، « في قرار خبرة » اي : في دار ابتلاء واختبار وهي دار الدنيا ، وفيها الاعتبار والاتعاظ ، والحساب عليها ، اي : على ما يؤتى من خير وشر .

(١) رنق – كفرح – كدر ، وردغ : كثير الطين والوحل . والمشرع : مورد الشاربة للشرب .

(٢) يونق : يعجب ، ويوبق يهلك .

(٣) حائل : اسم فاعل من « حال » اذا تحول وانتقل ، اي : إن شأنها الغرور

مَائِلٌ (١) حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا؛ قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا (٢)، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ (٣) قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ (٤)، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ (٥)، وَثَوَابِ الْعَمَلِ، وَكَذَلِكَ الْخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ: لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً (٦) وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً (٧) يَحْتَذُونَ

الذي لا بقاء له وسقط من بعض الروايات قوله «وضوء آفل» اي: غائب لا يلبث ان يظهر حتى يغيب.

(١) السناد - بالكسر - ما يستند اليه او دعامة يسند بها السقف، وناكرها: اسم فاعل من «نكر الشيء» - من باب علم - اي: جهله فأنكره.

(٢) قمص الفرس وغيره يقمص - من باب ضرب ونصر - قمصا وقماصا، اي: استن؛ وهو ان يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجب وفي المثل المضروب الضعيف لا حراك به وعزيز ذل «ما بالعير من قماص»، وإنما قال «أرجل» وليس للدابة إلا رجلان لأنه نزل اليدين لها منزلة الأرجل؛ لأن المشي على جميعها. وروي «بأرحلها» - بالحاء - جمع رحل الناقة، و «وقنصت باحبلها» اي: اصطادت وأوقعت من اغترّبها في شباكها وحبالها، و «أقصدت» قتلت مكانها من غير تأخير.

(٣) اعلقت به: ربطت بعنقه، وأوهاق المنية: جمع وهق - بالتحريك - أو بفتح فسكون، كما يقال نهر ونهر، اي: حبال الموت.

(٤) ضنك المضجع. ضيق المرقد، والمراد القبر.

(٥) معاينة المحل: مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم، وثواب العمل: جزاؤه الأعم من شقاء وسعادة، والخلف: المتأخرون، والسلف: المتقدمون. و «يعقب السلف» اي: يتبع، ويروى «بعقب» - بباء الجر - فيكون عقب بالسكون بمعنى بعد، وأصله جرى الفرس بعد جريه، يقال: لهذا الفرس عقب حسن.

(٦) «لا تقلع» اي: لا تكف المنية عن اخترامها، اي: استئصالها للاحياء.

(٧) «لا يرعوى الباقون» اي: لا يرجعون ولا يكفون عن اجترام السيئات. و «يحتذون مثالاً» اي: يشاكلون باعمالهم صور اعمال من سبقهم، ويقتدون

مِثالاً ، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً ، إِلَى غَايَةِ الْانْتِهَاءِ وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ[1] .

بعد الموت البعث

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ ، وَأَزِفَ النُّشُورُ[2] أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ ، وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ[3] رَعِيلاً صُمُوتاً ، قِيَاماً صُفُوفاً ، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ[4] وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ،

بهم «ويمضون ارسالا» جمع رسل -بالتحريك- وهو القطيع من الابل والغنم والخيل .

(١) صيور الامر - كتنور - مصيره وما يؤول اليه ، يريد الامام من ذلك ان الدنيا لا تزال تغر بنيها حتى يأنسوا اليها بالارتياح الى لذائذها ، واستسهال احتمال آلامها ، ثم تنقلب بهم الى ما لا بد منه ، وهم في غفلة لاهون .

(٢) « أزف النشور » قرب البعث ، والضمير في « أخرجهم » الى البعث على سبيل المجاز ، او الى الله تعالى ، والضرائح : جمع ضريح وهو الشق وسط القبر ، وأصله من « ضرحه » اي : دفعه وأبعده ، فان المقبور مدفوع منبوذ ، وهو ابعد الاشياء عن الاحياء ، والاوكار : جمع وكر ، وهو مسكن الطير وجمع الكثرة وكور ، والأوجرة : جمع وجار - ككتاب وسحاب - وهو الجحر ، والذين يبعثون من الاوكار والأوجرة هم الذين افترستهم الطيور الصائدة والسباع الكاسرة .

(٣) « مهطعين » اي : مسرعين الى معاده ، سبحانه ، الذي وعد ان يعيدهم فيه . وقوله « رعيلاً صموتا » الرعيل : القطعة من الخيل ؛ شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل - اي : الجملة القليلة منها - لأن الاسراع لا يدع احداً منهم ينفرد عن الآخر ؛ فأن الانفراد من الابطاء ، ولا يدعهم يجتمعون جمعاً ، فانما التضام والالتفاف إنما يكون من الاطمئنان .

(٤) « ينفذهم البصر » يجاوزهم ، اي : يأتي عليهم ويحيط بهم ، اي : لا يعزب واحد منهم عن بصر الله .

عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكَانَةِ [١] ، وَضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً [٢] ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً ، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ ، وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ [٣] وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ .

تنبيه الخلق

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً ، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً [٤] ، وَمَقْبُوضُونَ

---

(١) اللبوس – بالفتح – ما يلبس ، والاستكانة : الخضوع ، والضرع – بالتحريك – : الوهن ، والضعف ، والخشوع ، هذا لو جعلنا « عليهم » متعلقاً بمحذوف خبر عن « لبوس وضرع » ، فان جعلناه متعلقاً بالداعي – بمعنى : المنادي والصائح عليهم – جعلنا لبوس جملة مبتدأة ويكون « لبوس » جمع لابس ، وضرع – محركة – اسم جمع للضريع بمعنى الذليل .

(٢) « هوت الافئدة » خلت من المسرة والامل من النجاة ، « كاظمة » اي : ساكنة كاتمة لما يزعجها من الفزع ، و « مهينمة » اي متخافية ، والهينمة : الكلام الخفي ، و « ألجم العرق » كثر حتى امتلأت به الافواه لغزارته فمنعها من النطق ، وكان كاللجام ، والشفق – محركة – الخوف .

(٣) أرعدت : عرتها الرعدة ، و « زبرة الداعي » : صوته وصيحته ، ولا يقال « زبرة » إلا اذا كان فيها زجر وانتهار ، فانها واحدة الزبر – اي : الكلام الشديد – والمقايضة : المعارضة ، اي : مبادلة الجزاء الخير بالخير ، والشر بالشر .

(٤) « مربوبون » : مملوكون ، والاقتسار : الغلبة والقهر ، اي : انهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه وقوته ، فهم مملوكون له بسطوة عزته ، لا خيرة لهم في ذلك ، وإذا جاء الأجل قبضت ارواحهم اليه ، بما يحضر عند الاجل من مزهقات الارواح والقوى المسلطة على الفناء ، و « احتضر فلان » حضرته الملائكة تقبض روحه . وكانت العرب تقول « لبن محتضر » اي فاسد ، يعنون ان الجن حضرته ،

احْتِضَاراً ، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً ، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً ، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً ، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً ، قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ [1] ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ ، وَكُشِفَ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ [2] وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ [3] وَرَوِيَّةِ الْارْتِيَادِ ، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ [4] فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ ، وَمُضْطَرَبِ

يقال : اللبن محتضر فغط إناءك ، والأجداث . جمع جدث - بفتحتين - وهو القبر واجتدث الرجل : اتخذ جدثا ، ويقال : جدف - بالفاء - و «مضمنون الأجداث» مجعولون في ضمنها ، والرفات : الحطام ، ويقال : رفته - كنصر وضرب - اي : كسره ودقه ، اي : فته بيده كما يفت المدر والعظم البالي ، و « مبعوثون افراداً» اي : كل يسأل عن نفسه ، لا يلتفت لرابطة تجمعه مع غيره ، و « مدينون » اي : مجزيون ، والدين : الجزاء ، قال : (مالك يوم الدين) ، و « مميزون حسابا » كل يحاسب على عمله منفصلاً عمن سواه : (ولا تزر وازرة وزر اخرى).

(١) المخرج : المخلص من ربقة المعصية بالتوبة والانابة المخلصة ، والمنهج : الطريقة الواضحة التي دلت عليها الشريعة المطهرة ، والمستعتب : المسترضي ، ويقال : ايضاً : « استعتبه » اذا أناله العتبى ، وهي : الرضا ، وانما ضرب المثل بمهل المستعتب لأنك اذا استرضيت شخصاً وطلبت منه ان يرضى فلا ترهقه في المطالبة ، بل تفسح له حتى يرضى بقلبه لا بلسانه . اي : ان الله افسح لهم في الآجال حتى يتمكنوا من ارضائه ، وأوتوا من العمر مهلة من ينال العتبى - اي : الرضا - لو أحسن العمل : استعتبه : اناله العتبى ، فهو المستعتب ، والمفعول مستعتب .

(٢) السدف : جمع سدفة - بالفتح - وهي الظلمة ، والريب : جمع ريبة . وهي الشبهة وإبهام الأمر : و كشف ذلك بما اتى من البراهين الواضحة .

(٣) خلوا : تركوا في مجال يتسابقون فيه الى الخيرات . والجياد من الخيل : كرامها ، والمضمار : المكان الذي تضمّر فيه الخيل ، والمدة التي تضمر فيها ايضاً ، والروية: أعمال الفكر في الأمر ليأتي على اسلم وجوهه ، والارتياد هنا: طلب مايراد

(٤) الاناة : الانتظار والتؤدة ، والمقتبس : المرتاد ، اي : الذي اخذ بيده مصباحاً ليرتاد على ضوئه شيئاً غاب عنه ، ومثل هذا يتأنى في حركته خوف ان

فيالَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً ، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً ، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً ، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً ، وَآرَاءً عَازِمَةً ، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً ، فَاتَّقُوا تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ [1] وَوَجِلَ فَعَمِلَ ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَحُذِّرَ فَازْدَجَرَ ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ [2] ، وَرَجَعَ فَتَابَ ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى ، وَأُرِيَ فَرَأَى ، فَأَسْرَعَ طَالِباً ، وَنَجَا هَارِباً ، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً [3] ، وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَّرَ مَعَاداً ، وَاسْتَظْهَرَ زَاداً [4] لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجْهِ

يطفأ مصباحه ، وخشية ان يفوته في بعض خطواته ما يفتش عليه لو أسرع ، فلذا ضرب المثل به . والمضطرب : مدة الاضطراب . اي : الحركة في العمل .

(١) اقترف : اكتسب ، ومثله « قرف يقرف لعياله » اي : كسب يكسب وفي التنزيل : (وليقترفوا ما هم مقترفون) وقال صاحب اللسان : واقترف المال اقتناه . واقترف الذنب اتاه . ووجل : خاف ، ووجلا وموجلا ـ بفتح الميم والجيم ـ وبادر سارع ، وعبر ـ مبنى للمجهول مشدد الباء ـ اي : عرضت عليه العبر مراراً كثيرة فاعتبر ، اي : اتعظ ، وحذر ـ مبنى للمجهول ايضاً ـ اي : خوف من عواقب الخطايا فازدجر ، اي : امتنع عنها . ويروى « وحذر فحذر ، وزجر فازدجر » .

(٢) أجاب داعي الله الى طاعته فأناب اليه ، اي : رجع ، و « احتذى » شاكل بين عمله وعمل مقتداه ؛ اي : احسن القدوة ، و « أرى » ـ بضم الهمزة ـ مبنى للمجهول اي : ارته الشريعة ما يجب عليه وما يجب له وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية ، فرأى ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل .

(٣) أفاد الذخيرة : استفادها واقتناها ، وهو من الاضداد .

(٤) « استظهر زادا » حمل زادا حمّله ظهر راحلته الى الآخرة ، والكلام تمثيل ،

سَبيلِهِ ، وَحالِ حاجَتِهِ ، وَموْطِنِ فاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمامَهُ لِدارِ مُقامِهِ . فَاْتَّقُوا اْللّهَ عِبادَ اْللّهِ جِهَةَ ما خَلَقَكُمْ لَهُ[١] ، وَاْحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ ما حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ[٢] وَاْسْتَحِقُّوا مِنْهُ ما أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعادِهِ[٣] وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعادِهِ .

التذكير بضروب النعم

منها : جَعَلَ لَكُمْ أَسْماعاً لِتَعِيَ ما عَناها ، وَأَبْصاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشاها[٤] ، وَأَشْلاءً جامِعَةً لِأَعْضائِها مُلائِمَةً لِأَحْنائِها[٥] ، فِي

ووجه السبيل : المقصد الذي يركب السبيل لأجله .

(١) الجهة ـ مثلثة ـ الناحية والجانب ، وهو ظرف متعلق بحال من ضمير « اتقوا » اي : متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل النافع لكم ، الباقي أثره لأخلافكم .

(٢) حذرنا من نفسه سبحانه ان نتعرض لما يغضبه بمخالفة اوامره ونواهيه ؛ و « كنه ذلك » غايته ونهايته ، اي : احذروا نهاية ما حذركم ، ولا تقعوا في شيء مما يغضبه . وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا هو البحث عن كنهه وحقيقته ، فيأمرنا الامام بالتقوى والبعد عن البحث في حقيقته و كنهه ، فان الوصول الى كنه ذاته محال .

(٣) « تنجز الوعد » طلب وفائه على عجل ، وتنجز ما وعد الله انما يكون بالعمل له ، وبهذا التنجز العملي يستحق ما اعد الله للصالحين ، والحذر : معطوف على التنجز .

(٤) عناها : اهمها ، وتعيه : تحفظه ، وتجلو : من « جلا عن المكان » اذا فارقه اي : تخلص من عماها ، اي : لتبصر ، ولا تكون مبصرة حقيقة حتى يفيدها الابصار حركة الى نافع ؛ وانقباضاً عن ضار ، والاشلاء : جمع شلو الجسد ، أو العضو ، وعلى الثاني يكون المعنى ان كل عضو فيه اعضاء باطنة او صغيرة .

(٥) الاحناء جمع حنو ـ بالكسر ـ وهو كل ما اعوج من البدن ، وملاءمة

تَرْكِيبِ صُورِهَا ، وَمَدَدِ عُمُرِهَا بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا [1] وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ [2] وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ ، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ ، أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الْآمَالِ ، وَشَذَّ بِهِمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ [3] ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلا آوِنَةَ الْفَنَاءِ [4] ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ [5] وَأُزُوفِ الْانْتِقَالِ ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ ، وَتَلَفُّتِ الْاسْتِغَاثَةِ

الاعضاء لها: تناسبها معها . وقد يراد من الاحناء الجهات والجوانب ؛ و « ملاءمة » حال من الاعضاء وملاءمة الاعضاء للجهات التي وضعت فيها ، ان يكون العضو في تلك الجهة انفع منه في غيرها : فتكون العين في موضعها المعروف انفع من كونها في قمة الرأس مثلاً . وقوله « تركيب صورها » اي : آتية في صورها المركبة ، كما تقول : ركب في سلاحه ، اي متسلحاً .

(١) الارفاق جمع رفق ـ بالكسر ـ : المنفعة ، أو ما يستعان به عليها ، و « رائدة » اي : طالبة .

(٢) مجللات ـ على صيغة اسم الفاعل ـ من «جلله» بمعنى غطاه ، اي : غامرات نعمه ، يقولون : سحاب مجلل ، اي : يطبق الارض .

(٣) الخلاق : النصيب الوافر من الخير ، والخناق ـ بالفتح ـ حبل يخنق به . وبالضم : داء يمتنع به نفوذ النفس . وأرهقتهم : أعجلتهم ، وأنف ـ بضمتين ـ يقال : أمر انف ، اي: مستأنف لم يسبق به قدر . والأنف ايضاً : المشية الحسنة.

(٤) البضاضة: رخص الجلد ورقته وامتلاؤه. والغضارة: النعمة والسعة والخصب.

(٥) الزيال : مصدر زايله مزايلة وزيالا : اي فارقه .

بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ، فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ [١] وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً [٢] وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ [٣] وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ [٤] وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا [٥] وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا [٦] مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا؛ وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّىءِ زَلَلِهَا [٧] أَوَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءِ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ،

(١) الأزوف : الدنو والقرب ، والعلز : قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر . والمضض : بلوغ الحزن من القلب ، والجرض : الريق ، والحفدة: البنات وأولاد الأولاد والأصهار .

(٢) غودر : ترك وبقي ، ورهيناً : حبيساً .

(٣) هتكت : جذبت جلدته فقطعتها ، والهوام : الحيات وكل ذي سم يقتل.

(٤) النواهك : من قولهم « نهكه السلطان » إذا بالغ في عقوبته ، و«عفت» أي محت ، والعواصف : الرياح الشديدة ، والمعالم : جمع مَعْلم ، وهو ما يستدل به . [والحدَثان مصدر يدل على الاضطراب بمعنى ما يحدث] .

(٥) الشحبة – بفتح – ، أي : الهالكة ؛ البضة هنا الواحدة من البض؛ وهو: مصدر بض الماء إذا ترشح قليلاً قليلاً ، أي بعد امتلائها حتى كأن الماء يترشح منها، ونخرة : بالية .

(٦) الأعباء : الأثقال ، جمع عبء ، أي : حمل ، وموقنة بغيب أنبائها ، أي: منكشفاً لها ما كان غائباً عنها من اخبارها ، وما أعد لها في الآخرة .

(٧) « لا تستزاد – الخ » أي : لا يطلب منها زيادة العمل ، فانه لا عمل بعد الموت، « ولا تستعتب » مبني للمفعول ـ أي: لا يطلب منها تقديم العتبى،أي: التوبة من العمل القبيح ، او مبني للفاعل ، أي : لا يمكنها أن تطلب الرضا والاقالة من خطئها السيء .

وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ [١] وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُمْ ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا ، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا ، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا ! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا [٢] وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا .

التحذير من هول الصراط

وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ [٣] فَٱتَّقُوا ٱللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ [٤] ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، وَأَرْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ [٥] وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ، ظَافِراً

(١) القدة – بكسر فتشديد – الطريقة ، و « تطأون جادتهم » تسيرون على سبيلهم بلا انحراف عنهم في شيء ، أي : يصيبكم ما أصابهم بلا أقل تفاوت .

(٢) « كأن المعني » أي : المقصود بالتكاليف الشرعية ، والموجه اليه التحذير والتبشير غيرها . وقوله « وكأن الرشد – الخ » أي : مع أن الرشد لم ينحصر في هذا ، بل الرشد كل الرشد إحراز الآخرة لا الدنيا .

(٣) « أن مجازكم – الخ » أنكم تجوزون على الصراط مع ما فيه من مزالق الدحض والدحض : هو انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار ، والزلل : هو انزلاق القدم ، والتارات : النوب والدفعات .

(٤) « أنصب الخوف بدنه » : أتعبه .

(٥) الغرار – بالكسر – : القليل من النوم وغيره ، و « أسهره التهجد » أي : أزال قيام الليل نومه القليل ، فأذهبه بالمرة . و « أظمأ الرجاء – الخ » أي : أظمأ نفسه

بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى ، وَرَاحَةِ النُّعْمَى[1] فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ ، وَآمِنَ يَوْمِهِ ، قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً[2] وَقَدِمَ الآجِلَةَ سَعِيداً ، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ[3] وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ[4] فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً ، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً ، وَكَفَى بِاللهِ

في هاجرة اليوم ، والمعنى : صام رجاء الثواب . و «ظلف الزهد ـ الخ» أي : منعها وظلف : منع ، و « أرجف الذكر » تقول : « أرجف به » أي : حركه . ويروى « أوجف » بالواو ـ أي أسرع ، كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها ، و « إبان الشيء » بكسر فتشديد ـ وقته الذي يلزم ظهوره فيه اي : انه خاف في الوقت الذي ينفع فيه الخوف ، ويروى « لأمانه » اي : خاف في الدنيا ليأمن في الآخرة ، و «تنكب الشيء» مال عنه ، والمخالج : الشعوب من الطريق المائلة عن وضحه ، والوضح ـ محركة ـ الجادة ، و « عن وضح متعلق » بالمخالج ، اي : تنكب المائلات عن الجادة ، واقصد المسالك : أقومها . و « لم تفتله الخ » اي : لم ترده ولم تصرفه ، و « لم تعم عليه » اي : لم تخف عليه الامور المشتبهة حتى يقع فيها بحذر على غير بصيرة .

(١) النعمى ـ بالضم ـ : سعة العيش ونعيمه « ظافراً » حال من الضمائر السابقة العائدة على « ذي لب » ، و « في أنعم » متعلق براحة النعمى ، وجعل اتصافه بتلك الاوصاف في حال الظفر تمثيلاً لالتصاق السعادة بالفضيلة وملازمتها إياها .

(٢) العاجلة : الدنيا ، وسميت معبراً لأنها طريق يعبر منها الى الآخرة ، وهي الآجلة « بادر من وجل » اى : سبق الى خير الاعمال خوفاً من لقاء الاهوال و « أكمش » أسرع ، ومثله انكمش ، وكمشته تكميشاً : أعجلته ، والمراد جد السير في مهلة الحياة .

(٣) اي : رغب فيما ينبغي طلبه ، وذهب وانصرف عما يجب الهروب منه .

(٤) القدم ـ بفتحتين ـ السابق ، اي نظر الى ما يتقدم امامه من الاعمال ويروى قدماً ـ بضمتين ـ وهو المضي إلى امام ، اي مضى متقدماً .

مُنْتَقِماً وَنَصِيراً ، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً [١] .

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ [٢] وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا ، وَنَفَثَ فِي الآذَانِ نَجِيًّا [٣] فَأَضَلَّ وَأَرْدَى ، وَوَعَدَ فَمَنَّى ، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ [٤] . وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ ؛ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ [٥] ؛ وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

ومنها في صفة خلق الانسان :

أَمْ هٰذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ [٦] وَشُغُفِ الأَسْتَارِ ؛

---

(١) الكتاب : القرآن ، و « حجيجاً وخصيماً » اي : مقنعاً لمن خالفه بانه قد جلب الهلاك على نفسه ، وقد يراد من الكتاب ما احصى من الاعمال على العامل اذا عرض عليه يوم الحساب .

(٢) اعذر بما انذر ، « ما » مصدرية ، اعذر : اي سلب عذر المعتذر بانذاره اياه بعواقب العمل ، وقامت له الحجة على الضالين بما نهج ووضح من طرق الخير والفضيلة

(٣) ذلك العدو هو الشيطان ، و « نفذ في الصدور ـ الخ » : تمثيل لدقة مجاري وسوسته في الانفس ؛ فهو فيما يسوله يجري مجرى الانفاس ، ويسلك بما يأتي من مسالك الاصدقاء ، كأنه نجي يسارّك ، وينفث في اذنك بما تظنه خيراً لك ، وأردى أهلك ، و « وعد فمنى » اى : صور الاماني كذباً .

(٤) القرينة : النفس التي يقارنها بالوسوسة ، واستدرجها : انزلها من درجة الرشد الى درجته من الضلالة ، واستغلق الرهن : جعله بحيث لا يمكن تخليصه .

(٥) « انكر ـ الخ » بيان لعمل الشيطان وبراءته ممن اغواه عندما تحق كلمة العذاب .

(٦) « أم » بمعنى بل الانتقالية ، بعد ما بين وصف الشيطان انتقل لبيان صفة

نُطْفَةً دِهَاقاً[1] وَعَلَقَةً مُحَاقاً ، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً ، وَوَلِيداً وَيَافِعاً ، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً ، وَلِسَاناً لَافِظاً ، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً ، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً ، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ[2] نَفَرَ مُسْتَكْبِراً ، وَخَبَطَ سَادِراً[3] مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ[4] كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ ، لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً[5] وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً ، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً ، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً : لَمْ

الانسان . و « شغف الأستار » : جمع شغاف ـ مثل سحاب وسحب ـ وهو في الاصل غلاف القلب ، استعارة للمشيمة .

(١) دهاقاً : متتابعاً «دهقها» اي : صبها بقوة . وقد تفسر الدهاق بالممتلئة ، اي : ممتلئة من جراثيم الحياة ، و « علقة محاقا » أي : خفي فيها ومحق كل شكل وصورة والجنين : الولد بعد تصويره ما دام في بطن أمه ، واليافع : الغلام راهق العشرين ويقصر : يكف عن الرذائل ممتنعاً عنها بالعقل والروية .

(٢) « استوى مثاله » أي : بلغت قامته حد ما قدر لها من النمو .

(٣) خبط البعير : إذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقى شيئاً ، والسادر : المتحير والذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع .

(٤) متح الماء : نزعه وهو في أعلى البئر والماتح الذي ينزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو ، والغَرْب : الدلو العظيمة ، أي : لا يستقي إلا من الهوى ، والكدح : شدة السعي ، والبدوات : جمع بداة وهي ما بدا من الرأي ، أي : ذاهباً فيما يبدو له من رغائبه ، غير متقيد بشريعة ، ولا ملتزم حدود فضيلة .

(٥) « لا يحتسب رزية » أي : لا يظنها ، ولا يفكر في وقوعها ، ولا يخشع من التقية والخوف من الله تعالى ، وغريراً ـ براءين مهملتين ـ أي مغروراً ، ويروى « عزيزا » ـ بمعجمتين ـ أي : شابا ، وهي رواية ضعيفة غير ملائمة سياق النظم ، و « عاش في هفوته ـ الخ » : عاش في اخطائه وخطيئاته الناشئة عن الخطأ في تقدير العواقب زمناً يسيراً وهو مدة الأجل . ويروى « أسيرا » .

يُفِدْ[1] عِوَضاً ، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً ، دَهِمَتْهُ[2] فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ ، فَظَلَّ سَادِراً[3] وَبَاتَ سَاهِراً ، فِي غَمَرَاتِ الآلاَمِ ، وَطَوَارِقِ الأَوْجَاعِ وَالأَسْقَامِ ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً ، وَلاَدِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً[4] وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ[5] وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً[6] وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ[7] وَنِضْوَ سَقَمٍ ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ[8] وَحَشَدَةُ الإِخْوَانِ ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ[9]

---

(١) « لم يفد » أي ؛ لم يستفد ثواباً .

(٢) دهمته ؛ غشيته ، وغبّر – بضم فتشديد – جمع غابر ، أي ؛ باق ، أي في بقايا تعنته على الحق ، وعدم انقياده له ، والسنن ؛ الطريقة ، والمرح ؛ شدة الفرح والبطر

(٣) « ظل سادراً » أي ؛ حائراً ، وذلك بعد ما غشيته فجعات المنية ، وهي عوارض الامراض المهلكة التي تفضي إلى الموت .

(٤) اللادمة ؛ الضاربة .

(٥) الغمرة ؛ الشدة تحيط بالعقل والحواس ، والكارثة القاطعة للآمال ، أو من « كرثة الغم » إذا اشتد عليه ، والأنة – بفتح فتشديد – الواحدة من الأن ، أي التوجع ، و « جذبة مكربة » أي ؛ جذبات الأنفاس عند الاحتضار ، والسوقة من ساق المريض نفسه عند الموت سوقاً وسياقاً ، وسيق – على المجهول – أسرع في نزع الروح .

(٦) أبلس يبلس ؛ يئس فهو مبلس ، و « سلساً » أي ، سهلا لعدم قدرته على الممانعة

(٧) الرجيع من الدواب ، ما رجع به من سفر إلى سفر فكلّ ، والوصب التعب ، ونضو – بالكسر – مهزول .

(٨) الحفدة ، الأعوان ، والحشدة ، المسارعون في التعاون .

(٩) منقطع الزورة ، حيث لا يزار .

حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ ، أُقْعِدَ في حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ ، وَعَثْرَةِ [1] الامْتِحَانِ ، وَأَعْظَمُ مَاهُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ [2] ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ ، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ [3] وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ ، وَلَا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ [4] وَعَذَابِ السَّاعَاتِ ! إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ .

عِبَادَ اللهِ ، أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا [5] وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا ، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا [6] وَسَلِمُوا فَنَسُوا [7] ؟ أُمْهِلُوا طَوِيلاً ، وَمُنِحُوا جَمِيلاً ، وَحُذِّرُوا أَلِيماً ، وَوُعِدُوا جَسِيماً ! احْذَرُوا الذُّنُوبَ

---

(١) النجي ، من تحادثــــه سراً ، والميت لا يسمع كلامـــه سوى الملائكة المكلمين له ، وبهتة السؤال : حيرته .

(٢) الحميم في الأصل : الماء الحار ، والتصلية : الاحراق . والمراد هنا دخول جهنم ، والسورة : الشدة ، والزفير : صوت النار عند توقدها .

(٣) الفترة . السكون ، أي لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذب من الألم ، ولا تكون دعة ـ اي راحة ـ حتى تزيح ما اصابه من التعب ، وليست قوة تحجز عنه ، وترد غواشي العذاب ، ولا بموته يجد موتة حاضرة تذهب باحساسه عن الشعور بتلك الآلام ، والناجز . الحاضر ، والسنة ـ بالكسر والتخفيف ـ أوائل النوم ، مسلية ملهية عن الألم .

(٤) «أطوار الموتات ـ الخ» كل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدتها ، وأطوار هذه الموتات : ألوانها ، وأنواعها .

(٥) «عمروا ــ الخ» عاشوا فتنعموا .

(٦) أمهلوا فألهاهم المهل عن العمل ، وذلك بعد ان علموا ففهموا ، وكان مقتضى الفهم ان لا يغتروا بالمهلة ، ويضيعوا الفرصة .

(٧) سلمت عاقباتهم وارزاقهم فنسوا نعمة الله في السلامة .

الْمُورِّطَةِ ، وَالْعُيُوبِ الْمُسْخِطَةِ[1] .

أُولي الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ ، أَوْ خَلاَصٍ ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاَذٍ ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ ؟[2] أَمْ لا ؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[3] ! أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ ؟ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ قِيدُ قَدِّهِ[4] مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ . الآنَ عِبَادَ اللهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ[5] وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ ، فِي فَيْنَةِ الإِرْشَادِ[6] وَرَاحَةِ الأَجْسَادِ ، وَبَاحَةِ الاحْتِشَادِ[7] وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ ، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ[8] وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ ، وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ[9] قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ[10] وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ

---

(١) المورطة : المهلكة .

(٢) « محار » اي : مرجع الى الدنيا بعد فراقها .

(٣) تؤفكون : تقلبون ، اي ؛ تنقلبون .

(٤) قيد قده – بكسر القاف وفتحها من الثاني – مقدار طوله ، يريد مضجعه من القبر .

(٥) الخناق ؛ الحبل الذي يخنق به ، وإهماله : عدم شده على العنق مدى الحياة ، اي وانتم في قدرة من العمل وسعة من الأمل .

(٦) الفينة – بالفتح – الحال والساعة والوقت ويروى « فينة الارتياد » بمعنى الطلب .

(٧) باحة الدار : ساحتها ، والاحتشاد : الاجتماع ، اي انتم في ساعة يسهل عليكم فيها التعاون على البر بالاجتماع بعضكم على بعض .

(٨) أنف – بضمتين – مستأنف المشيئة ، اى ؛ لو أردتم استئناف مشيئة وإرادة حسنة لامكنكم .

(٩) الحوبة : الحالة او الحاجة .

(١٠) الروع : الخوف ، والزهوق : الاضمحلال .

الْمُنْتَظِرِ وَأَخْذَةَ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ (١).

قال الشريف: وفي الخبر أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمي هذه الخطبة: «الغراء».

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر عمرو بن العاص

عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ (٢) يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً (٣) وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ: أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ (٤) لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَنَطَقَ آثِمًا. أَمَا - وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ - إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ (٥) وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ (٦) فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا (٧) فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ

---

(١) الغائب المنتظر: الموت.

(٢) النابغة: المشهورة فيما لا يليق بالنساء، من «نبغ» اذا ظهر [وكانت سميت أم عمرو النابغة.

(٣) الدعابة - بالضم - المزاح واللعب، وتلعابة - بالكسر - كثير اللعب.

(٤) أعافس: أعالج الناس وأضاربهم مزاحاً، ويقال: المعافسة: معالجة النساء بالمغازلة، والممارسة كالمعافسة.

(٥) فيلحف» أي يلح «ويسأل» ها هنا مبنى للفاعل و «يسأل» في الجملة بعدها مبنى للمفعول.

(٦) الإلّ - بالكسر - القرابة، والمراد انه يقطع الرحم.

(٧) اي انـــه في الحرب زاجر وآمر عظيم، اي محرض حاث. ما لم تأخذ

أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ [1] أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُني مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً [2].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها ثماني صفات من صفات الجلال]

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تَعْقِدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ [3] وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

منها: فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ [4] وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ [5] وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ

السيوف مآخذها؛ فعند ذلك يجبن كما قال «فاذا كان ذلك الخ».

(١) السبة - بالضم - الاست. تقريع له بفعلته عندما نازل امير المؤمنين في واقعة صفين، فصال عليه وكاد يضرب عنقه، فكشف عورته، فالتفت امير المؤمنين عنه وتركه.

(٢) الأتية: العطية، ورضخ له: اعطاه قليلا، والمراد بالأتية والرضيخة ولاية مصر.

(٣) تقعد: مجاز عن استقرار حكمها، اى ليست له كيفية فتحكم بها.

(٤) الآي: جمع آية، وهي الدليل. والسواطع: الظاهرة الدلالة

(٥) البوالغ: جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط. والنذر: جمع نذير، بمعنى الانذار، او المخوف، والمراد انذار المنذرين.

وَالْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلاَئِقُ الْأُمْنِيَّةِ ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ [١] وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ [٢] وَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ : سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

ومنها في صفة الجنة :

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ ، لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا ، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا ، وَلاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا [٣] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

[وفيها بيان صفات الحق جل جلاله ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة]

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

عظة الناس

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ . قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ [٤] ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ

---

(١) المفظعات : من « افظع الامر » إذا اشتد ، ويقال : افظع الرجل — مبنياً للمجهول — اذا نزلت به الشدة .

(٢) الورد — بالكسر — الأصل فيه المـــاء يورد للري ، والمراد به الموت او المحشر .

(٣) بئس — كسمع — اشتدت حاجته .

(٤) « إرهاق الأجل » : أن يعجل المفرط عن تدارك ما فاته من العمل ، أي : يحول بينه وبينه .

بِكَظَمِهِ[1] وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقُدُومِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ، فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ، فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللهَ، سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى: قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ[2] وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً[3] حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ ـ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ ـ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ ـ عَلَى لِسَانِهِ ـ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ[4] وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ[5]؛ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ[6] وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ

---

(١) الكظم ـ بالتحريك ـ الحلق، أو مخرج النفس، والأخذ بالكظم: كناية عن التضييق عند مداركة الأجل.

(٢) بين لكم أعمالكم وحددها.

(٣) عمر نبيه: مد في أجله.

(٤) محابه: مواضع حبه، وهي الأعمال الصالحة.

(٥) «اصبروا أنفسكم» اجعلوا لأنفسكم صبراً فيها.

(٦) الظلمة: جمع ظالم [والمراد منع توسع الانسان في الأمور المباحة واستيفائه

بِكُمُ[1] ٱلْإِدْهَانُ عَلَى ٱلْمُصِيبَةِ. عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَٱلْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ[2] وَٱلْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ[3] وَٱلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَٱلشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ ٱلرِّيَاءِ شِرْكٌ[4]، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ[5] وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ. جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ. ٱلصَّادِقُ عَلَى شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ. وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ[6] وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ[7] فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

حده منها فإنه من فعل ذلك شارف المكروه ثم ربما لحظ أنه لاعقاب في فعله فقادته شهوته إلى فعله فاستوفى حده وشارف المحظور] .

(١) المداهنة : إظهار خلاف ما في الطوية ، والادهان : مثله .

(٢) المغبون : المخدوع .

(٣) والمغبوط : المستحق لتطلع النفوس اليه ، والرغبة في نيل مثل نعمته .

(٤) الرياء : أن تعمل ليراك الناس ، وقلبك غير راغب فيه .

(٥) «منساة للايمان» : موضع لنسيانه، وداعية الذهول عنه، و«محضرة الشيطان» مكان لحضوره ، وداع له .

(٦) « فانها » أي : المباغضة « الحالقة » أي : الماحية لكل خير وبركة .

(٧) الامل الذي يذهل العقل وينسي ذكر الله وأوامره ونواهيه : هو استقرار النفس على ما وصلت اليه غير ناظرة إلى تغير الأحوال ، ولا آخذة بالحزم في الأعمال .

ومن خطبة له عليه السلام

[وهي في بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبيه الى مكان العترة الطيبة والظن الخاطىء لبعض الناس]

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَى نَفْسِهِ فَٱسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ ، وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ [1] فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ ٱلْقِرَى لِيَوْمِهِ ٱلنَّازِلِ بِهِ [2] ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ ٱلشَّدِيدَ [3] : نَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَٱسْتَكْثَرَ [4] ، وَٱرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً [5] ، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً [6] . قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ ٱلْهُمُومِ إِلَّا هَمّاً وَاحِداً ٱنْفَرَدَ بِهِ [7] فَخَرَجَ

---

(١) استشعر : لبس الشعار ؛ وهو ما يلي البدن من اللباس ، وتجلبب : لبس الجلباب ، وهو مايكون فوق جميع الثياب ، والحزن : العجز عن الوفاء بالواجب ، وهو قلبي لا يظهر له أثر في العمل الظاهر . أما الخوف فيظهر أثره في البعد عما يغضب الله ، والمسارعة للعمل فيما يرضيه ، وذلك أثر ظاهر ، وزهر مصباح الهدى : تلألأ وأضاء .

(٢) القرى — بالكسر — : ما يهيأ للضيف ، وهو هنا العمل الصالح يهيئه للقاء الموت وحلول الأجل .

(٣) جعل الموت على بعده قريباً منه فعمل له ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية ، والأخذ بالجد في إحراز الفضائل السامية ، وذلك هو الشديد .

(٤) ذكر الله فاستكثر من العمل في رضاه ، والعذب والفرات : مترادفان .

(٥) النهل : اول الشرب ، والمراد أخذ حظاً لا يحتاج معه الى العمل ، وهو الشرب الثاني .

(٦) الجدد — بالتحريك — : الأرض الغليظة ، أي : الصلبة المستوية ، ومثلها يسهل السير فيه .

(٧) الهم الواحد : هو هم الوقوف عند حدود الشريعة .

مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى ، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى ، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ [1] ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا ، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلّٰهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ [2] مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ ، كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ [3] ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ [4] ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ : قَدْ أَخْلَصَ لِلّٰهِ فَاسْتَخْلَصَهُ ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ . قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ ، فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيَ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا [5] ، وَلَا

---

(١) جمع غمر – بالفتح – وهو معظم البحر ، والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة .

(٢) لأن من كان همه التزام حدود الله في أوامره ونواهيه نفذت بصيرته الى سر الله في ذلك ، فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلا أصدره على وجهه ، ولا يعرض له فرع إلا رده إلى أصله .

(٣) عشاوات : جمع عشاوة ، وهي سوء البصر أو العمى ، أي : إنه يكشف عن ذوي العشاوات عشاواتهم . ويروى « عشوات » : جمع عشوة – بتثليث الأول – وهي الأمر الملتبس ، والمعضلات : الشدائد والامور لا يهتدي لوجهها .

(٤) الفلوات : جمع فلاة ، وهي الصحراء الواسعة ، مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق .

(٥) أمها : قصدها .

مَظِنَّةٍ إِلَّا قَصَدَهَا (١) ، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ (٢) فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ ، يَحِلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ (٣) وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ .

صفات الفاسق

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ (٤) فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ زُورٍ ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ؛ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ ، يُؤَمِّنُ (٥) مِنَ الْعَظَائِمِ ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ : أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ ، وَفِيهَا وَقَعَ . وَيَقُولُ : وَأَعْتَزِلُ الْبِدَعَ ، وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ .

---

(١) « مظنة » أي : موضع ظن لوجود الفائدة .

(٢) الكتاب : القرآن ، وأمكنه من زمامه : تمثيل لانقياده لأحكامه ، كأنه مطية والكتاب يقوده إلى حيث شاء .

(٣) ثقل المسافر — محركة — : متاعه وحشمه ، وثقل الكتاب : ما يحمل من أوامر ونواهٍ .

(٤) « وآخر — الخ » : هذا عبد آخر غير العبد الذي وصفه بالأوصاف السابقة ، يخالف في وصفه وصفه ؛ واقتبس : استفاد . جهائل : جمع جهالة ، ويراد منها هنا تصور الشيء على غير حقيقة ، ولا يستفاد من الجهال إلا ذلك ، والأضاليل الضلالات ، جمع ضلال على غير قياس ، أو هو جمع أضلولة ، ويقال : لا واحد لها من لفظها وهو الأشهر ، والضلال — بضم فتشديد — : جمع ضال .

(٥) « عطف الحق — الخ » : حمل الحق على رغباته ، أي : لا يعرف حقاً إلا إياها .

فَأَيْنَ تذْهَبُونَ ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ؟ [١] وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ ! وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ ! وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ ! فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ [٢] بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ ؟ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ [٣] وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ [٤] .

أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ [٥] وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ » فَلا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ [٦] وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَا

---

(١) تؤفكون : تقلبون وتصرفون ـ بالبناء للمجهول ـ والأعلام : الدلائل على الحق من معجزات ونحوها ، والمنار : جمع منارة ، والمراد هنا ما أقيم علامة على الخير والشر .

(٢) يتاه بكم : من التيه بمعنى الضلال والحيرة ، وتعمهون : تتحيرون وعترة الرجل : نسله ورهطه .

(٣) اي احلوا عترة النبي من قلوبكم محل القرآن من التعظيم والاحترام ، وإن القلب هو أحسن منازل القرآن .

(٤) هلموا الى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم – اي الابل العطشى – الى الماء .

(٥) خذوا هذه القضية عنه ، وهي « إنه يموت الميت من اهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت » لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور .

(٦) الجاهل يستغمض الحقيقة فينكرها ؛ وأشد الحقائق دقائق .

هُوَ ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ ؟[1] وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ ، وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الحَلَالِ وَالحَرَامِ ، وَأَلْبَسْتُكُمُ العَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ، وَفَرَشْتُكُمُ المَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي[2] وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ البَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الفِكَرُ .

ظن خاطىء

منها : حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ[3] تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذٰلِكَ . بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ العَيْشِ[4] يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً .

---

(١) الثقل هنا : بمعنى النفيس من كل شيء ، وفي الحديث عن النبي [ﷺ] قال : « تركت فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي » اي النفيسين ، وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر ، وهو القرآن ، وترك الثقل الأصغر – وهو ولداه ، ويقال: عترته – قدوة للناس .

(٢) فرشتكم : بسطت لكم .

(٣) مقصورة عليهم ، مسخرة لهم ، كأنهم شدوها بعقال كالناقة « تمنحهم درها » اي لبنها .

(٤) مجة – بضم الميم – واحدة المج – بضمها ايضاً – وهي نقط العسل اي قطرة عسل تكون في افواههم كما تكون في فم النحلة يذوقونها زمانا ثم يقذفونها وهذا التفسير افضل من تفسير المجة – بالفتح – بالواحدة من مصدر « مج الشراب من فيه » إذا رمى به .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها بيان للاسباب التي تهلك الناس]

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ (١) إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ (٢) وَفِي دُونِ مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ ، وَمَا ٱسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ - مُعْتَبَرٌ ! وَمَا (٣) كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ ، فَيَاعَجَبَا ! وَمَالِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هٰذِهِ الْفِرَقِ عَلَى ٱخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ! لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ (٤) يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ . الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا ، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا (٥) ، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ

---

(١) يقسم : يهلك ، وحد القصم الكسر .

(٢) جبر العظم طبه بعد الكسر حتى يعود صحيحا ، والأزل - بالفتح - الشدة .

(٣) العتب - بسكون التاء - يريد منه عتب الزمان ، مصدر « عتب عليه » إذا وجد عليه ، واذا وجد الزمان على شخص اشتد عليه وقهره ، والاصح انه بتحريك التاء : إما مفرد بمعنى الامر الكريه والفساد ، او جمع عتبة - بالتحريك - بمعنى الشدة . يقال : « ما في هذا الامر رتبة ولا عتبة » اي شدة . اى انكم لجديرون ان تعتبروا بأقل من الشدة المقبلة عليكم بعد ضعف امركم وأقل من الخطب العظيم الذي مر بكم ، فكيف بمثل هذه الامور الجسام ، فأنتم اجدر ان تعتبروا بها !

(٤) ولا يعفون - بكسر العين وتشديد الفاء - من « عففت عن الشيء » إذا كففت عنه .

(٥) أي : يستحسنون ما بدا لهم استحسانه ، ويستقبحون ماخطر لهم قبحه بدون

فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ: قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى وَثِقَاتٍ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الامام عنه]

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ[1]، وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ[2]، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا[3]، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا[4] عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ[5]. فَاعْتَبِرُوا، عِبَادَ اللهِ،

رجوع إلى دليل بين. أو شريعة واضحة، يثق كل منهم بخواطر نفسه، كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى، على ما بها من جهل ونقص.

(١) [الفترة ما بين زماني الرسالة] «اعتزام» من قولهم «اعتزم الفرس» إذا مر جامحاً، أي: وغلبة من الفتن. ويروى «اعترام» بالراء المهملة من العرام، ويقال اعترم الفرس، سقط ومال.

(٢) و«تلظ» أي: تلهب.

(٣) هذا وما بعده تمثيل لتغير الدنيا، وإشرافها على الزوال، ويأس الناس من التمتع بها ايام الجاهلية. واغورار الماء: ذهابه، ويروى «اعورار مائها» بالمهملة من قولهم «فلاة عوراء» أي: لا ماء بها.

(٤) من «تجهمه» أي: استقبله بوجه كريه.

(٥) «ثمرها الفتنة» أي: ليست لها نتيجة سوى الفتن، والجيفة: إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار، والشعار من الثياب: ما يلي البدن، والدثار

وَاذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ[1] وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ[2]، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَاللهِ مَا أَسْمَعَهُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَاذَا الْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَمْسِ، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ. وَاللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ[3] وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا[4] رِخْواً بِطَانُهَا، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

فوق الشعار . ولما كان الخوف يتقدم السيف كان الخوف شعاراً والسيف دثاراً ، وأيضاً فالخوف باطن والسيف ظاهر .

(١) « تيك » إشارة إلى سيئات الأعمال وبواطل العقائد ، وقبائح العادات ، و « هم بها مرتهنون » أي : محبوسون على عواقبها في الدنيا من الذل والضعف .

(٢) الأحقاب : جمع حقب ـ بالضم وبضمتين ـ قيل : ثمانون سنة ، وقيل : أكثر ، وقيل : هو الدهر .

(٣) يريد أن حالهم كحال من سبقهم ، وأن من السابقين من اهتدى بهدي الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه ، ومنهم من جهل فحل به من النكال ما حل . والامام اليوم مع هؤلاء كما كان الرسول مع اولئك ، وحال السامعين في المدارك كحاله السابقين ، وليسوا هؤلاء مختصين بشيء حرمه اولئك ، ولا عالمين بأمر جهلوه ، « أصفيتم » أي : خصصتم ، مبني للمجهول .

(٤) الخطام – ككتاب – : ما جعل في أنف البعير لينقاد به ، وجولان

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته ويختمها بالوعظ]

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ (١)، ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً؛ إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ أَرْتَاجٍ (٢) وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو ٱعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو ٱعْتِمَادٍ: ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ ٱلْخَلْقِ وَوَارِثُهُ (٣) وَإِلٰهُ ٱلْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ (٤): يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ ٱلضَّمِيرِ (٥) وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ ٱلْأَرْحَامِ وَٱلظُّهُورِ، إِلَى

الخطام: حركته وعدم استقراره لأنه غير مشدود. والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة أخذ فيهم مآخذها، لا مانع لها ولا مقاوم، وبطان البعير: حزام يجعل تحت بطنه، ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط.

(١) روية: فكر، وإمعان نظر.

(٢) الأرتاج: جمع رتج -بالتحريك- وهو الباب العظيم، والداجي: المظلم، والساجي: الساكن، والفجاج: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين، والمهاد -بزنة كتاب- الفراش. والخلق: بمعنى المخلوق و «ذو اعتماد» أي: بطش وتصرف بقصد وإرادة.

(٣) مبتدع الخلق: منشئه من العدم المحض، ووارثه: الباقي بعده.

(٤) دائبان: تثنية دائب، وهو المجد المجتهد، وصفهما ذلك لتعاقبهما على حال واحده لا يفتران ولا يسكنان، وذلك كما أراد الله سبحانه.

(٥) «من الضمير» بيان لما تخفي الصدور، وذلك أخفى من خائنة الأعين،

أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ . هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ[1] وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ ، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَأَهُ ، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ[2] ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

عِبَادَ اللهِ ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ[3] وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ[4] .

وهي : ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل ، وتلك أخفى مما قبلها من الأرحام والظهور ، أي : فيها . أو تكون « من » للتبعيض أي : الجزء الذي كانوا فيه من أرحام الأمهات وظهور الآباء .

(١) عازه : رام مشاركته في شيء من عزته ، وشاقه : نازعه ، وناوأه : خالفه.

(٢) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض ، والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين إظهاراً لتحقق الجزاء على العمل . قال تعالى : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) .

(٣) العنف — بضم فسكون — ضد الرفق ، ويقال : عنف عليه ، وعنف به — من باب كرم فيهما — وأصل العنيف الذي لا رفق له بركوب الخيل ، وجمعه عنف — وتقول ايضاً : اعتنفت الأمر ، إذا اخذته بقوة وعنف ، اي انقادوا الى ما يطلب منكم بالحث الرفيق قبل ان تساقوا اليه بالعنف الشديد .

(٤) « من لم يعن » — مبنى للمجهول — اي : من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره ، ويجوز ان يكون مبنياً للفاعل ،

ومن خطبة له عليه السلام

تعرف بخطبة الأشباح (١) ، وهي من جلائل خطبه عليه السلام ،

وكان سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عيانا ،

فغضب عليه السلام لذلك

[وفيها صفة الله تعالى وصفات مخلوقاته ويختمها بالدعاء]

وصف الله تعالى

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لَا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ (٢) ، وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ ، عِيَالُهُ الْخَلْقُ ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ . الْأَوَّلُ الَّذي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ الَّذي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ

اي من لم يعن الزواجر على نفسه ، والتذكير والاعتبار ؛ لم تؤثر فيه .

(١) [الاشباح : الاشخاص] .

(٢) [وعن الصادق عليه السلام أنه قال : خطب امير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلاً أتاه فقال له يا امير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حباً وبه معرفة فغضب ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم خطبها] . لا يفره لا يزيد ما عنده البخل والجمود — وهو أشد البخل — و « لا يكديه » اي لا يفقره .

شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ[1] مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الانْتِقَالُ، وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ[2] وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ[3] وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذٰلِكَ فِي جُودِهِ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الإِنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الأَنَامِ[4]، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ[5] وَلَا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ.

---

(١) أناسي: جمع إنسان، وإنسان البصر: هو ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها.

(٢) أبدع الامام في تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفساً؛ فان اغلب ما يكون من ذلك، بل كله، عن تحرك المواد الملتهبة في جوف الارض الى الخارج؛ وهي في تبخرها اشبه بالنفس، كما ابدع في تسمية انفتاح الصدف عن الدر ضحكا.

(٣) الفلز ـ بكسر الفاء واللام ـ الجوهر النفيس [وقيل ان الفلز ما ينقيه الكير مما يذاب من جواهر الارض]، واللجين: الفضة الخالصة، والعقيان: ذهب ينمو في معدنه، ونثارة الدر ـ بالضم ـ منثوره، وفعالة ـ بالضم ـ فاش كثير الورود فيما كان موضوعاً للجيد المختار: كالخلاصة، او الساقط المتروك: كالقلامة، وحصيد المرجان: محصوده يشير الى ان المرجان نبات، وقد حققته كاشفات الفنون جديدها وقديمها.

(٤) أنفده: بمعنى أفناه، ونفد ـ كفرح ـ اي فني.

(٥) يغيض ـ بفتح حرف المضارعة ـ من «غاض» المتعدي يقال: غاض الماء لازما، وغاضه الله متعديا. ويقال: اغاضه ايضاً، وكلاهما بمعنى انقصه وأذهب ما عنده، ويبخله ـ بالتخفيف ـ من «أبخلت فلاناً» وجدته بخيلا. أما بخله ـ بالتشديد ـ فمعناه رماه بالبخل.

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأْتَمَّ بِهِ[١] ، وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ ذَٰلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ ــ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ[٢] فَمَدَحَ اللَّهُ ــ تَعَالَى ــ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً ، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً ، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَٰلِكَ ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ[٣] وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ[٤] وَتَوَلَّهَتِ

---

(١) « ائتم به » أي : اتبعه فصفه كما وصفه اقتداء به .

(٢) السدد : جمع سدة ، وهي باب الدار ، والاقرار : فاعل « اغناهم » .

(٣) ارتمت الاوهام : ذهبت أمام الافكار كالطليعة لها ، ومنقطع الشيء : ما إليه ينتهي .

(٤) « مبرأ ـ الخ » اما الملابس لهذه الخطرات فمعلوم انــه لا يصل الى شيء لوقوفه عند وساوسه .

الْقُلوبُ إِلَيْهِ [1] لِتَجْرِي فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ [2] وَغَمضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ [3] رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ [4] مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ [5] وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ [6] الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ [7] وَلَا

---

(١) تولهت القلوب اليه : اشتد عشقها حتى اصابها الوله ـ وهو الحيرة ـ وقوي ميلها لمعرفة كنهه .

(٢) لتجري الخ : لتجول ببصائرها في تحقيق كيف قامت صفاته بذاتـه ، أو كيف اتصف سبحانه بها .

(٣) « وغمضت الخ » اي خفيت طرق الفكر ودقت، وبلغت في الخفاء والدقة الى حد لا يبلغه الوصف .

(٤) « ردعها ـ الخ » جواب للشرط في قوله « اذا ارتمت ـ الخ » وردعهـا : ردها ، والمهاوي : المهالك ، والسدف ـ بضم ففتح ـ جمع سدفة ،وهي القطعة من الليل المظلم ، وجبهت : من جبهه اذا ضرب جبهته ، والمراد ردت بالخيبة .

(٥) الجور : العدول عن الطريق ، والاعتساف : سلوك غير جادة . وسلوك العقول في اي طريق طلباً لاكتناه ذاته ، وللوقوف على ما لم يكلف الوقوف عليه من كيفية صفاته ، يعد جوراً او عدولاً عن الجادة ؛ فان العقول الحادثة ليس في طبيعتها ما يؤهلها للاحاطة بالحقائق الازلية ، اللهم إلا ما دلت عليه الآثار ، وذلك هو الوصف الذي جاء في الكتاب والسنة ، و « كنه معرفته » نائب فاعل «ينال» .

(٦) الرويات : جمع روية ، وهي الفكر .

(٧) ابتدع الخلق : اوجده من العدم المحض على غير مثال سابق « امتثله » اي حاذاه و « لا مقدار سابق احتذى عليه » اي قاس وطبق عليه ، وكان ذلك المثال او المقدار من خالق معروف سبقه بالخلقة ، اي لم يقتد بخالق آخر في شيء مـــن الخلقة ، إذ لا خالق سواه .

مِقْدَارِ احْتَذَى عَلَيْهِ ، مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ[1] قُوَّتِهِ ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ . فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ ، وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ[2] الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ[3] وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ : (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

---

(١) المساك ـ كسحاب ، وبكسر ـ ما يمسك الشيء كالملاك ما به يملك (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات الى إقامة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة النـــاطق بذلك المعترف به ، وقوله « باضطرار » متعلق بدلنا ، و « على معرفته » متعلق به ايضاً ، اي دلنا على معرفته بسبب ان قيام الحجة اضطرنا الى ذلك ، و « ما دلنا » مفعول لأرانا ، و « ظهرت في البدائع الخ » معطوف على « أرانا » .

(٢) الحقائق: جمع حق ـ بضم الحاء ـ وهو رأس العظم عند المفصل، واحتجاب المفاصل : استتارها باللحم والجلد ، وذلك الاستتار بما له دخل في تقوية المفاصل على تأدية وظائفها التي هي الغاية من وضعها في تدبير حكمة الله في خلقة الابدان، والمراد من شبهه بالانسان ونحوه .

(٣) غيب الضمير : باطنه ، والمراد منه هنا العلم واليقين ، اي لم يحكم بيقينه في معرفتك بما انت اهل له .

كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ[١] إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ[٢] وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى[٣] بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً[٤] وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً[٥].

ومنها: قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَ الْانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ[٦] وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟ الْمُنْشِئُ

---

(١) العادلون بك: الذين عدلوا بك غيرك، اي سووه بك وشبهوك به.

(٢) نحلوك: أعطوك، وحلية المخلوقين: صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها، اي وصفوك بصفات المخلوقين، وذلك إنما يكون من الوهم الذي لا يصل الى غير الاجسام ولواحقها، دون العقل الذي يحكم فيما وراء ذلك.

(٣) قدروك: قاسوك.

(٤) اي لم تكن متناهياً محدود الاطراف حتى تحيط بك العقول فتكيفك بكيفية مخصوصة.

(٥) «مصرفا» اي تصرفك العقول بأفهامها في حدودك.

(٦) استصعب المركوب: لم ينقد في السير لراكبه، وكل مخلوق خلقه الله لأمر اراده بلغ الغاية مما اراد الله منه ولم يقصر دون ذلك منقادا غير مستصعب.

أَصْنَافَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا ، وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا [١] وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ ٱلدُّهُورِ [٢] وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ٱبْتِدَاعِ عَجَائِبِ ٱلْأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ ٱلْمُبْطِيءِ [٣] وَلَا أَنَاةُ ٱلْمُتَلَكِّيءِ [٤] فَأَقَامَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا [٥] وَنَهَجَ حُدُودَهَا [٦] وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا ، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا [٧] وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَةً فِي ٱلْحُدُودِ وَٱلْأَقْدَارِ وَٱلْغَرَائِزِ وَٱلْهَيْئَاتِ [٨] بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا [٩] وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَٱبْتَدَعَهَا .

---

(١) غريزة : طبيعة ومزاج ، اي ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه الى الفعل ، بل هو انفعال عاله بمقتضى ذاته ، لا بأمر عارض .

(٢) افادها : استفادها .

(٣) « لم يعترض دونه » اي : دون الخلق وإجابة دعوة الله ، والريث : التثاقل ون الأمر ، اي أجاب الخلق دعوة الخالق فيما وجهت اليه فطرته بدون مهل .

(٤) الأناة : تؤدة يمازجها روية في اختيار العمل وتركه ، والمتلكىء : المتعلل ، يقول : اجاب العبد ربه طائعاً مقهوراً بلا تلكؤ .

(٥) أودها : اعوجاجها .

(٦) نهج : عين ورسم .

(٧) قرائنها : جمع قرينة ، وهي النفس ، اي وصل حبال النفوس ـ وهي من عالم النور ـ بالأبدان ، وهي من عالم الظلمة .

(٨) الغرائز : الطبائع .

(٩) بدايا : جمع بديء ، اي مصنوع .

وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا [١] ، وَلاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا [٢] ، وَوَشَّحَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا [٣] . وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا [٤] ، وَنَادَاهَا

---

(١) رهوات : جمع رهوة ، اي المكان المرتفع . ويقال للمنخفض ايضاً ، فهو من الاضداد ، والفرج : جمع فرجة ـ بضم فسكون ـ وهي المكان الخالي ، يقول : قد فرج الله ما بين جرم وآخر من الاجرام السماوية ، ونظمها على ذلك سماء ، بدون تعليق إحداها بالأخرى ، وربطها بها بآلة حسية .

(٢) لاحم اي : ألصق ، والصدوع : جمع صدع ، وهو الشق ، اي ما كان في الجرم الواحد منها من صدع لحمه سبحانه ، وأصلحه فسواه ، وذلك كما كان في بدء خلقه الارض ، وانفصالها عن الاجرام السماوية ، وانفراج الاجرام عنها ، فما تصدع بذلك أصلحه الله : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) .

(٣) « وشج » بالتضعيف ـ أي شبك من « وشج محمله » إذا شبكه بالأربطة حتى لا يسقط منه شيء ، وتقول « وشجت الغصون » بالتخفيف ـ اي اشتبكت ، وتقول : « بيننا رحم واشجة » اي مشتبكة ، اي انه سبحانه شبك بين كل سماء وأجرامها ، وبين ازواجها ، ـ اي امثالها وقرنائها ـ من الاجرام الاخرى ، في الطبقات العليا والسفلى عنها ، بالروابط الماسكة المعنوية العامة ، وهي من أعظم المظاهر لقدرته .

(٤) الهابطين والصاعدين : الأرواح العلوية والسفلية ، والحزونة : الصعوبة ، وقوله « ناداها ـ الخ » : رجوع الى بيان ما كانت عليه قبل النظم ، يقول : كانت السموات هباء مائراً اشبه بالدخان منظراً ، وبالبخار مادة ، فتجلى من الله فيها سر التكوين فالتحمت عرى أشراجها ، والأشراج : جمع شرج ـ بالتحريك ـ وهي العروة ، وهي مقبض الكوز والدلو وغيرهما ، وتقول « أشرجت العيبة » اي أقفلت اشراجها ، وتسمى مجرة السماء شرجاً ، تشبيهاً بشرج العيبة ، وأشراج الوادي ما انفسح منه ، على التشبيه ، وأشار باضافة العرى للاشراج الى ان كل

بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا، وَفَتَقَ بَعْدَ الإِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا[1]. وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا[2] وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ[3]، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا[4] وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا[5] فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا[6]، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ

جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه اليه ليتماسك به، فكل ماسك وكل ممسوك: فكل عروة وله عروة.

(١) بعد ان كانت جسماً واحداً فتق الله رتقه، وفصلها الى اجرام بينها فرج وابواب، وأفرغ ما بينها بعد ان كانت صوامت، اي لا فراغ فيها.

(٢) النقاب: جمع نقب، وهو الخرق، و «الشهب الثواقب» اي الشديدة الضياء، والرصد: القوم يرصدون كالحرس. وكون الرصد من الشهب في اصل تكوين الخلقة كما قال الامام: دليل على ما اثبته العلم من ان الشهب مغذيات لبعض اجرام الكواكب بما نظمه لها من التفاتق، فما نقب وخرق من جرم عوض بالشهاب، وذلك أمر آخر غير ما جاء في الكتاب العزيز، فما جاء في الكتاب بمعنى آخر.

(٣) «وأمسكها من ان تمور» اي تضطرب في الهواء «بأيده» اي بقوته؛ «وأمرها ان تقف» اي: تلزم مراكزها لا تفارق مداراتها؛ لا بمعنى ان تسكن.

(٤) «مبصرة» أي جعل شمس هذه الاجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائماً.

(٥) ممحوة: يمحى ضوءها في بعض اطراف الليل في أوقات من الشهر، وفي جميع الليل أياماً منه، ومناقل مجراهما الاوضاع التي ينتقلان فيها من مداريهما.

(٦) فلكها: هو الجسم الذي ارتكزت فيه، وأحاط بها، وفيه مدارها.

دَرَارِيهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا[1] وَرَمَى مُسْتَرِقِي ٱلسَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا[2].

ومنها في صفة الملائكة:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى[3] مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، فَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا[4] وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدْسِ، وَسُتُرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ[5] وَوَرَاءَ ذٰلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا[6] فَتَقِفُ

و «ناط بها» أي علق بها وأحاطها، ودراريها: كواكبها وأقمارها. والأذلال: جمع ذِل - بالكسر - وهو محجة الطريق، أي على الطرق التي سخرها فيها.

(١) نجومها الصغار.

(٢) نحوسها وسعودها: من إقفار بعضها في عالمه، وربع بعضها على كونه.

(٣) الصفيح: السماء.

(٤) الأجواء: جمع جو.

(٥) الزجل: رفع الصوت، والحظائر: جمع حظيرة وهي الموضع محاط عليه لتأوي اليه الغنم والابل توقياً من البرد والريح، وهو مجاز ههنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة، والقدس - بضم فسكون، أو بضمتين - الطهر، والتقديس: التطهير، والارض المقدسة: المطهرة. والسترات: جمع سترة، وهي ما يستتر به، والسرادقات: جمع سرادق، وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه.

(٦) الرجيج: الزلزلة والاضطراب، و «تستك منه» اي تصم منه الآذان لشدته، و «سبحات نور» أي طبقات نور، وأصل السبحات الأنوار نفسها.

خاسِئَةٌ عَلى حُدُودِها [1] ، أَنْشَأَهُمْ عَلى صُوَرٍ مُخْتَلِفاتٍ ، وَأَقْدارٍ مُتَفاوِتاتٍ ، أُولي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلالَ عِزَّتِهِ ، لا يَنْتَحِلُونَ ما ظَهَرَ في الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ ، وَلا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ ، بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ (لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) جَعَلَهُمْ فِيما هُنالِكَ أَهْلَ الأَمانَةِ عَلى وَحْيِهِ ، وَحَمَّلَهُمْ إِلى الْمُرْسَلِينَ وَدائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهاتِ ، فَما مِنْهُمْ زائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضاتِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَواضُعَ إِخْباتِ السَّكِينَةِ [2] وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْواباً ذُلُلاً [3] إِلى تَماجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَناراً واضِحَةً عَلى أَعْلامِ تَوْحِيدِهِ [4] لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِراتُ الآثامِ [5] وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيالي وَالأَيَّامِ [6] وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوازِعِها عَزِيمَةَ إِيمانِهِمْ [7] وَلَمْ

---

(١) خاسئة : مدفوعة مطرودة عن الترامي اليها .

(٢) الاخبات : الخضوع ، والخشوع .

(٣) جمع ذلول : خلاف الصعب .

(٤) قال بعض اهل اللغة : إن منارة تجمع على منار ، وإن لم يذكره صاحب القاموس ، وأرى ان منارا ههنا جمع منارة بمعنى المسرجة ، وهي ما يوضع فيه المصباح ، والأعلام : ما يقام للاهتداء به على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض ، والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده .

(٥) [مواصرات الآثام] مثقلاتها .

(٦) ارتحله : وضع عليه الرحل ليركبه ، والعقب : جمع عقبة وهي النوبة . والليل والنهار لتعاقبهما ؛ أي : لم يتسلط عليهم تعاقب الليل والنهار فيفنيهم أو يغيرهم .

(٧) النوازع : جمع نازعة وهي النجم أو القوس ، وعلى الأول المراد منها الشهب ، والثاني تكون الباء في بنوازعها بمعنى من .

تَعْتَرِكُ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ[١] وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ[٢]، وَلَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ[٣] وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ[٤]: مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ[٥] وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفِي قَتَرَةِ الظَّلَامِ الْأَبْهَمِ[٦]، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ[٧] وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ[٨] وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ[٩] وَلَمْ تُجَاوِزْ

---

(١) جمع معقد : محل العقد ، بمعنى الاعتقاد .

(٢) الاحن : جمع احنة ، وهي الحقد والضغينة .

(٣) لاق : لصق .

(٤) تقترع : يروى بالقاف المثناة — من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة ، والرين — بفتح الراء — الدنس ، وما يطبع على القلب من حجب الجهالة .

(٥) جمع دالح ، وهو : الثقيل بالماء من السحاب .

(٦) القترة هنا : الخفاء والبطون ، ومنها قالوا : أخذه على قترة ، أي : من حيث لا يدري ، والأبهم — بباء موحدة بعد الهمزة — أصله من لا يعقل ولا يفهم وصف به الليل وصفاً للشيء بما ينشأ عنه ؛ فان الظلام الحالك يوقع في الحيرة ، ويأخذ بالفهم عن رشاده .

(٧) مواضع ما خرقت اقدامهم .

(٨) جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها .

(٩) شدة الشوق اليه .

رَغَباتُهمْ مَاعِنْدَهُ إِلى مَاعِنْدَ غَيْرِهِ ، قَدْ ذَاقُوا حَلاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ (١) وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ (٢) وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ (٣) فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ (٤) وَلا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ (٥) ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَاسَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الإِجْلالِ (٦) نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ (٧) فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلاتُ أَلْسِنَتِهِمْ (٨) ، وَلا مَلَكَتْهُمُ الأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ (٩) وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ

---

(١) الروية : التي تروي وتطفيء العطش .

(٢) محل الروح الحيواني من مضغة القلب .

(٣) الوشيجة : أصلها عرق الشجرة ، أراد منها هنا بواعث الخوف من الله .

(٤) أي : إن شدة رجائهم لم تفن مادة خوفهم وتذللهم .

(٥) جمع ربقة — بالكسر ، والفتح — وهي : العروة من عرى الربق — بكسر الراء — : وهو حبل فيه عدة عرى تربط فيه البهم .

(٦) الاستكانة : ميل للسكون من شدة الخوف ، ثم استعملت في الخضوع .

(٧) دأب في العمل : بالغ في مداومته حتى أجهده .

(٨) لم تنقص ، وأسلة اللسان : طرفه ، أي : لم تيبس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره .

(٩) الهمس : الخفي من الصوت ، والجؤار : رفع الصوت بالتضرع ، أي : لم يكن لهم عن الله شاغل يضطرهم للهمس والاخفاء وخفض جؤارهم بالدعاء إليه .

الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ [1] ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ ، وَلَا تَعْدُو [2] عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلادَةُ الْغَفَلاتِ ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ [3] قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ [4] . وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ [5] لا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ [6] إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ [7] لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ [8] فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ [9] وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ [10] وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ،

---

(١) المقاوم : جمع مقام ، والمراد الصفوف .

(٢) لا تسطو .

(٣) انتضلت الابل : رمت بأيديها في السير سرعة . وخدائع الشهوات للنفس عما تزينه لها ، أي : لم تسلك خدائع الشهوات طريقاً في هممهم .

(٤) حاجتهم .

(٥) يمموه : قصدوه بالرغبة والرجاء عندما انقطعت الخلق سواهم الى المخلوقين .

(٦) الاستهتار : التولع .

(٧) مواد : جمع مادة ، أصلها من « مد البحر » إذا زاد ، وكل ما أعنت به غيرك فهو مادة ، ويريد بها البواعث المعينة على الأعمال ، أي : كلما تولعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرهبة .

(٨) الشفقة : الخوف .

(٩) ونى يني : تأنى .

(١٠) وشيك السعي : مقاربه وهينه ، أي : إنه لا طمع في غيره فيختاروا هين السعي على الاجتهاد الكامل .

وَلَو اُسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءَ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ [١] وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ ، وَلَا شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ [٢] وَلَا اُقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ [٣] فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنًى وَلَا فُتُورٌ [٤] وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ [٥] إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ [٦] يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً .

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء [٧] :

كَبَسَ الْأَرْضَ [٨] عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ ، وَلُجَجِ بِحَارٍ

---

(١) الشفقات : تارات الخوف وأطواره ، وهو فاعل نسخ ، والرجاء : مفعول والوجل : الخوف ايضاً .

(٢) شعبتهم : فرقتهم صروف الريب : جمع ريبة ، وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق .

(٣) جمع خيف ـ بالفتح ـ وهو في الأصل : ما انحدر عن سفح الجبل ، والمراد هنا سواقط الهمم ؛ فان التفرق والاختلاف كثيراً ما يكون من انحطاط الهمة ، بل أعظم ما يكون منه ينشأ عن ذلك ، وقد يكون الخيف بمعنى الناحية ، أي : متطرفات الهمم .

(٤) الونى : مصدر وني ـ كتعب ـ أي : تأنى .

(٥) جلد حيوان .

(٦) خفيف ، سريع .

(٧) دحوها : بسطها .

(٨) كبس النهر والبئر ، أي : طمها بالتراب ، وعلى هذا كان حق التعبير

زَاخِرَةٍ[1] تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا[2] وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا[3] وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا ، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا[4] ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً[5] إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا[6] فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ[7] سَاجِياً مَقْهُوراً[8] ، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً[9] وَسَكَنَتِ الأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلاَئِهِ[10] وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ[11]

كبس بها مور أمواج . لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل . والمور : التحرك الشديد ، والمستفحلة : الهائجة التي يصعب التغلب عليها .

(١) ممتلئة .

(٢) جمع آذي ، وهو أعلى الموج .

(٣) اصطفقت الاشجار : اهتزت بالريح ، والأثباج جمع ثبج – بالتحريك – وهو في الاصل ما بين الكاهل والظهر ، أو صدر القطاة ، استعارة لأعالي الموج ، التي يقذف بعضها بعضاً .

(٤) هو في الاصل الصدر ، استعارة لما لاقى الماء من الارض .

(٥) منكسراً : مسترخياً .

(٦) من « تمعكت الدابة » اي تمرغت في التراب .

(٧) اصطخاب : افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت .

(٨) ساجياً : ساكناً .

(٩) الحكمة – محركة – ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذاران .

(١٠) الكبر ، والزهو .

(١١) بضم الغين وفتح اللام : النشاط وتجاوز الحد .

وَكَعَمَتْهُ[1] عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ[2] فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ[3] وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ[4] فَلَمَّا سَكَنَ هِيَاجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا[5] وَحَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا[6] فَجَرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا[7]، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا[8] وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا[9] وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ[10] مِنْ صَيَاخِيدِهَا[11] فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ[12]

---

(١) كعم البعير – كمنع – شد فاه لئلا يعض او يأكل ، وما يشد بـه كعام – ككتاب – .

(٢) الكظة – بالكسر – ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام ويراد بها هنا ما يشاهد في جري الماء من ثقل الاندفاع .

(٣) النزق والنزقان : الطيش .

(٤) الزيفان : التبختر في المشية ، ولبد – كفرح ونصر – اي قام ووثب .

(٥) نواحيها .

(٦) البذخ بمعنى الشمخ ،جمع شامخ وباذخ ،أي عال ورفيع غير اني أجد من لفظ الباذخ معنى أخص وهو الضخامة مع الارتفاع ، وحمل : عطف على أكتاف.

(٧) عرانين : جمع عرنين ـ بالكسر ـ وهو ما صلب من عظم الانف والمراد اعالي الجبال ، غير ان الاستعارة من ألطف انواعها في هذا المقام .

(٨) السهوب : جمع سهب ـ بالفتح ـ أي الفلاة، والبيد: جمع بيداء، والاخاديد: جمع اخدود ، وهي الحفر المستطيلة في الارض ، والمراد منها مجاري الانهار .

(٩) الضمير للارض ، كما يظهر من بقية الكلام ، والجلاميد : جمع جلمود ، وهو الحجر الصلد .

(١٠) الشناخيب : جمع شنخوب ، وهو رأس الجبل ؛ والشم : الرفيعة .

(١١) جمع صيخود ، وهو الصخرة الشديدة .

(١٢) بالتحريك : الاضطراب .

لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا [١] وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا [٢] وَرُكُوبِ أَعْنَاقِ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا [٣] وَفَسَحَ بَيْنَ ٱلْجَوِّ وَبَيْنَهَا ، وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا [٤] ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ٱلْأَرْضِ [٥] ٱلَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا [٦] وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ ٱلْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا [٧] حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا [٨] وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا . أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِ لُمَعِهِ [٩] وَتَبَايُنِ

---

(١) سطحها .

(٢) التغلغل : المبالغة في الدخول ، و « متسربة » اي داخلة ، والجوبات : جمع جوبة ، بمعنى الحفرة ، والخياشيم : جمع خيشوم ، وهو منفـــذ الأنف الى الرأس ، أو مارق من الغراضيف الكائنة فوق قصبة الانف متصلة بالرأس ، وضمير « تغلغلها » للجبال ، و « خياشيمها » للارض ، والمجاز ظاهر .

(٣) ركوب الجبال أعناق السهول : استعلاؤها عليها ، وأعناقها : سطوحها ، وجراثيمها : ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية ، واستعلاء الجبال عليها ظاهر .

(٤) مرافق البيت : ما يستعان به فيه ، وما يحتاج اليه في التعيش ، خصوصاً ما يكون من الاماكن ، او هو ما يتم به الانتفاع بالسكنى كمصاب المياه والطرق الموصلة اليه والاماكن التي لا بد منها للساكنين فيه لقضاء حاجاتهم وما يشبه ذلك .

(٥) الارض الجرز ـ بضمتين ـ التي تمر عليها مياه العيون فتنبت .

(٦) مرتفعاتها .

(٧) ذريعة : وسيلة .

(٨) الموات من الأرض : ما لا يزرع .

(٩) جمع لمعة ـ بضم اللام ـ وهي في الأصل القطعة من النبات مالت لليبس ، استعارها لقطع السحاب للمشابهة في لونها وذهابها الى الاضمحلال ، لولا تأليف الله لها مع غيرها .

قُزَعِهِ[1] حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ ٱلْمُزْنِ فِيهِ[2] وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ[3]، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ[4] وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدَارِكاً[5]، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ[6] تَمْرِيهِ ٱلْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ[7] فَلَمَّا أَلْقَتِ ٱلسَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيهَا[8]،

---

(١) جمع قزعة – محركة – وهي : القطعة من الغيم .

(٢) تمخضت : تحركت تحركاً شديداً كما يتحرك اللبن في السقاء بالمخض، والضمير في « فيه » راجع الى المزن، أي : تحركت اللجة التي يحملها المزن فيه ، ويصح ان يرجع للغمام في أول العبارة .

(٣) جمع كفة –بضم الكاف–وهي الحاشية والطرف لكل شيء ، أي: جوانبه.

(٤) نامت النار : همدت ، والوميض : اللمعان ، والكنهور – كسفرجل – القطع العظيمة من السحاب ، او المتراكم منه . والرباب – كسحاب – الأبيض المتلاحق منه . أي : لم يهمد لمعان البرق في ركام هذا الغمام .

(٥) سحاً : متلاحقاً متواصلاً .

(٦) أسف الطائر : دنا من الأرض، والهيدب – كجعفر – السحاب المتدلي ، أو ذيله . وقوله « تمريه » من « مرى الناقة » أي : مسح على ضرعها ليحلب لبنها. والدرر – كعلل – جمع درة – بالكسر – وهي اللبن ، والأهاضيب : جمع أهضاب ، وهو جمع هضبة – كضربة – وهي المطرة ، أي : دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء ، وريح الجنوب تستدر الماء كما يستدر الحالب لبن الناقة ؛ فان الريح تحركه فيصب ما فيه .

(٧) جمع شؤبوب ، وهو ما ينزل من المطر بشدة [وكأنما ينصب من جانب لا من أعلى] .

(٨) البرك –بالفتح– في الأصل : ما يلي الأرض من جلد صدر البعير كالبركة، والبواني : هي أضلاع الزور ، وشبه السحاب بالناقة إذا بركت وضربت بعنقها على الأرض ولاطمتها بأضلاع زورها . واشتبه ابن أبي الحديد في معنى البرك والبواني فأخرج الكلام عن بلاغته .

وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ [١] مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا [٢] أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ [٣] وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ [٤] فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا [٥] وَتَزْدَهِي [٦] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ [٧] أَزَاهِيرِهَا [٨] وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ [٩] مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا [١٠] وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ [١١] وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا، فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ [١٢] وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا

---

(١) «وبعاع» عطف على «برك» والبعاع - بالفتح -: ثقل السحاب من الماء، وألقى السحاب بعاعه: أمطر كل ما فيه.

(٢) العبء: الحمل

(٣) الهوامد من الأرض: ما لم يكن بها نبات.

(٤) زعر - بالضم - جمع أزعر، وهو الموضع: القليل النبات. والأنثى زعراء.

(٥) بهج - كمنع -: سر وأفرح.

(٦) تعجب.

(٧) جمع ريطة - بالفتح - وهي كل ثوب رقيق لين.

(٨) جمع أزهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات.

(٩) «سمط» من «سمط الشيء» أي: علق عليه السموط، وهي: الخيوط تنظم فيها القلادة.

(١٠) الأنوار: جمع نور: - بفتح النون - وهو الزهر بالمعنى المعروف أي: حلية القلائد التي علقت عليها من أزهار نباتها، وفي رواية «شمطت» بالشين وتخفيف الميم - من «شمطه» إذا خلط لونه بلون آخر، والشميط من النبات: ما كان فيه لون الخضرة مختلطاً بلون الزهر.

(١١) البلاغ: ما يتبلغ به من القوت [والعجاج: الرياح].

(١٢) خلقته.

أُكُلَهُ وَأَوْعَزَ إلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ — مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ — فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْناً فَقَرْناً ، حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ — حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ[1] . وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا ، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا ، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا[2] وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا[3] غُصَصَ أَتْرَاحِهَا[4] وَخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا[5] وَجَعَلَهُ خَالِجاً لأَشْطَانِهَا[6] ، وَقَاطِعاً

---

(١) المقطع : النهاية التي ليس وراءها غاية.

(٢) العقابيل : الشدائد . جمع عقبولة — بضم العين — وأصل العقابيل قروح صغار تخرج بالشفة من آثار المرض ، والفاقة : الفقر .

(٣) الفرج : جمع فرجة ، وهي التفصي من الهم .

(٤) جمع ترح — بالتحريك — وهو : الغم والهلاك .

(٥) حبالها .

(٦) خالجاً : جاذباً لأشطانها جمع شطن — كسبب — وهو الحبل الطويل ، شبه به الأعمار الطويلة .

لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا [١] عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ [٢] وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ [٣] وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ [٤] وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ [٥] وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ [٦] وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ [٧] وَمَصَائِفِ الذَّرِّ [٨] وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ [٩] وَرَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ [١٠] وَهَمْسِ

---

(١) المرائر : جمع مريرة ، وهو الحبل يفتل على اكثر من طاق ، أو الشديد الفتل ، والأقران : جمع قرن – بالتحريك – وهو الحبل يجمع به بعـيران وذكره لقوته ايضاً ، وإضافة المرائر للأقران بعد استعمالها في الشديدة بلا قيد أن تكون حبالاً .

(٢) التخافت : المكالمة سراً .

(٣) رجم الظنون : ما يخطر على القلب انه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان .

(٤) العقد : جمع عقدة ؛ وهو ما يرتبط القلب بتصديقه : لا يصدق نقيضه،ولا يتوهمه ، والعزيمات : جمع عزيمة ؛ وهو ما يوجب البرهان الشرعي او العقلي تصديقه والعمل به .

(٥) جمع مسرق : مكان مسارقة النظر أو زمانها ، أو البواعث عليها ، أو من « فلان يسارق فلاناً النظر » أي : ينتظر منه غفلة فينظر اليه . والايماض : اللمعان وهو أحق أن ينسب الى العيون لا الى الجفون ، ونسبته الى الجفون لأنه ينبعث من بينها .

(٦) ضمنته : حوته ، والأكنان : جمع كن – بالكسر – وهو كل ما يستتر فيه ؛ وغيابات الغيوب : أعماقها .

(٧) استراق الكلام : استماعه خفية ، والمصائخ : جمع مصاخ ، وهو مكان الاصاخة ، وهو ثقبة الأذن .

(٨) صغار النمل ، ومصائفها : محل إقامتها في الصيف ، وهو وما بعده عطف على ضمائر المضمرين .

(٩) مشاتيها : محل إقامتها في الشتاء .

(١٠) المولهات : الحزينات ، ورجع الحنين : ترديده .

الْأَقْدَامِ (١) وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الْأَكْمَامِ (٢) وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا (٣)، وَمُخْتَبَإِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا (٤) وَمَغْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ (٥) وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ (٦) وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا (٧) وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا (٨) وَعَوْمِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ (٩) وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ (١٠)،

---

(١) الهمس : أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض .

(٢) منفسح الثمرة : مكان نموها ، من الولائج : جمع وليجة ، بمعنى البطانة الداخلية . والغلف : جمع غلاف . والأكمام جمع كِم – بالكسر – وهو غطاء النوار ووعاء الطلع .

(٣) منقمع الوحوش : موضع انقماعها – أي اختفائها – والغيران : جمع غار .

(٤) سوق : جمع ساق ، وهو أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها ، والألحية : جمع لحاء ، وهو قشر الشجرة .

(٥) الغصون .

(٦) الأمشاج : النطف ، جمع مشيج – مثل يتيم وأيتام – وأصله مأخوذ من « مشج » إذا خلط ، لأنها مختلطة من جراثيم مختلفة كل منها يصلح لتكوين عضو من اعضاء البدن . ومسارب الأصلاب : جمع مسرب ، وهي : ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو عند تكونه .

(٧) سفت الريح التراب : ذرته أو حملته ، والأعاصير : جمع إعصار ، وهي ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود .

(٨) تعفو : تمحو .

(٩) الكثبان : جمع كثيب ، وهو التل .

(١٠) الذرى : جمع ذروة ، وهي أعلى شيء ، والشناخيب : رؤوس الجبال واحدها شنخوب او شنخوبة كعصفور وعصفورة .

وَتغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ [١] ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ [٢] وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ [٣] ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ [٤] أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ [٥] ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ [٦] وَسُبُحَاتُ النُّورِ . وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ [٧] وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ [٨] أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ [٩] أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ [١٠] أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ ، لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُلْفَةٌ ، وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ [١١] ، وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدْبِيرِ الْمَخْلُوقِينَ

(١) تغريد الطائر : رفع صوته بالغناء ، وهو نطقه ، والدياجير : جمع ديجور ، وهو الظلمة .

(٢) أوعبته : جمعته .

(٣) حضنت عليه : ربته فتولد في حضنها ، كالعنبر ونحوه .

(٤) سدفة : ظلمة .

(٥) ذر : طلع .

(٦) اعتقبت : تعاقبت وتوالت ، والأطباق : الأغطية ، والدياجير : الظلمات وسبحات النور : درجاته وأطواره .

(٧) هماهم : هموم ، مجاز من الهمهمة : وهي ترديد الصوت في الصدر من الهم .

(٨) « عليها » أي : على الأرض .

(٩) قرارتها : مقرها .

(١٠) نقاعة : عطف على نطفة ، ونقاعة الدم : ما ينقع منه في أجزاء البدن ، والمضغة عطف على نقاعة ، أي : يعلم مقر جميع ذلك .

(١١) هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله .

مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ[1] بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ ، مَعْ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

دعاء

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ[2] إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مُؤَمَّلٍ ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ . اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَاأَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ[3] وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ . اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ[4] مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ . اللَّهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهٰذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ[5] ، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

---

(١) اعتورته : تداولته وتناولته .

(٢) المبالغة في عد كمالاتك إلى ما لا ينتهي .

(٣) هم المخلوقون .

(٤) ثواب وجزاء .

(٥) الخلة — بالفتح — : الفقر ، والمن : الاحسان.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه

دَعُونِي وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي ، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ ، لا تَقُومُ لَهُ ٱلْقُلُوبُ ، وَلا تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ [1] وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ [2] ، وَٱلْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ ، وَٱعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ وَعَتْبِ ٱلْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي ، أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً .

﴿ تم الجزء الأول ﴾

---

(١) لا تصبر له ولا تطيق احتماله .

(٢) أغامت : غطيت بالغيم، والمحجة : الطريق المستقيمة . و « تنكرت » اي: تغيرت علائمها فصارت مجهولة ، وذلك أن الأطماع كانت قد تنبهت في كثير من الناس ، على عهد عثمان رضي الله عنه ، بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء ؛ فلا يسهل عليهم - فيما بعد - ان يكونوا في مساواة مع غيرهم ، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه ، وطلبوا طائشة الفتنة ، طمعاً في نيل رغباتهم، واولئك هم اغلب الرؤساء في القوم، فان أقرهم الامام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد أتى ظلماً ، وخالف شرعاً ، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالنصفة ، إن لم ينالوها تحرشوا للفتنة ، فأين المحجة للوصول إلى الحق على أمن من الفتن ؟ وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها.

تصويب

•

تنبيه

وقع اسم ابن ميثم في هـذا الجزء بالسين وصحته بالثاء و « ابن ميثم » هو علي بن ميثم البحراني توفي سنة ٦٧٩ هجرية وقبره في « هلتا » من قرى « ماحوز » ويحكى عن بعض العلماء أن مِيثماً حيثما وجد فهو بكسر الميم إلا مَيثم البحراني فانه بفتح الميم (كتاب الكنى والألقاب للشيخ عباس القمى ج ١ ص ٤١٩) .

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥	١٣	هَوَج	هَرَج
٤٥	٤	خَضمة	خِضمة
٦٥	٣	جميِع	جمِيع
٧٦	٦	أوَ	أوْ
٧٨	٩	الممسكُ	الممسكَ
٨٩	٧	يستفم	يستقم
٩٦	٩	فية	فيه
٩٧	٣	إلآ	إلاّ
٩٧	١٧	الرجن	الرجل
٩٧	٢٢	فرغ	فرع
١٠٠	١	عنكم	منكم
١٠١	١١	مشردين	مشردون
١٠٢	٧	فراغة	فراغه
١٠٧	١٨	أجمعو	أجمعوا
١١٠	٦	أكُذب	أكْذب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١١١	١	لانا	لأنا
١١١	٥	وفيها	وفيه
١١٧	١	وقلبت	وقلّبت
١١٧	٩	مستقلت	مستلفت
١٢٠	١	المستخّلف	المستخْلف
١٢٠	٣	وابتداء	وابتداء
١٢١	٣	بالتخيلة	بالنخيلة
١٢٨	٧	مَعالجة	مُعالجة
١٢٩	٧	آباؤُنا	آباءَنا
١٣١	٢	تتبرّأوا	تتبرأوا
١٣٤	٧	وترحّلو	وترحّلوا
١٣٦	٢	الأُوبة	الأَوْبة
١٣٦	٧	ويمنّه	ويمنّيه
١٤٠	٢	واطعُنوا	واطعَنوا
١٤٨	٢	لوحبّك	لوحبِك
١٤٩	٥	متزله	منزله
١٥٠	١٨	الكرات	الكرامة
١٥١	١٨	الحُرمة	الحرمة
١٥٣	٥	وعَمَل	وعَمِل
١٥٩	٩	التنفر	التنفير
١٦٠	٥	أمزه	أمره
١٧٥	٣	نزولُ	نزولَ
١٨٣	٨	فَلَوَتٍ	فلواتٍ

فهرس الجزء الاول من نهج البلاغة

لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

•

صفحة

تم طبع الجزء الاول في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٧٤
الموافق اول كانون الثاني سنة ١٩٥٥ على :

مطبعة دار الكتب - بيروت - بناية اللعازارية

وسيليه الجزء الثاني في اول الشهر القادم

الناشر
حسين عاصي

منشورات
مكتبة الاندلس
شارع سوريا - بيروت (لبنان) - هاتف ٢٨٠١٠

نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي
ابن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين
أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح الاستاذ الامام

الشيخ محمد عبده

أشرف على تحقيقه وطبعه
عبد العزيز سيد الأهل

الجزء الثاني

تمتاز هذه الطبعة بزيادات كثيرة أضيفت على الطبعات السابقة
من شروح ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني

منشورات
مكتبة الاندلس
شارع سوريا - بيروت (لبنان) - هاتف ٢٨٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

عنينا في هـذا الجزء والأجزاء التي تليه بأن أضفنا أهم شروح ابن ابي الحديد وابن ميثم البحراني .

وسنلحق باخر الجزء الرابع ان شاء الله فهرساً عاماً للاعلام الواردة في كامل الكتاب مع فهرس عام للموضوعات .

والله ولي التوفيق .

الناشر

حسين عاصي

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها ينبّه أمير المؤمنين على فضله وشرف وقته ويبيّن فتنة بني أمية]

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ [1] وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا [2] وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا [3] فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي نفسي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مَائَةً وَتُضِلُّ مَائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا [4] وَقَائِدِهَا، وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ [5] وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ [6] لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ

---

(١) فقأتها : قلعتها ، تمثيل لتغلبه عليها ، وذلك كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج [والكلام فيه إذن اشارة إلى فتنة اهل البصره وغيرها واستعارة لفظ العين لشرفه والتصرف به وقد كرره في خطبه] .

(٢) الغيهب : الظلمة . وموجها : شمولها وامتدادها .

(٣) الكلب محركة : داء معروف يصيب الكلاب ، فكل من عضته أصيب به فجن ومات [إن لم يبادر بالدواء] وشبه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحداً إلا أهلكته [والجرأة من امير المؤمنين لعلمه بمن يجب قتاله حتى ولو كان من اهل القبلة] .

(٤) [ناعقها] : الداعي اليها ، من نعق بغنمه صاح بها لتجتمع .

(٥) [المناخ بضم الميم : محل البروك] الكرائه جمع كريهة .

(٦) الحوازب جمع حازب : وهو الأمر الشديد ، حزبه الأمر إذا [أصابه واشتد عليه .

الْمَسْئُولِينَ ، وَذٰلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ [١] وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ .

إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ [٢] وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ [٣] يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً . أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ : عَمَّتْ خُطَّتُهَا [٤] وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا [٥] وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا ، وَأَيْمُ ٱللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ [٦] : تَعْذِمُ بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا ، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ ، وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ

---

(١) قلصت بتشديد اللام : تمادت واستمرت ، وبتخفيفها : وثبت .

(٢) [شبّهت] اشتبه فيها الحق بالباطل .

(٣) لأنها تعرف بعد انقضائها وتنكشف حقيقتها فتكون عبرة .

(٤) الخطة بالضم : الأمر ، أي شمل أمرها لأنها رئاسة عامة . وخصت بليتها آل البيت لأنها اغتصاب لحقهم .

(٥) من عرف الحق فيها نزل به بلاء الانتقام من بني أمية .

(٦) الناب : الناقة المسنة . والضروس : السيئة الخلق تعض حالبها . وتعذم من عذم الفرس : إذا أكل بجفاء أو عض . وتزبن : أي تضرب . ودرها : لبنها ، والمراد خيرها .

وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ [1] تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً [2] وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ، وَلَا عَلَمٌ يُرَى [3] .

نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ [4] وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ [5] : بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً [6] وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ [7] لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ [8] ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ — بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا — لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً ، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ [9] لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي!

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس الله تعالى]

فَتَبَارَكَ [10] اللهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ ، وَلَا يَنَالُهُ

(١) التابع من متبوعه ، أي انتصار الأذلاء ، وما هو بانتصار .
(٢) شوهاء : قبيحة المنظر . ومخشية : مخوفة مرعبة .
(٣) [علَم] : دليل يهتدى به .
(٤) [ ] أي بمكان النجاة من إثمها .
(٥) [أي يزيل دولة بني أمية ويشقهم عما أحاطوا به] كما يسلخ الجلد عن اللحم .
(٦) يلزمهم ذلاً . وقوله: بمن، متعلق بيفرجها .
(٧) مملوءة الى اصبارها جمع صبر بالضم والكسر بمعنى الحرف: أي الى رأسها .
(٨) من أحلس البعير : إذا ألبسه الحلس بكسر الحاء ، وهو كساء يوضع على ظهره تحت البردعة [للبعير] ، أي لا يكسوهم إلا خوفاً .
(٩) الجزور : الناقة المجزورة ، أو هو البعير مطلقاً ، أو الشاة المذبوحة ، أي ولو مدة ذبح البعير أو الشاة .
(١٠) [تبارك : من البروك وهو الثبات أو من البركة وهي الزيادة] .

حَدْسُ[1] الْفِطَنِ ، الْأَوَّلُ الَّذي لا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي ، وَلا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي .

منها في وصف الانبياء :

فَاسْتَوْدَعَهُمْ في أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلابِ[2] إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ .

رسول الله وآل بيته

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً[3] وَأَعَزِّ الْأُرُومَاتِ مَغْرِساً[4] : مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ[5] ، وَٱنْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ[6] . عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ[7] وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ[8] لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ ،

(١) [الحدس: الظن، وهو مثل قوله عليه السلام – من قبل – غوص الفطن] .

(٢) تناسختهم : تناقلتهم .

(٣) [منبت] كمجلس موضع ، النبات ينبت فيه .

(٤) الأرومات: جمع أرومة الأصل . والمغرس: موضع الغرس .

(٥) صدع فلاناً : قصده لكرمه ، أي اختصهم بالنبوة من بين فروعها وهي شجرة ابراهيم عليه السلام .

(٦) انتخب : اختار .

(٧) عترته : آل بيته [وعترة الرجل نسله ورهطه الأدنون] وأسرة الرجل رهطه الأدنون [أو قومه] .

(٨) بسقت : ارتفعت [وأراد بالحرم مكة وبالكرم عن زكاء أصله عليه

وَثَمَرَةٌ لا تُنَالُ ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى ، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى ، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ (١) وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ ، وَكَلامُهُ الْفَصْلُ ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ (٢) وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ (٣) ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ (٤) .

عظة الناس

اُعْمَلُوا ، رَحِمَكُمُ اللهُ ، عَلَى أَعْلامٍ بَيِّنَةٍ ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ (٥) يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ . وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ (٦) ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَالأَقْلامُ جَارِيَةٌ ، وَالأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ (٧) .

أفضل الصلاة وأتم التسليم] .

(١) القصد: الاستقامة .

(٢) الفترة : الزمان بين الرسولين .

(٣) هفوة : زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين [والرسالة التي جاء بها الأنبياء واحدة أصلاً ولكن تختلف باختلافهم في الفروع والطرق] .

(٤) [غباوة من الأمم : أي جهل منهم] .

(٥) [يريد بالأعلام البينة مواضح الطرق المبينة أو يريد أئمة الدين وما بأيديهم من مصابيح الهداية] واضح : قويم ، ويدعو إلى دار السلام : يوصل اليها .

(٦) مستعتب بفتح التاءين طلب العتبى. أي [طلب] الرضا من الله بالاعمال النافعة [وعلى مهل : أي إمهال وانتظار] .

(٧) [الواوات السبعة للحال، وفائدة التذكير بهذه الأمور التنبيه على وجوب العمل معها وتذكر أضدادها] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يقرر فضيلة الرسول الكريم]

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ [١] وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ [٢] . حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ ، فَبَالَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الله وفي الرسول الأكرم]

الله تعالى

الْحَمْدُ لِلهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ ، وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ .

منها في ذكر الرسول صلى عليه وآله :

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ [٣] قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ ،

---

(١) [خابطون : اي ضاربون في البدع على غير نظام .] واستزلتهم : أدت بهم الى الزلل والسقوط في المضار ، وتأنيث الفعل على تأويل أن الكبرياء صفة . وفي رواية : واستزلهم الكبراء ، أي أضلهم كبراؤهم وسادتهم .

(٢) استخفتهم : طيشتهم . والجاهلية : حالة العرب قبل نور العلم الاسلامي . والجهلاء : وصف لها للمبالغة .

(٣) [أشار بمستقره إلى مكة لكونها أم القرى ومقصد الخلق في الحج، ويحتمل

وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ[1]، دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ[2]، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ[3]، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً[4] أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ[5]، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ[6].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في أصحابه وأصحاب رسول الله]

اصحاب علي

وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ[7] وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ[8] أَمَا وَالَّذِي

أنه أراد محله من عناية الله ورعايته] . المماهد، جمع مَمْهَد كمقعد: ما يمهد اي يبسط فيه الفراش ونحوه، أي انه ولد في أسلم موضع وأنقاه من دنس السفاح .

(١) الأزمة كائمة جمع زمام . وانثناء الأزمة اليه عبارة عن تحولها نحوه .

(٢) الضغائن: الاحقاد، فهو رسول الالفة، واهل دينه المتآلفون المتعاونون على الخير . ومن لم يكن في عروة الالفة منهم فهو – والله أعلم – خارج عنهم .

(٣) جمع ثائرة وهي العداوة الواثبة بصاحبها على اخيه ليضره ان لم يقتله . [وقيل النوائر بالنون جمع نائرة وهي العداوة والمخاصمة] .

(٤) وفرق به أقران الالفة على الشرك .

(٥) ذلة الضعفاء من اهل الفضل المستترين بحجب الخمول، وأذل به عزة الشرك والظلم والعدوان .

(٦) [كلامه بيان : أي لما انغلق من أحكام كتاب الله، وصمته لسان من وجهين : أي أنه إقرار لما يحدث أمامه من أصحابه او سكوت عما لا ينبغي من القول، وكلاهما شبيه بالكلام] .

(٧) لا يذهب عنه أن يأخذه .

(٨) [المرصاد: الطريق يرصد بها] والشجى ما يعترض في الحلق من عظم وغيره . ومساغ الريق ممره من الحلق . والكلام تمثيل لقرب السطوة الالهية من الظالمين .

نَفْسي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هٰؤُلاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلٰكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي . وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا ، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي : اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا ، أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ[1] وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ ! أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ الْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا[2] تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً ، كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ[3] عَجَزَ الْمُقَوِّمُ ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ[4] .

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ . صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللّٰهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللّٰهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ . لَوَدِدْتُ وَاللّٰهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي

(١) شهود جمع شاهد بمعنى الحاضر . وغياب جمع غائب .

(٢) قالوا ان سبأ هو أبو عرب اليمن كان له عشرة أولاد ، جعل منهم ستة يميناً له ، وأربعة شمالاً تشبيهاً لهم باليدين ، ثم تفرق أولئك الاولاد أشد التفرق . [ثم سار مثلاً ضربت به العرب من يتفرق بعد اجتماع] .

(٣) ظهر الحنية : القوس .

(٤) أعضل : استعصى واستصعب .

عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاثٍ وَاثْنَتَيْنِ : صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلامٍ ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ [1] ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلاءِ ! تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ ! يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا ، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ [2] : أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى [3] ، وَحَمِيَ الضِّرَابُ ، وَقَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا [4] وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي ، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً [5]

اصحاب رسول الله

انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ [6] وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا [7] وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا . وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلَا

(١) هاته وما بعدها هما الثنتان ، وما قبلها هي الثلاثة .

(٢) [تربت أيديكم : أصابت التراب دون الخير] اخال : أظن .

(٣) وحمس . كفرح : اشتد . والوغى : الحرب .

(٤) انفراج المرأة عن قبلها عند الولادة أو عندما يشرع عليها سلاح . والمشابهة في العجز والدناءة في العمل .

(٥) اللقط : أخذ الشيء من الارض . وانما سمى اتباعه لمنهاج الحق لقطاً لان الحق واحد والباطل ألوان مختلفة ، فهو يلتقط الحق من بين ضروب الباطل .

(٦) السمت بالفتح : طريقهم أو حالهم أو قصدهم .

(٧) لبد كنصر : أقام ، أي : إن أقاموا فأقيموا .

تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا . لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ، فَمَا أَرَى أَحَداً مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ[1] ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً[2] وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ[3] وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ! كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى[4] مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ! إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ ، خَوْفاً[5] مِنَ الْعِقَابِ ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يشير فيه الى ظلم بني أمية]

وَاللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ[6] وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَه

---

(١) شعثا جمع أشعث : وهو المغبر الرأس . والغبر جمع أغبر ، والمراد أنهم كانوا متقشفين .

(٢) في بعض النسخ « فما أرى أحداً منهم يشبهه » .

(٣) المراوحة بين العملين : أن يعمل هذا مرة ، وهذا مرة . وبين الرّجلين : أن يقوم على كل منهما مرة ، وبين جباههم وخدودهم : أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى على الأرض خضوعاً لله وسجوداً .[وهو كناية عن إدمان الصلاة] .

(٤) ركب جمع ركبة : موصل الساق من الرجل بالفخذ . وانما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة ، أي انهم لطول سجودهم يطول سهودهم ، وكان بين أعينهم جسم خشن يدور فيها فيمنعهم عن النوم والاستراحة .

(٥) مادوا : اضطربوا وارتعدوا .

(٦) الكلام في بني أمية . والمحرم ما حرمه الله . واستحلاله : استباحته[كأنه حلال . وقيل إن الظلم أعظم كبائر المحرمات] .

ظُلْمُهُمْ [1] وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ [2]، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ: إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ [3]، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في التزهيد من الدنيا]

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ [4].

عِبَادَ اللهِ، أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ

---

(١) بيوت المدر المبنية من طوب وحجر ونحوها، وبيوت الوبر الخيام.

(٢) أصله من نبا به المنزل اذا لم يوافقه فارتحل عنه، وان البيوت تستو بل سوء الحكومة فتأخذ عنه منجاة فيخسر العمران، ولا تنبوأ الحكومة الظالمة إلا خراباً تنعق فيه فلا يجيبها إلا صدى نعيقها.

(٣) [«إذا شهد أطاعه، وما بعدها»: هو وجه الشبه في التشبيه السابق].

(٤) [خصص الامام عليه السلام الحمد بما كان لأن الشكر على النعمة مترتب على وقوعها. والاستعانة على ما يكون لأن طلب العون يكون على أمر يفعل]

قَدْ قَطَعُوهُ [١] ، وَأَمُّوا عَلَماً [٢] فَكَأَنَّهُم قَدْ بَلَغُوهُ ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا [٣] حَتَّى يَبْلُغَهَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا [٤] ؟ فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا ، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ [٥] ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ . أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ [٦] وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ ؟ وَإِلَى الْخَلَفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ ؟ أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى : فَمَيِّتٌ يُبْكَى ، وَآخَرُ يُعَزَّى ، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ [٧] وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ ؟ ! !

---

(١) [الرفض : الترك] ، والسَّفْر بفتح فسكون : جماعة المسافرين ، أي أنكم في مسافة العمر كالمسافرين في مسافة الطريق فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها لأنها محدودة .

(٢) أموا : قصدوا .

(٣) الذي يجري فرسه الى غـــاية معلومة ، أي مقدار من الجري يلزمه حتى يصل لغايته .

(٤) يحدوه : يتبعه ويسوقه [والاستفهام معناه التحقير] .

(٥) نفاد : فناء .

(٦) مكان للانزجار وللارتداع .

(٧) من جاد بنفسه إذا قارب ان يقضي نحبه كأنه يسخو بها ويسلمها الى خالقها .

وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي !

أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَاتِ عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ [(١)] وَاسْتَعِينُوا ٱللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في رسول الله وأهل بيته]

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ . نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ . وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ : أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً [(٢)] ، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً ، فَأَدَّى أَمِيناً ، وَمَضَى رَشِيداً ، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ [(٣)] ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ [(٤)] ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ ٱلْكَلَامِ [(٥)] بَطِيءُ الْقِيَامِ ،

---

(١) عند: متعلق باذكروا . والمساورة المواثبة كأن العمل القبيح لبعده عن ملاءمة الطبع الانساني بالفطرة الالهية ينفر من مقترفه كما ينفر الوحش فلا يصل اليه المغبون إلا بالوثبة عليه وهو في غائلته على مجترمه كالضاريات من الوحوش فهو يثب على مواثبه ليهلكه ، فما ألطف التعبير بالمساورة في هذا الموضع

(٢) [صادعا] : فالقاً به جدران الباطل فهادمها .

(٣) [مرق] : خرج عن الدين . والذي يتقدم راية الحق هو من يزيد على ما شرع الله اعمالاً وعقائد يظنها مزينة للدين ومتممة له ويسميها بدعة حسنة .

(٤) زهق : اضمحل وهلك .

(٥) [مكيث] : رزين في قوله لا يبادر به عن غير روية ، بطيء القيام لا ينبعث للعمل بالطيش وإنما يأخذ له عدة إتمامه ، فاذا أبصر منه وجه الفوز قام فمضى اليه

سَرِيعٌ إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللّٰهُ ، حَتَّى يُطْلِعَ اللّٰهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ [1] فَلاَ تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ ، وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ [2] ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ وَتَثْبُتَ الأُخْرَى ، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً [3] .

أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ : إِذَا خَوَى نَجْمٌ [4] طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللّٰهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ [5] ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ [6] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

[وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم]

الأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلاَنَ ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ .

مسرعاً ، وكأنه يصف بذلك حال نفسه كرم الله وجهه .

(١) يضم نشركم : يصل متفرقكم .

(٢) الاقبال والادبار في الجملتين لا يتواردان على جهة واحدة ، فالمقبل بمعنى المتوجه الى الامر الطالب له الساعي اليه ، والمدبر بمعنى من أدبرت حاله واعترضته الخيبة في عمله وإن كان لم يزل طالباً .

(٣) [والأمامية يستدلون من هذا الكلام على أنه لا يخلو زمان من وجود قائم من أهل البيت يهدي الى سبيل الله] . قائمتيه : رجليه .

(٤) خوى : غاب .

(٥) [الصنائع : النعم]

(٦) ضليل كشرير : شديد الضلال .

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي [1] وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي [2] فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ. وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ [3] قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ [4] فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ [5]. فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ [6] وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ [7] وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا [8] وَمِنَ اللَّيَالِي

---

(١) لا يكسبنكم، والمفعول محذوف اي خسراناً، أي لا تشاقوني فيكسبكم الشقاق خسراناً، ولا تعصوني فيتيه بكم عصياني في ضلال وحيرة [أو لا يحق عليكم شقاقي].

(٢) لا ينظر بعضكم الى بعض تغامزاً بالانكار لما أقول [وهو تقريع لمن ضعفت عين بصيرته عن إدراك فضله].

(٣) ضليل كشرير: شديد الضلال مبالغ في الاضلال.

(٤) من فحص القطا التراب اذا اتخذ فيه افحوصاً بالضم وهو مجثمه، اي المكان الذي يقيم فيه عندما يكون على الارض، يريد انه نصب له رايات بحثت لها في الارض مراكز.

(٥) [كوفان] هي الكوفة، اي انه كاد يصل الكوفة حيث ان راياته انتشرت على بعض بلدان من حدودها، وهو ما اشار اليه بالضواحي.

(٦) فغر الفم كمنع: انفتح، وفغرته، فهو لازم ومتعد، أي إذا انفتحت فاغرته: وهي فمه.

(٧) الشكيمة: الحديدة المعترضة في اللجام في فم الدابة، ويعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الانقياد.

(٨) [كلوحها]: عبوسها [واستعار العضّ للفتنة لمشابهة ما يستلزمانه من

كُدُوحُهَا [1] فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ [2] وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ [3] وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ، هٰذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ [4]، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ [5].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يجري هٰذا المجرى

[وفيه ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة]

يوم القيامة

وَذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللّٰهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ [6] وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعاً، قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ،

الشدة والالم].

(١) جمع كدح بالفتح : وهو الخدش وأثر الجراحات .

(٢) [اينع] : نضج وحان قطافه .

(٣) [ينعه] : حالة نضجه .

(٤) هو ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرهما . والعاصف ما اشتد من الريح ، والمراد مزعجات الفتن .

(٥) يكون الاشتباك بين قواد الفتنة وبين اهل الحق كما تشتبك الكباش بقرونها عند النطاح . وما بقي من الصلاح قائماً يحصد ، وما كان قد حصد يحطم ويهشم ، فلا يبقى إلا شر عام وبلاء تام إن لم يقم للحق انصار [ويقولون إن هذا الكلام يشير الى عبد الملك بن مروان] .

(٦) [اشار بذلك اليوم الى يوم القيامة] نقاش الحساب : الاستقصاء فيه .

وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

حال مقبلة على الناس

ومنه: فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً: يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا[1]، وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ[2]، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ! لَا رَهَجَ لَهُ، وَلَا حَسَّ[3]، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ.

---

(١) لا تثب لمعارضتها قائمة خيل، وقوائم الفرس رجلاه أو انه لا يتمكن احد من القيام لها وصدها. وقوله مزمومة مرحولة قادها وزمها وركبها برحلها اقوام زحفوا بها عليكم، يحفزونها: أي يحثونها ليقروا بها في دياركم وفيكم يحطون الرحال.

(٢) السلب محركة: ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب: أي ليسوا من أهل الثروة.

(٣) الرهج بسكون الهاء ويحرك: الغبار، والحس بفتح الحاء: الجلبة والاصوات المختلطة. قالوا يشير الى فتنة صاحب الزنج وهو علي بن محمد ابن عبدالرحيم من بني عبدالقيس ادعى انه علوي من ابناء محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين، وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ في نواحي البصرة وخرج بهم على المهتدي العباسي في سنة خمس وخمسين ومائتين، واستفحل أمره وانتشرت اصحابه في أطراف البلاد للسلب والنهب، وملك ابلة عنوة وفتك باهلها، واستولى على عبادان والاهواز، ثم كانت بينه وبين الموفق في زمن المعتمد حروب انجلى فيها عن الاهواز وسلم عاصمة ملكه، وكان سماها المختارة – بعد محاصرة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في التزهيد في الدنيا]

أَيُّها الناسُ، أَنْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا [1]، فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ [2]، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الآمِنَ [3]، لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزُلْ [4]، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

صفة العالم

ومنها: الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا

شديدة — وقتله الموفق أخو الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم.

(١) الصادفين: المعرضين.

(٢) الثاوي: المقيم.

(٣) المترف بفتح الراء: المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع.

(٤) فان الذي هو موجود في الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن، وان الذي هو كائن في الآخرة بعد قليل كأنه كان لم يزل، فكأنه وهو في الدنيا من سكان الآخرة

يَعرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ. جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ. إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ[1] وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ[2].

آخر الرسالة

ومنها: وَذٰلِكَ زَمَنٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[3]: إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السُّرَى[4] لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ، وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ[5] وَقَدْ قَالَ جَلَّ

---

(١) ما عمل له هو حرث الدنيا.

(٢) ونى فيه: تراخى فيه، وهو حرث الآخرة.

(٣) نومة بضم ففتح: كثير النوم، يريد به البعيد عن مشاركة الأشرار في شرورهم، فاذا رأوه لا يعرفونه منهم وإذا غاب لا يفتقدونه.

(٤) السرى كالهدى السير في ليالي المشاكل. وبقية الألفاظ يأتي شرحها بعد أسطر لصاحب الكتاب.

(٥) ليتبين الصادق من الكاذب والمخلص من المريب، فتكون لله الحجة على خلقه.

مِنْ قَائِلٍ : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) .

قال السيد الشريف الرضي : أمَّا قوله عليه السلام : « كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ » فانما أراد به الخامل الذكر القليل الشر ، والمساييح : جمع مسياح ، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم ، والمذاييع : جمع مذياع ، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ، ونوه بها ، والبذر : جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه (١) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً ، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ (٢) وَيَقِفُ الْكَسِيرُ ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ ، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ

---

(١) الذي في القاموس ان البذور بالفتح كالبذير : هو النام .

(٢) من حسر البعير كضرب إذا أعيا وكل ، والكسير : المكسور ، اي أن من ضعف اعتقاده أو كلت عزيمته فتراخى في السير على سبيل المؤمنين ، أو طرقته الوساوس فهشمت قوائم همته بزلزال في عقيدته فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقيم على ملاحظته وعلاجه حتى ينصل من مرضه هذا ويلحق بالمخلصين ، إلا من كان ناقص الاستعداد ، خبيث العنصر . فلا ينجع فيه الدواء فيهلك .

فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ[1] وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا: مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ، وَلَا وَهَنْتُ، وَايْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ[2] حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في بعض صفات الرسول الكريم وتهديد بني أمية وعظة الناس]

الرسول الكريم

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، شَهِيداً، وَبَشِيراً، وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً[3].

---

(١) كناية عن وفرة أرزاقهم، فان الرحا إنما تدور على ما تطحنه من الحب. أو كناية عن قوة سلطانهم على غيرهم. والرحا: رحا الحرب يطحنون بها. والقناة: الرمح. واستقامتها: كناية عن صحة الاحوال وصلاحها.

(٢) البقر بالفتح: الشق، أي لأشقن جوف الباطل بقهر أهله فأنتزع الحق من أيدي المبطلين. والتمثيل في غاية من اللطف.

(٣) [الشيمة: الخلق] والديمة بالكسر المطر، يدوم في سكون. والمستمطر بفتح الطاء من يطلب منه المطر. والمراد هنا النجدة والمعونة. فالنبي ﷺ أغزر الناس فيضاً للخير على طلابه [وقد استعار له وصف السحاب المرجو منه نزول الديمة وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق].

فَمَا أُحْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا ، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا[1] إِلَّا مِنْ بَعْدِمَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا[2] قَلِقاً وَضِينُهَا ، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ[3] ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ وَصَادَفْتُمُوهَا ، وَاللهِ ، ظِلّاً مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ[4] وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ . وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً[5] وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً ، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ[6] ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ . فَأُقْسِمُ بِاللهِ

---

(١) الاخلاف جمع خلف بالكسر . حلمة ضرع الناقة .

(٢) الخطام ككتاب : ما يوضع في أنف البعير ليقاد به . والوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للرحل كالحزام للسرج . وجولان الخطام وقلق الوضين إما كناية عن الهزال ، وإما كناية عن صعوبة القياد . فان الخطام الجائل لا يشتد على البعير فيجذبه ، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه لاضطراب الرحل بقلق الوضين .

(٣) السدر بالكسر : شجر النبق ، والمخضود : المقطوع الشوك او منثني الأغصان من ثقل الحمل . والتشبيه في اللذة .

(٤) أي بعد بعثة النبي ﷺ شغرت لكم الارض ، أي لم يبق فيها من يحميها دونكم ويمنعكم عن خيرها .

(٥) ثاره : طلب بدمه وقتل قاتله ، [يريد تهديد بني أمية بعقاب الله]

(٦) الطالب بدمائنا ينال ثأره حتماً كأنه هو القاضي بنفسه لنفسه ليس هناك من يحكم عليه فيمانعه عن حقه .

يَا بَني أُمَيَّـةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَـا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ . أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ .

وعظ الناس

أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ ، وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ [1] .

عِبَادَ اللهِ ، لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ [2] ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ [3] . يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ ، فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ [4] .

---

(١) امتاحوا : استقوا وانزعوا الماء لري عطشكم من عين صافية صفت من الكدر وهي عين علومه عليه السلام .

(٢) منزل الركون الى الجهالة والانقياد للهوى . وشفا الشيء : حرفه . والجرف بضمتين : ما تجرفه السيول وأكلته من الارض . والهاري كالهائر : المتهدم أو المشرف على الانهدام ، أي أنه بمكان التهور في الهلكة .

(٣) أي انه إذا نقل حمل المهلكات فإنما ينقله من موضع من ظهره الى موضع آخر منه ، فهو حامل لها دائماً ، وإنما يتعب في نقلها من اعلاه لوسطه أو أسفله بآرائه وبدعه ، فهو في كل رأي ينتقل من ضلالة الى ضلالة حيث ان مبنى الكل على الجهالة والهوى .

(٤) يقال أشكاه : إذا أزال مشتكاه ، والشجو : الحاجة . يقول ان ما تسوله لكم الجهالات والاهواء من الحاجات يلزمكم أن تنصرفوا عن خبالها ولا تشكوها إلي ،

وَلا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا[1]: فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[2] وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ[3] وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي[4].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها يبين فضل الاسلام ويذكر الرسول الكريم ثم يلوم أصحابه]

دين الاسلام

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ،

فاني لا أتبع أهواءكم ولا أقضي هذه الرغبات الفاسدة ولا أستطيع أن أنقض برأيي ما أبرم لكم في الشريعة الغراء.

(١) السهمان بالضم جمع سهم: بمعنى الحظ والنصيب، وإصدار السهمان اعادتها الى اهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيئاً. وسماه اصداراً لانها كانت منعتها أربابها بالظلم في بعض الازمان ثم ردت اليهم، كالصدور وهو رجوع الشاربة من الماء الى اعطانها.

(٢) التصويح: التجفيف، أي سابقوا الى العلم وهو في غضارته قبل ان يجف فلا تستطيعون إحياءه بعد يبسه، [ومعلوم أن العلم في ذاته لا ييبس ولا يموت وإنما يموت من تركه].

(٣) مستثار: اسم مفعول بمعنى المصدر. والاستثارة طلب الثور وهو السطوع والظهور.

(٤) [لان النهي عن الشيء بعد الانتهاء عنه هو النهي المثمر المطابق لمقتضى الحكمة]

وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ (١) وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ (٢) وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ (٣) فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ (٤) وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ (٥) مُشْرَفُ الْمَنَارِ (٦) مُشْرِقُ الْجَوَادِّ (٧) مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ (٨) رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ (٩) مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ (١٠) شَرِيفُ

---

(١) علقه كعلمه : تعلق به .

(٢) من دخله لا يحارب [بفتح الراء] .

(٣) [و كون الاسلام شاهداً لمن خاصم بـه أن الشاهد أعمّ من البرهان] وجنة بالضم : أي وقاية وصوناً [وذلك لمن عمل به] .

(٤) أشد الطرق وضوحاً وأنورها .

(٥) الولائج جمع وليجة : هي الدخيلة وهي المذهب [والدخيلة هي السرّ والأمر الباطن أي انه واضح الاسرار لمن نظر فيه بعين الاعتبار] .

(٦) مشرف بفتح الراء : هو المكان ترتفع عليـه فتطلع من فوقه على شيء . ومنار الدين هي دلائله من العمل الصالح يطلع منها البصير على حقائق العقـائد ومكارم الاخلاق .

(٧) [الجوّاد] جمع جادة : الطريق الواضح .

(٨) كريم المضمار أي اذا سوبق سبق .

(٩) الحلبة : خيل تجمع من كل صوب للنصرة . والاسلام جامعها يأتي اليه الكرائم والعتاق .

(١٠) السبقة بالضم : جزاء السابقين .

الْفُرْسَانِ [1] : التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ [2] وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ [3] وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ [4] .

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ [5] وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ [6] فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً [7] ، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً . اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ [8] وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ [9] وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ

---

(١) [واستعارة لفظ الفرسان لرجال الدين لأنهم لا يجارون كما لا يجارى الفارس] .

(٢) يريد الموت عن الشهوات البهيمية والحياة بالسعادة الابدية كما يعلم من قوله رفيع الغاية ، وإلا فالموت المعروف غاية كل حي .

(٣) لأنها مزرعة الآخرة من سبق فيها سبق في الاخرى .

(٤) سبقته : جزاء السابقين به .

(٥) أورى : أوقد . والقبس بالتحريك : الشعلة من النار تقتبس من معظم النار . والقابس : آخذ النار من النار . والمراد ان النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه .

(٦) الحابس : من حبس ناقته وعقلها حيرة منه لا يدري كيف يهتدي فيقف عن السير . وأنار له علماً أي وضع له ناراً في رأس جبل ليستنقذه من حيرته .

(٧) بعيثك : مبعوثك [أي نعمة للدنيا وللناس] .

(٨) المقسم كمقعد ومنبر : النصيب والحظ .

(٩) النزل بضمتين ما هيء للضيف لان ينزل عليه .

وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ [1] وَالْفَضِيلَةَ ، وَاُحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا [2] وَلا نَادِمِينَ ، وَلَا نَاكِبِينَ [3] وَلا نَاكِثِينَ [4] وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا مَفْتُونِينَ .

قال الشريف : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أننا كررناه ههنا لما في الروايتين من الاختلاف .

ومنها في خطاب أصحابه :

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ ٱللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ ، وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ ٱللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ ، وَكَانَتْ أُمُورُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ ٱللهِ فِي أَيْدِيهِمْ ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ وَأَيْمُ ٱللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ ٱللهُ

---

(١) السناء كسحاب : الرفعة .

(٢) خزايا جمع خزيان من خزى : إذا خجل من قبيح ارتكبه .

(٣) عادلين عن طريق الحق .

(٤) ناكثين : ناقضين للعهد .

لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ (١) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في بعض ايام صفين]

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ ، وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ (٢) وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ (٣) وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ (٤) وَالأَنفُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ ، وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي (٥) أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ (٦) تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ ، حَسّاً بِالنِّصَالِ (٧) وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ (٨) تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ

---

(١) أي أنكم ستجتمعون لقهر الظالمين ولن يكون في طاقتهم أن يفرقوكم ، حتى لو شتتوكم تشتيت الكواكب في السماء لاجتمعتم لقتالهم . وقيل انه يريد أن البلاء سيعم حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب طلباً لخلاصكم من البلاء لجمعكم الله لشر يوم لهم حتى يأخذكم البلاء كما يأخذهم .

(٢) [الانحياز : الذل والتقهقر] الطغام كجراد : أوغاد الناس .

(٣) لهاميم جمع لهميم بالكسر [أو لهموم بالضم] : وهو السابق الجواد من الخيل والناس .

(٤) اليآفيخ جمع يأفوخ: هو من الرأس حيث يلتقى عظم مقدمة مع مؤخره.

(٥) الوحاوح جمع وحوحة : صوت معه بحح يصدر عن المتألم . والمراد حرقة الغيظ .

(٦) الاخرة محركة : آخر الامر . وجملة ان رأيتكم فاعل شفى .

(٧) الحس بالفتح : القتل . والنضال : المباراة في الرمي . وفي رواية النصال بالصاد .

(٨) الشجر كالضرب : الطعن .

الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ [1] تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا ، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي من خطب الملاحم

الله تعالى

الْحَمْدُ للهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ [2] . وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ [3] وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

النبي عليه السلام

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ [4] ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ [5] وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ [6] وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ .

---

(١) الهيم بالكسر : العطش . وتذاد : تمنع [والابل العطاش إذا اجتمعت لتشرب ثم طردت بالسهام ركب بعضها بعضاً ووقع بعضها على بعض والهول في التشبيه ظاهر] .

(٢) المراد بذوي الضمائر ذوو القلوب والحواس البدائية] .

(٣) جمع سترة ما يستر به اياكان .

(٤) المشكاة كل كوة غير نافذة ومن العادة أن يوضع فيها المصباح .

(٥) الذؤابة : الناصية أو منبتها من الرأس .

(٦) ما بين أخشبي مكة كانت تسكنه قبائل من قريش، ويقال لهم قريش البطاح .

ومنها : طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ (١) يَضَعُ ذٰلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ : مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ ، وَآذَانٍ صُمٍّ ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ (٢) وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ ، فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ .

قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ (٣) وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا (٤) وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا ، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا . مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ ؟ وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ . وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ ، وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ ، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً ، وَشُهُوداً غُيَّباً ، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ ؟ رَأَيْتُ ضَلَالَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا (٥) وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا (٤) تَكِيلُكُمْ

---

(١) مواسمه جمع ميسم بالكسر : وهو المكواة ، يجمع على موسم ومياسم [أو المسامير التي تكوي] .

(٢) قوله لم يستضيئوا ، يحكي حال من لم ينجع فيهم الدواء ممن صار الفساد من مقومات أمزجتهم .

(٣) انجابت : من قولهم انجابت الناقة إذا مدت عنقها للحلب ، أي ان السرائر خضعت لنور البصائر فهو يكشفها ويملكها . وأهل البصائر يصرفون السرائر الى ما يريدون .

(٤) خابطها : السائر عليها .

(٥) قامت على قطبها : تمثيل لانتظام أمرها واستحكام قوتها .

(٦) جمع شعبة ، أي انتشرت بفروعها .

بِصَاعِهَا[١] وَتَخْبُطُكُمْ بِبَاعِهَا[٢]. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ، فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ[٣]، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ[٤] تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ[٥] وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ[٦] وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ[٧] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ.

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[٨] وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ[٩]

---

(١) تكيلكم أي تأخذكم للهلاك جملة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب .

(٢) تخبطكم ، من خبط الشجرة ضربها بالعصى ليتناثر ورقها ، أو من خبط البعير بيده الارض أي ضربها . وعبر بالباع ليفيد استطالتها عليهم وتناولها لقريبهم و بعيدهم .

(٣) الثفالة بالضم كالثفل . والثافل : ما استقر تحت الشيء من كدرة . وثفالة القدر : ما يبقى في قعره من عكارة . و المراد الارذال والسفلة .

(٤) النفاضة : ما يسقط بالنفض . والعكم بالكسر : العدل بالكسر أيضاً ، وعط تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والمراد ما يبقى بعد تفريغه في خلال نسيجه فينفض لينظف .

(٥) العرك كالنصر : شديد الدلك . وعركه حكه حتى عفاه . والاديم:الجلد.

(٦) الحصيد : المحصود .

(٧) البطينة : السمينة، [وهذا علم غريب بطبائع الطير لا يعلمه إلا الراسخون]

(٨) الرباني بتشديد الباء : المتأله العارف بالله عز وجل .

(٩) هتف بكم : صاح بكم .

وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ [1] وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ [2] فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ [3] ، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ ، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً [4] وَالْمَطَرُ قَيْظاً ، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً ، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً [5] ، وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً ، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً ، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً ، وَغَارَ الصِّدْقُ ، وَفَاضَ الْكَذِبُ ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً ، وَالْعَفَافُ عَجَباً ، وَلُبِسَ

---

(١) الرائد : من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ ويتعرف سهولة الوصول اليها من صعوبته . وفي المثل : « لا يكذب الرائد أهله » . يأمر الهداة والدعاة الذين يتلقون عنه ويوصيهم بالصدق في النصيحة .

(٢) قرف الصمغة قشرها ، وخص هذا بالذكر لان الصمغة اذا قشرت لا يبقى لها أثر – كذا قالوا – .

(٣) الفنيق الفحل من الابل . وبعد كظوم أي امساك وسكون .

(٤) يغيظ والده لشبوبه على العقوق ، ويكون المطر قيظاً لعدم فائدته فان الناس منصرفون عن فوائدهم والانتفاع بما يفيض الله عليهم من خير الى اضرار بعضهم البعض ، ما أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان [الذي نحن فيه] .

(٥) تغيض : من غاض الماء إذا غار في الارض وجفت ينابيعه .

الإِسْلامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً (١).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث]

قدرة الله

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ : غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ . لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلَا يَسْبِقُكَ (٢) مَنْ طَلَبْتَ ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ (٣) وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ ، أَنْتَ الْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى لَا مَحِيصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ

---

(١) [« لبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً » من أحسن التشبيه وأبلغه، وبيانه ان المنافقين قلبوا غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم] .

(٢) [لا يسبقك : لا يفوتك] .

(٣) لا يفلتك : لا ينفلت منك .

لاَ مَنْجى مِنكَ إلّا إلَيْكَ ، بِيدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسمةٍ ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ، وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذٰلِكَ فِيما غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الآخِرَة . !

الملائكة الكرام

منها : مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمٰواتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَمْ يَسْكُنُوا ٱلأَصْلاَبَ ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (١) وَلَمْ يَشْعَبْهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ (٢) وَإِنَّهُمْ ـ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ـ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ (٣) ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ .

---

(١) المهين : الحقير ، يريد النطفة .

(٢) المنون : الدهر . والريب : صرفه . أي لم تفرقهم صروف الزمان [أو لم يفرّق بينهم الموت] .

(٣) زرى عليه كرمى : عابه .

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً : بِحُسْنِ بَلائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ[١] خَلَقْتَ دَاراً ، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً[٢] : مَشْرَباً ، وَمَطْعَماً ، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً ، وَقُصُوراً ، وَأَنْهَاراً ، وَزُرُوعاً ، وَثِمَاراً ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا . أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ[٣] وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ، وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا : حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا ، وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ[٤] - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ

---

(١) البلاء يكون نعمة ويكون نقمة ، ويتعين الاول باضافة الحسن اليه ، أي ما عبدوك الا شكراً لنعمتك عليهم .

(٢) المأدبة بفتح الدال وضمها : ما يصنع من الطعام للمدعوين في عرس ونحوه ، والمراد منها نعيم الجنة .

(٣) أعشاه : أعماه .

(٤) على الغرة بالكسر : بغتة وعلى غفلة .

مَا نَزَلَ بِهِمْ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً [1] فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ـ يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا : أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا [2] وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا [3] وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا : تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ [4] وَالْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ [5] . وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا [6] فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ [7] لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ

---

(١) ولوجاً : دخولاً .

(٢) أغمض لم يفرق بين حلال وحرام ، كأنه أغمض عينيه فلا يميز . أو أغمض أي طلبها من أدق الوجوه وأخفاها فضلاً عن أظهرها وأجلاها .

(٣) تبعاتها بفتح فكسر : ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها ، وما يحاسبه به الله من منع حقه منها وتخطي حدود شرعه في جمعها .

(٤) المهنأ : ما أتاك من خير بلا مشقة .

(٥) العبء : الحمل والثقل .

(٦) غلقت رهونه : استحقها مرتهنها ، وأعوزته القدرة على تخليصها كناية عن تعذر الخلاص .

(٧) أصحر له : من أصحر اذا برز في الصحراء ، أي على ما ظهر له وانكشف من أمره .

يَغْبُطُه بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ (١) ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ : يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ . ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ . فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ . وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ . لَا يُسْعِدُ بَاكِياً (٢) ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً . ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ (٣) فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ (٤) .

القيامة

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ، أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا (٥) وَأَرَجَّ الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا

(١) خالط لسانه سمعه : شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته .

(٢) التياطاً أي التصاقاً به . [يسعد باكياً : اي يبكي معه]

(٣) [مخط : مكان مخطوط ، أو مخط : مكان محطوط] .

(٤) زورته : زيارته .

(٥) أماد : جواب اذا بلغ الكتاب الخ ... وأمادها حركها على غير انتظام. وفطرها : صدعها .

وَنَسفَهَا . وَدَكَّ بَعْضَهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ . وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا . فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ أَخْلاَقِهِمْ [1] وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ . ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ وَخَبَايَا الأَفْعَالِ . وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ : أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلاَءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلاَءِ ، فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ النُّزَّالُ ، وَلاَ تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ . وَلاَ تَنُوبُهُمُ الأَفْزَاعُ [2] ، وَلاَ تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ ، وَلاَ تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ ، وَلاَ تُشْخِصُهُمُ الأَسْفَارُ [3] . وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ [4] ، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ [5] . فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ [6] ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيفٌ هَائِلٌ [7] ، لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلاَ يُفَادَى

---

(١) أخلاقهم بالفتح : من قولهم ثوب اخلاق اذا كانت الخلوقة شاملة له كله . الخلوقة البلى .

(٢) لا تنوبهم الأفزاع : جمع فزع بمعنى الخوف .

(٣) أشخصه : أزعجه .

(٤) السربال : القميص . والقطران معروف .

(٥) المقطعات كل ثوب يقطع كالقميص والجبة ونحوها ، بخلاف ما لا يقطع كالازار والرداء والمقطعات أشمل للبدن وأشد استحكاماً في احتوائه .

(٦) عبر بالكلب (محركاً) عن هيجانها . واللجب الصوت المرتفع .

(٧) القصيف : أشد الصوت .

أَسِيرُهَا وَلَا تُفصَمُ كُبُولُهَا [١] . لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى ، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى .

زهد النبي

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلنَّبِي صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَدْ حَقَّرَ ٱلدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا ، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا . وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ زَوَاهَا عَنْهُ ٱخْتِيَاراً [٢] ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً . فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً [٣] ، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً . بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً [٤] ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً ، وَدَعَا إِلَى ٱلْجَنَّةِ مُبَشِّراً .

أهل البيت

نَحْنُ شَجَرَةُ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ ٱلرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ ٱلْمَلَائِكَةِ [٥] ، وَمَعَادِنُ ٱلْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ ٱلْحِكَمِ . نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ ٱلرَّحْمَةَ ،

(١) كبول جمع كبل بفتح فسكون : القيد . وتفصم : تنقطع .
(٢) زواها : قبضها .
(٣) الرياش : اللباس الفاخر .
(٤) معذراً : مبيناً لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم ان خالفوا أمره .
(٥) مختلف الملائكة (بفتح اللام) محل اختلافهم أي ورود واحد منهم بعد آخر، فيكون الثاني كأنه خلف للأول وهكذا [وعليه مذهب الامامية إذ هم يقولون ان الأئمة يسمعون أصوات الملائكة ولا يرونهم عياناً ، وهذا فرق ما بينهم وبين الأنبياء] .

وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ ٱلسَّطْوَةَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في اركان الدين]

الاسلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ ٱلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ ٱلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ ٱلْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ ٱلْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا ٱلْفِطْرَةُ . وَإِقَامُ ٱلصَّلَاةِ فَإِنَّهَا ٱلْمِلَّةُ . وَإِيتَاءُ ٱلزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ . وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلْعِقَابِ . وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ٱلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ ٱلذَّنْبَ [1] . وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي ٱلْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ فِي ٱلْأَجَلِ [2] . وَصَدَقَةُ ٱلسِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ ٱلْخَطِيئَةَ . وَصَدَقَةُ ٱلْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ ٱلسُّوءِ . وَصَنَائِعُ ٱلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ ٱلْهَوَانِ .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ ٱللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلذِّكْرِ . وَٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ ٱلْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ ٱلْوَعْدِ . وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ ٱلْهَدْيِ . وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى ٱلسُّنَنِ .

---

(١) رحضه ـ كمنعه ـ غسله .

(٢) منسأة : مطال فيه ومزيد .

وَتَعَلَّمُوا ٱلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ ٱلْقُلُوبِ، وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ ٱلصُّدُورِ. وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْقَصَصِ، فَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَٱلْجَاهِلِ ٱلْحَائِرِ ٱلَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَٱلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ أَلْوَمُ[1].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في ذم الدنيا]

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ. لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا[2]، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا. غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ[3] نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ[4]، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ[5]. لَا تَعْدُو ــ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فِيهَا وَٱلرِّضَاءِ

(١) ألوم: أشد لوماً لنفسه بين أيدي الله لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد.

(٢) الحبرة بالفتح: السرور والنعمة.

(٣) حائلة: متغيرة.

(٤) نافدة: فانية، بائدة: أي هالكة.

(٥) غوالة: مهلكة.

بِهَا[1] - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ « كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً[2] تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً » لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً[3] ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً[4] إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً . وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ[5] إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ . وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى[6] . لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً[7] إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً[8] . وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ[9] . غَرَّارَةٌ ، غَرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ ،

---

(١) أي انها وصلت بأهل الرغبة فيها الى امانيهم فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره الله في قوله كماء الخ . فقوله : ان تكون... مفعول لتعدو .

(٢) الهشيم : النبت اليابس المكسر .

(٣) [الحبرة : السرور ، والعبرة] بالفتح : الدمعة قبل ان تفيض ، أو تردد البكاء في الصدر ، أو الحزن بلا بكاء .

(٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والادبار .

(٥) الطل : المطر الضعيف ، وطلت السماء أمطرته ، والديمة : مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق معه ، والرخاء السعة ، وهتنت المزن : انصبت .

(٦) أوبى : صار كثير الوباء ، والوباء هو المعروف بالريح الأصفر .

(٧) الغضارة : النعمة والسعة ، والرغب - بالتحريك - الرغبة والمرغوب .

(٨) أرهقته التعب : ألحقته به :

(٩) القوادم - جمع قادمة - الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وهي القوادم [والعشر التي تحتها هي الخوافي] .

فَإنٍ مَنْ عَلَيْهَا . لا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا ٱلتَّقْوَى . مَنْ أَقلَّ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ . وَمَنِ ٱسْتَكْثَرَ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ [١] ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ . كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ [٢] ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ . وَذِي أُبَّهَةٍ [٣] قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً [٤] . سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ [٥] ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ [٦] ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ [٧] وَحُلْوُهَا صَبِرٌ [٨] ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ [٩] ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ [١٠] . حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ [*] سُقْمٍ . مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَمَوْفُورُهَا

---

(١) يوبقه : يهلكه .

(٢) أوجعته بفقد ما يعز عليه .

(٣) ابهة بضم فتشديد : عظمة .

(٤) النخوة بالفتح : الافتخار .

(٥) [دُوَّل بضم الدال وفتح الواو المشددة. معناه المتحول] أو جمع دولة : وهي انقلاب الزمان .

(٦) رنق ـ بفتح فكسر ـ كدر .

(٧) مالح شديد الملوحة .

(٨) الصبر ـ ككتف ـ عصارة شجر مر .

(٩) جمع سم ـ مثلث السين ـ وهو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه .

(١٠) جمع رمة بالضم : وهي القطعة البالية من الحبل ، أي ما يتمسك به منها فهو بال منقطع .

(*) في نسخه : بضم العين وسكون الراء .

مَنْكُوبٌ(١). وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ(٢). أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمالا، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً. تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ. ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ(٣) فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ(٤)، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً. بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ(٥)، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ(٦) وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ(٧)، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ(٨)، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا(٩)، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا(١٠)، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ

---

(١) موفورها: ما كثر منها. مصاب بالنكبة، وهي المصيبة: أي في معرض لذلك.

(٢) محروب: من حربه حرباً بالتحريك إذا سلب ماله.

(٣) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق.

(٤) أي سخت نفسها لهم بفداء.

(٥) أرهقتهم: غشيتهم بالقوادح بالقاف جمع قادح وهو أكال [كزكام] يقع في الشجر والأسنان، أي بما ينهكهم ويمزق أجسادهم، وفي نسخة الفوادح بالفاء من فدحه الأمر إذا أثقله.

(٦) ضعضعتهم: ذللتهم.

(٧) كبتهم على مناخرهم في العفر وهو التراب.

(٨) المناسم: جمع منسم وهو مقدم خف البعير أو الخف نفسه.

(٩) دان لها: خضع.

(١٠) أخلد لها: ركن اليها.

ٱلْأَبَدِ [1] . وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا ٱلسَّغَبَ [2] ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا ٱلضَّنْكَ [3] ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا ٱلظُّلْمَةَ [4] ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا ٱلنَّدَامَةَ . أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ؟ فَبِئْسَتِ ٱلدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا — وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ — بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا . وَٱتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » . حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً [5] ، وَأُنْزِلُوا ٱلْأَجْدَاثَ [6] . فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً . وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ ٱلصَّفِيحِ أَجْنَانٌ [7] ، وَمِنَ ٱلتُّرَابِ أَكْفَانٌ [8] ، وَمِنَ ٱلرُّفَاتِ جِيرَانٌ [9] ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً ، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً . إِنْ

---

(١) أي فراق مدته لا نهاية لها .

(٢) السغب ـ محركة ـ : الجوع .

(٣) الضنك : الضيق .

(٤) أو نورت لهم الخ : لم يكن لهم مما ظنوه نوراً لها إلا الظلام .

(٥) لا يقال لهم ركبان جمع راكب ، لأن الراكب من يكون مختاراً ، وله التصرف في مركوبه .

(٦) الأجداث : القبور .

(٧) الصفيح : وجه كل شيء عريض ، والمراد وجه الأرض ؛ والأجنان جمع جنن محركة وهو القبر .

(٨) لأن أكفانهم تبلى ولا يغشى ابدانهم سوى التراب .

(٩) الرفات : العظام المندقة المحطومة .

جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا [(١)] ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ . مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ [(٢)] ، وَقَرِيبُونَ لاَ يَتَقَارَبُونَ . حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ . وَجُهَلاَءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لاَ يُخْشَى فَجْعُهُمْ [(٣)] ، وَلاَ يُرْجَى دَفْعُهُمْ ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً ، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً . فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا [(٤)] ، حُفَاةً عُرَاةً ، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس [وامتناع الله عن أن يوصف]

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً ؟ ، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى

---

(١) جيدوا : مطروا [من جاده الغيث وجيدوا مبني للمجهول] .

(٢) [جميع وهم آحاد : اي مجتمعون بعد ان كانوا افراداً ، وجيرة وهم أبعاد : أي متجاورون ولكنهم متباعدون لا يعرف بعضهم بعضاً] متقاربون لا يزور بعضهم بعضاً .

(٣) لا يخشى فجعهم : لا تخاف منهم ان يفجعوك بضرر .

(٤) جاءوا الى الأرض واتصلوا بها بعد ما فارقوها وانفصلوا عنها في بدء خلقتهم ، فانهم خلقوا منها كما قال تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » ، وقد «ظعنوا عنها » يشير الى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم إما الى نعيم وإما الى شقاء ، أو الظعن عنها هو البعث منها يوم القيامة ومفارقتها إما الى الجنة وإما الى النار كما يرشد اليه الاستشهاد بالآية .

أَحداً ؟، بَلْ كَيْفَ يَتوَفَّى ٱلْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا[1] ؟، أَمِ ٱلرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا ؟ . كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في ذم الدنيا]

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[2]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[3]. قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا ، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا . دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا ، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا ، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا . لَمْ يُصْفِهَا ٱللهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ . خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[4] . وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ . فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فَنَاءَ ٱلزَّادِ ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ . ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ ، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ[5] .

---

(١) يلج : يدخل .

(٢) القلعة كهمزة وطرفة ودجنة : من لا يثبت على السرج ، أو من يزل قدمه عند الصراع ، أي هي منزل من لا يستقر .

(٣) النجعة بالضم : طلب الكلأ في موضعه ، أي ليست محط الرحال ولا مبلغ الآمال .

(٤) [عتيد] : حاضر .

(٥) مطلوبكم ، أي اجعلوا الفرائض من مطالبكم التي تسعون لنيلها ، واسألوا

وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا[1]، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا[2]. قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلْآمَالِ. فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ، وَٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ ٱللهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ ٱلسَّرَائِرِ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ. مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ. وَيُقْلِقُكُمُ ٱلْيَسِيرُ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ[3] كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ. وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ. وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ. قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ ٱلْآجِلِ وَحُبِّ ٱلْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ[4]. صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ

الله ان يمنحكم ما سألكم من أداء حقه ، أي أن يمن عليكم بالتوفيق لأداء حقه [أي أدّوا حق الله واسألوه، الأولى جاءت للمجاورة وأصل الكلام: واسألوه ما سألكم من أداء حقه . والله قد سألكم الواجب فأدّوه]

(١) [أي لا عبرة بالمظهر]

(٢) اغتبطوا : غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق .

(٣) قلة صبركم :عطف على وجوهكم ، وزوى، من زواه : إذا نحاه .

(٤) عبر باللعقة عن الاقرار باللسان مع ركون القلب الى مخالفته .

مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها مواعظ للناس]

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ ، السِّرَاعِ [1] إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ [2] وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ وَيَقِينُهُ الشَّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ . لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَى اللّٰهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ : زَادٌ مُبَلِّغٌ وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ . دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ [3] . فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَفَازَ وَاعِيهَا .

عِبَادَ اللّٰهِ إِنَّ تَقْوَى اللّٰهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللّٰهِ مَحَارِمَهُ [4] . وَأَلْزَمَتْ

---

(١) البطاء بالكسر جمع بطيئة ، والسراع جمع سريعة .

(٢) غير تارك شيئاً إلا أحاط به .

(٣) وعاها : فهمها وحفظها .

(٤) حمى الشيء منعه ، أي منعتهم ارتكاب محرماته .

قُلُوبَهُمْ مَخَافَتُهُ ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ[1] . فَأَخَذُوا ٱلرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ[2] ، وَٱلرِّيَّ بِالظَّمَإِ . وَٱسْتَقْرَبُوا ٱلْأَجَلَ فَبَادَرُوا ٱلْعَمَلَ ، وَكَذَّبُوا ٱلْأَمَلَ فَلاحَظُوا ٱلْأَجَلَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ أَنَّ ٱلدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ[3] ، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ ، وَلَا تُوسَى جِرَاحُهُ[4] . يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِالْمَوْتِ ، وَٱلصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ ، وَٱلنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ . آكِلٌ لَا يَشْبَعُ ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ[5] . وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ أَنَّ ٱلْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ . ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ٱللهِ لَا مَالاً حَمَلَ ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ . وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى ٱلْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً وَٱلْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً[6] لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ[7] ، وَبُؤْساً نَزَلَ . وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ ٱلْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ . فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ ، فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا وَأَظْمَأَ رِيَّهَا

---

(١) أظمأتها بالصيام .

(٢) النصب : التعب .

(٣) فمن أسباب الفناء كون الدهر قد أوتر قوسه ليرمي بها أبناءه .

(٤) توسي تداوي من أسوت الجرح : داويته .

(٥) لا ينقع ـ كينفع ـ لا يشتفي من العطش بالشرب .

(٦) غيرها بكسر ففتح تقلبها ، والمرحوم الذي ترق له وترحمه لسوء حاله يصبح مغبوطاً على ما تجدد له من نعمة .

(٧) من زل فلان زليلا وزلولاً إذا مرّ سريعاً ؛ والمراد انتقل . أو هو الفعل اللازم من أزل اليه نعمة أسداها .

وَأَضْحَى فَيْئُهَا [١] لَاجَاءٍ يُرَدُّ [٢] ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ . فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيْتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ .

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ ٱلشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ ٱلْعِيَانِ ٱلسَّمَاعُ ، وَمِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْخَبَرُ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَزَادَ فِي ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ وَزَادَ فِي ٱلدُّنْيَا . فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ . إِنَّ ٱلَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ . وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ . قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ ، فَلَا يَكُونَنَّ ٱلْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى [٣] بِكُمْ مِنَ ٱلْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ وَٱللهِ لَقَدِ ٱعْتَرَضَ ٱلشَّكُّ وَدَخِلَ ٱلْيَقِينُ [٤] ، حَتَّى كَأَنَّ ٱلَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ . فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلْأَجَلِ ،

---

(١) أضحى ، كضحى كدعى : برز للشمس ، والفيء الظل بعد الزوال أو مطلقاً .

(٢) الجائي يريد به الموت .

(٣) طلبه مبتدأ : خبره أولى . وجملتها خبر يكون .

(٤) دخل ـ كفرح ـ خالطه فساد الأوهام .

فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ ٱلرِّزْقِ [١]. مَا فَاتَ مِنَ ٱلرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ. وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. ٱلرَّجَاءُ مَعَ ٱلْجَائِي، وَٱلْيَأْسُ مَعَ ٱلْمَاضِي. فَاتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فِي ٱلِاسْتِسْقَاءِ

ٱللَّهُمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَٱغْبَرَّتْ أَرْضُنَا [٢]، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا. وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ ٱلثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ ٱلتَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، وَٱلْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا. ٱللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ ٱلْآنَّةِ، وَحَنِينَ ٱلْحَانَّةِ. ٱللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا [٣]. ٱللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ ٱعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ ٱلسِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَائِلُ ٱلْجُودِ [٤].

---

(١) الذي يفوت من العمر لا يرجى رجوعه بخلاف الذي يفوت من الرزق فانه يمكن تعويضه.

(٢) انصاحت: جفت أعالي بقولها ويبست من الجدب. وليس من المناسب تفسير انصاحت بانشقت إلا ان يراد المبالغة في الحرارة التي اشتدت لتأخر المطر حتى اتقد باطن الأرض ناراً وتنفست في الجبال فانشقت. [واغبرت ارضنا: طار فيها الغبار لجفافها] وتفسير بقية الالفاظ يأتي في آخر الدعاء لصاحب الكتاب.

(٣) موالجها: مداخلها في المرابض.

(٤) مخايل جمع مخيلة ـ كمصيبة ـ هي السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر. والجود بالفتح: المطر.

فَكُنْتَ ٱلرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ ، وَٱلْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ [١] . نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ ، وَمُنِعَ ٱلْغَمَامُ ، وَهَلَكَ ٱلسَّوَامُ [٢] ، أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا . وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ [٣] ، وَٱلرَّبِيعِ ٱلْمُغْدِقِ [٤] ، وَٱلنَّبَاتِ ٱلْمُونِقِ [٥] . سَحّاً وَابِلاً [٦] تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ . اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً ، تَامَّةً عَامَّةً ، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً مَرِيعَةً [٧] . زَاكِياً نَبْتُهَا ، ثَامِراً [٨] فَرْعُهَا ، نَاضِراً وَرَقُهَا ، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُحْيِي بِهَا ٱلْمَيْتَ مِنْ بِلَادِكَ . اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا ، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا [٩] ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا [١٠] ، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ،

---

(١) المبتئس : الذي مسته البأساء والضراء ، والبلاغ : الكفاية .

(٢) السوام : جمع سائمة البهيمة الراعية من الابل ونحوها .

(٣) انبعق المزن : انفرج عن المطر كأنما هو حي . انشقت بطنه فنزل ما فيها .

(٤) أغدق المطر : كثر ماؤه .

(٥) المونق : من آنقني اذا اعجبني ، أو من آنقه إذا سره وافرحه .

(٦) سحاً : صباً ، والوابل الشديد من المطر الضخم القطر .

(٧) المريعة (بفتح الميم) : الخصيبة .

(٨) زاكياً : نامياً . وثامراً : مثمراً آتياً بالثمر .

(٩) نجاد: جمع نجد : ما ارتفع من الارض ، والوهاد جمع وهدة : ما انخفض منها .

(١٠) الجناب : الناحية .

وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا [1]، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا [2]. مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ [3]، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ. وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً [4] مِدْرَاراً هَاطِلَةً. يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ [5]، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ [6] غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا [7]، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا [8]، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا [9]، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا [10]، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَى بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ [11]، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

---

(١) القاصية: الناحيـة أيضاً، أو هي بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا في مقابلة جنابنا.

(٢) ضاحية الماء التي تشرب ضحى. والضواحي جمعها.

(٣) المرملة: بصيغة الفاعل: الفقيرة.

(٤) مخضلة من أخضله إذا بله.

(٥) الودق: المطر.

(٦) يحفز: يدفع.

(٧) البرق: الخلب: ما يطمعك في المطر ولا مطر معه.

(٨) الجهام بالفتح السحـــاب الذي لا مطر فيه. والعارض ما يعرض في الأفق من السحاب.

(٩) الرباب: السحاب الابيض.

(١٠) جمع ذهبة: (بكسر الذال) المطرة القليلة وهو المراد باللينة في تفسير صاحب الكتاب.

(١١) المسنتون: المقحطون.

قال السيد الشريف، رضي الله عنه ؛ قوله عليه السلام : (أَنْصَاحَتْ جِبَالُنَا) أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمُحُولِ ، يُقَالُ : أَنْصَاحَ الثَّوْبُ إِذَا انْشَقَّ . وَيُقَالُ أَيْضاً : انصاحَ النَّبْتُ وَصَاحَ وَصَوَّحَ إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ . وَقَوْلُهُ : (وَهَامَتْ دَوَابُّنَا) أَيْ عَطِشَتْ ، وَالْهُيَامُ الْعَطَشُ . وَقَوْلُهُ : (حَدَابِيرُ السِّنِينَ) — جَمْعُ حِدْبَارٍ — وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَنْضَاهَا السَّيْرُ ، فَشَبَّهَ بِهَا السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا الْجَدْبُ ، قَالَ ذو الرُّمَّةِ :

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً

عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْرا

وَقَوْلُهُ : (وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا) الْقَزَعُ الْقِطَعُ الصِّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ . وَقَوْلُهُ : (وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا) فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ وَلَا ذَاتَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا . وَالشَّفَّانُ الرِّيحُ الْبَارِدَةُ ، وَالذِّهَابُ الْأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ . فَحَذَفَ (ذَاتَ) لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها ينصح اصحابه]

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ وَشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ . فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ (١) ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ (٢) . إِمَامُ مَنِ اتَّقَى ، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى .

(١) وان : متباطىء متثاقل .

(٢) واهن : ضعيف . والمعذر من يعتذر ولا يثبت له عذر .

منها : لَوْ تَعلمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إذاً لَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُدَاتِ [1] تبكُونَ عَلى أعمالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ على أَنْفُسِكُمْ [2] . وَلتَرَكْتُمْ أموالَكُمْ لا حَارِسَ لَهَا وَلا خَالِفَ عَلَيْهَا [3] ، وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِىءٍ نَفْسُهُ [4] لا يَلْتَفِتُ إلى غَيْرِهَا . وَلكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ . وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ [5] . مَضَوْا قُدُماً [6] عَلَى الطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ [7] ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ [8] . أَمَا وَاللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ

---

(١) الصعدات بضمتين : جمع صعيد بمعنى الطريق ، أي : لتركتم منازلكم وهمتم في الطرق من شدة الخوف .

(٢) الالتدام : ضرب النساء صدورهن أو وجوههن للنياحة .

(٣) الخالف : من تتركه في أهلك ومالك ، إذا خرجت لسفر أو حرب .

(٤) همته : حزنته وشغلته .

(٥) ميامين – جمع ميمون – المبارك . ومراجيح أي حلماء ، من رجح إذا ثقل ومال بغيره . والمراد الرزانة أي رزناء الحلم بكسر الحاء وهو العقل . ومقاويل – جمع مقوال – من يحسن القول . ومتاريك – جمع متراك – المبالغ في الترك .

(٦) القدم (بضمتين) المضي أمام ، أي سابقين .

(٧) الوجيف : ضرب من سير الخيل والأبل . وأوجف خيله : سيرها بهذا النوع ، أي أسرعوا على الطريق المستقيمة .

(٨) من قولهم : عيش بارد : أي هنيء .

غُلَامُ ثَقِيفٍ ٱلذَّيَّالُ ٱلْمَيَّالُ [1]. يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ.

قال الشريف: ٱلْوَذَحَةُ ٱلْخُنْفَسَاءُ. وَهٰذَا ٱلْقَوْلُ يُومِىءُ بِهِ إِلَى ٱلْحَجَّاجِ، وَلَهُ مَعَ ٱلْوَذَحَةِ حَدِيثٌ [2] لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يوبخ البخلاء بالمال والنفس]

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا. تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ [3]، وَلَا تُكْرِمُونَ ٱللهَ فِي عِبَادِهِ. فَٱعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَٱنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الصالحين من أصحابه]

أَنْتُمُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَى ٱلْحَقِّ، وَٱلْإِخْوَانُ فِي ٱلدِّينِ، وَٱلْجُنَنُ يَوْمَ

(١) الذيال: الطويل القد، الطويل الذيل، المتبختر في مشيته.

(٢) قالوا ان الحجاج رأى خنفساء تدب الى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده فلسعته فورمت يده وأخذته حمى من اللسعة فأهلكته، قتله الله بأضعف مخلوقاته وأهونها.

(٣) كرم الشيء – كحسن يحسن – أي عز ونفس، أي أنكم تصيرون أعزاء بنسبتكم للايمان بالله ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالاحسان الى عباده.

ٱلبَاسِ [1] ، وَٱلْبِطَانَةُ دُونَ ٱلنَّاسِ [2] . بِكُمْ أَضْرِبُ ٱلْمُدْبِرَ ، وَأَرْجُو طَاعَةَ ٱلْمُقْبِلِ . فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ ٱلْغِشِّ ، سَلِيمَةٍ مِنَ ٱلرَّيْبِ . فَوَٱللهِ إِنِّي لَأَوْلَى ٱلنَّاسِ بِالنَّاسِ !

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً [3]

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ (فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ) فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ ! لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ [4] ، وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ! أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ ٱلْجُنْدَ وَٱلْمِصْرَ وَبَيْتَ ٱلْمَالِ وَجِبَايَةَ ٱلْأَرْضِ وَٱلْقَضَاءَ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلنَّظَرَ فِي حُقُوقِ ٱلْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى ، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ ٱلْقِدْحِ فِي ٱلْجَفِيرِ ٱلْفَارِغِ [5] ،

---

(١) الجنن – بضم ففتح – جمع جنة بالضم وهي الوقاية . والبأس الشدة .
(٢) بطانة الرجل، خواصه واصحاب سره .
(٣) قال بعضهم ان أمير المؤمنين قال هذا الكلام عندما كان بغير أهل الشام على أطراف أعماله بعد واقعة صفين .
(٤) سدده : وفقه للسداد .
(٥) [الكتيبة : القطعة من الجيش] القدح بالكسر : السهم قبل ان يراش وينصل . والجفير : الكنانة توضع فيها السهام [ولكنه أوسع منها] وانما خص القدح لأنه يكون أشد قلقلة من السهم المراش حيث ان حد الريش قد يمنعه من القلقلة أو يخففها .

وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ ٱلرَّحَى ، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ ٱسْتَحَارَ (١) مَدَارُهَا وَٱضْطَرَبَ ثِفَالُهَا (٢) هٰذَا لَعَمْرُ ٱللّٰهِ ٱلرَّأْيُ ٱلسُّوءُ ! وَٱللّٰهِ لَوْلَا رَجَائِي ٱلشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي ٱلْعَدُوَّ ـ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ (٣) ـ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي (٤) ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ (٥) مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ (٦) ، مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى ٱلنَّارِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[يذكر فضله ويعظ الناس]

تَاللّٰهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ ٱلرِّسَالَاتِ ، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ (٧) ، وَتَمَامَ ٱلْكَلِمَاتِ . وَعِنْدَنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ أَبْوَابُ ٱلْحُكْمِ وَضِيَاءُ

---

(١) استحار : تردد واضطرب .

(٢) الثفال كغراب وكتاب : الحجر الأسفل من الرحى وككتاب ماوقيت به الرحى من الارض .

(٣) حم : قدّر .

(٤) حزمت إبلي وأحضرتها للركوب . وشخصت : أي بعدت عنكم وتخليت عن أمر الخلافة .

(٥) الغناء ـ بالفتح والمد ـ النفع .

(٦) الذي حتم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه وجبلته .

(٧) العدات : جمع عدة بمعنى الوعد.

ٱلْأَمْرِ . أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ[1] . مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ . ٱعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ ٱلذَّخَائِرُ ، وَتُبْلَى فِيهِ ٱلسَّرَائِرُ . وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ[2] ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[3] . وَٱتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[4] . أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ ٱلصَّالِحَ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ[5] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[بعد ليلة الهرير]

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : نَهَيْتَنَا عَنِ ٱلْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَدْرِي أَيُّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ ؟ فَصَفَقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى ٱلْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ :

---

(١) قاصدة أي مستقيمة [واستعار الشرائع لأهـل البيت لكونهم موارد لطلاب العلم كما ان الشوارع موارد لطلاب الماء]

(٢) عازبه : غائبه ، أي من لم ينتفع بعقله الموهب له، الحاضر في نفسه فأولى به ان لا ينتفع بعقل غـيره ، الذي هو غائب عن نفسه . أي ليس من صفاتها بل من صفات الغير .

(٣) عوز الشيء كفرح : أي لم يوجد .

(٤) الصديد : ماء الجرح الرقيق والحميم .

(٥) اللسان الصالح : الذكر الحسن .

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ[1] أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً ، فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ ، وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ـ لَكَانَتِ ٱلْوُثْقَى ، وَلٰكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ ؟ . أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ ٱلشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا[2] . اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا ٱلدَّاءِ ٱلدَّوِيِّ[3] ، وَكَلَّتِ ٱلنَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ ٱلرَّكِيِّ[4] . أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ، وَقَرَأُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ . وَهِيجُوا إِلَى ٱلْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ ٱللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا[5] ، وَسَلَبُوا ٱلسُّيُوفَ أَغْمَادَهَا . وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً

---

(١) ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة حتى يكون الظفر او الهزيمة .

(٢) الضلع [بفتح الضاد] وتسكين اللام : الميل . وأصل المثل « لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها » يضرب للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مشربه . ونقش الشوكة اخراجها من العضو تدخل فيه .

(٣) الداء الدويّ بفتح فكسر : المؤلم الشديد [وقد وصف بما هو من لفظه] .

(٤) كلت : ضعفت . والنزعة جمع نازع . والاشطان جمع شطن وهو الحبل . والركي جمع ركية وهي البئر ، أي ضعفت قوة النازعين لمياه المعونة من آبار هذه الهمم الغائضة الغائرة .

(٥) اللقاح جمع لقوح وهي الناقة . وولهها إلى أولادها فزعها اليها إذا فارقتها .

وَصَفًّا صفًّا . بَعضٌ هلَكَ وَبَعْضٌ نجا . لا يُبَشَّرُونَ بالأَحْياء [1] ، وَلا يُعزَّوْنَ عَنِ الموْتَى . مُرْهُ العُيُونِ مِنَ البُكَاءِ [2] . خُمْصُ البُطُونِ [3] مِنَ الصِّيامِ . ذُبْلُ الشِّفاهِ مِنَ الدُّعاء [4] . صُفْرُ الأَلْوانِ مِنَ السَّهَرِ . عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الخاشِعِينَ . أُولَئِكَ إِخْوانِي الذَّاهِبُونَ . فَحَقَّ لَنا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ الأَيْدِيَ عَلَى فِراقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ [5] ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِالجَماعَةِ الفُرْقَةَ [6] . فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغاتِهِ وَنَفَثاتِهِ [7] . وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْداها إِلَيْكُمْ ، وَاعْقِلُوها عَلَى أَنْفُسِكُمْ [8] .

---

(١) إذا قيل لهم نجا فلان فبقي حياً لا يفرحون لأن أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق . ولا يحزنون إذا قيل لهم مات فلان فان الموت عندهم حياة السعادة الأبدية .

(٢) مره بضم فسكون جمع أمره من مرهت عينه إذا فسدت أو ابيضت حماليقها.

(٣) خمص البطون : ضوامرها .

(٤) ذبلت شفته : جفت ويبست لذهاب الريق .

(٥) يسنى : يسهل .

(٦) يعطيكم الفرقة بدل الجماعة كأنه يبيعهم الثانية بالأولى .

(٧) فاصدفوا ، أي فأعرضوا عن وساوسه .

(٨) اعقلوها : احبسوها على أنفسكم لا تتركوها فتضيع منكم فتخسرون .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة

فقال عليه السلام :

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ ؟ فَقَالُوا : مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ . قَالَ : فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً ، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلّاً بِكَلامِهِ . وَنَادَى ٱلنَّاسَ فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلامِ ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ بِكَلامٍ طَوِيلٍ .

(منه) : أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ ٱلْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً :

إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، ٱسْتَقَالُونَا وَٱسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ ٱلْقَبُولُ مِنْهُمْ وَٱلتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ . فَقُلْتُ لَكُمْ : هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ . فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَٱلْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى ٱلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ . وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ [1] : إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ

---

(١) [يشير بالناعق الى طالبي الحكومة ، والمشير عليهم بذلك كان عمرو بن العاص]

أَعْطَيْتُمُوهَا [1] ، وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا . وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ . وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي . مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ . فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَانًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ . وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالِاعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ . فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا وَنَتَدَانَى بِهَا [2] إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغِبْنَا فِيهَا وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لأصحابه في ساحة الحرب (بصفّين)

[وفيه يعلم أصحابه فنون القتال وآدابه]

وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ [3] ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًا فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ [4]

---

(١) أنتم الذين أعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برأيكم .

(٢) المراد من الخصلة بالفتح هنا : الوسيلة . ولمّ شعثه : جمع أمره . ونتدانى : نتقارب الى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .

(٣) رباطة الجأش — ككتابة — قوة القلب عند لقاء الأعداء .

(٤) الفشل : الضعف ، وقوله فليذب أي فليدفع . والنجدة بالفتح : الشجاعة .

بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ ٱلَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ . فَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ ٱلْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ ٱلْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ ٱلْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَتْلُ[١] . وَٱلَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى ٱلْفِرَاشِ .

(مِنْهُ) وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ ٱلضِّبَابِ[٢] . لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً . قَدْ خُلِّيتُمْ وَٱلطَّرِيقَ[٣] . فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَٱلْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ .

(ومنه) [في حثهم على القتال] : فَقَدِّمُوا ٱلدَّارِعَ[٤] وَأَخِّرُوا ٱلْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى ٱلْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ[٥] . وَٱلْتَوُوا فِي أَطْرَافِ ٱلرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ[٦] لِلْأَسِنَّةِ .

---

(١) في سبيل الحماية عن الحق ورد كيد الباطل عنه .

(٢) كشيش الضباب : صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها ، والمراد حكاية حالهم عند الهزيمة .

(٣) قد خلي بينكم وبين طريق الآخرة ، فمن اقتحم أخطار القتال ورمى بنفسه اليها فقد نجا ، ومن تلوم ، أي توقف وتباطأ ، فقد هلك .

(٤) الدارع : لابس الدرع ، والحاسر : من لا درع له .

(٥) أنبى : من نبا السيف إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع .

(٦) إذا وصلت اليكم أطراف الرماح فانعطفوا وأميلوا جانبكم فتزلق ولا تنفذ فيكم أسنتها ، وأمور : أي أشد فعلاً للمور ، وهو الاضطراب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ .

وَغضُّوا ٱلْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ . وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ . وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَٱلْمَانِعِينَ ٱلذِّمَارَ مِنْكُمْ [1] فَإِنَّ ٱلصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ هُمُ ٱلَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ ، وَيَكْتَنِفُونَ حِفَافَيْهَا [2] : وَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا . وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا . أَجْزَأَ ٱمْرُؤٌ قِرْنَهُ [3] ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ ٱلْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ ٱلْآخِرَةِ . وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ [4] وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ . إِنَّ فِي ٱلْفِرَارِ مَوْجِدَةَ ٱللهِ [5] ، وَٱلذُّلَّ ٱللَّازِمَ وَٱلْعَارَ ٱلْبَاقِيَ . وَإِنَّ ٱلْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

---

(١) الذمار بالكسر : ما يلزم الرجل حفظه وحمايته من ماله وعرضه .

(٢) حقائق: جمع حاقة وهي النازلة الثابتة . ويحفون بالرايات : أي يستديرون حولها. ويكتنفونها : يحيطون بها . وحفافيها : جانبيها .

(٣) أجزأ وما بعده: أفعال ماضية في معنى الأمر؛ أي فليكف كل منكم قرنه أي كفؤه ، فيقتله . وليواس أخاه ، آساه يؤاسيه : قراه ، رباعي ثلاثيه أسي البناء إذا قوي، ومنه الأسية المحكم من البناء والدعامة ؛ ولا يترك خصمه الى اخيه فيجتمع على اخيه خصمان فيغلبانه ثم ينقلبان عليه فيهلكانه .

(٤) لهاميم جمع لهميم بالكسر : الجواد السابق من الانسان والخيل .

(٥) موجدته : غضبه .

يَوْمِهِ . الرَّائِحُ (*) إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ . الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي (١) . الْيَوْمَ تُبْلَى الأَخْبَارُ (٢) . وَاللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ (٣) . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ (٤) . يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالأَقْدَامَ (٥) . وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ (٦) ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ (٧) ، وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ (٨) ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ (٩) .

---

(١) العوالي : الرماح .

(٢) تبلى : تمتحن اخبار كل امرىء عما في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الايمان فيتبين الصادق من الكاذب .

(٣) أبسله : أسلمه للهلكة .

(٤) دراك — ككتاب — متتابع متوال يفتح في أبدانهم ابواباً يمر منها النسيم .

(٥) يندرها (كيهلكها) : أي يسقطها .

(٦) المناسر ، جمع منسر ، (كمجلس) : القطعة من الجيش تكون امام الجيش الأعظم .

(٧) الكتائب جمع كتيبة : من المائة الى الألف . والحلائب جمع حلبة على ما في القاموس : الجماعة من الخيل تجتمع من كل صوب للنصرة ، والجيش العظيم وقيل من أربعة آلاف الى اثني عشر الفاً .

(٨) دعق الطريق : كمنع — وطئه وطئاً شديداً . ودعق الغارة بثها .

(٩) أعنان الشيء : أطرافه ، والمسارب : المذاهب للرعي .

(*) في نسخة : من رائح .

قال السيد الشريف : أَقُولُ : الدَّعْقُ : الدقُّ ، أَيْ تَدُقُّ الْخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ . وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ مُتَقَابِلَاتُهَا . يُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ ، أَيْ تَتَقَابَلُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التحكيم

[وذلك بعد سماعه لأمر الحكمين]

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ . وَهٰذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ [١] لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ . وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ . وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللّٰهِ تَعَالَى . وَقَدْ قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُولِ » . فَرَدُّهُ إِلَى اللّٰهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللّٰهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ . وَلَعَلَّ اللّٰهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ الْهُدْنَةِ

---

(١) الدفتان : صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف .

أَمْرَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ، وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا[1] فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ ٱلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ ٱلْغَيِّ. إِنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللّٰهِ مَنْ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِٱلْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ[2] - مِنَ ٱلْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ!. اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ ٱلْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِٱلْجَوْرِ[3] لَا يَعْدِلُونَ بِهِ. جُفَاةٍ عَنِ ٱلْكِتَابِ، نُكُبٍ عَنِ ٱلطَّرِيقِ[4]. مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا[5]، وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا[6]. لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ![7] أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً[8]، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلَا أَحْرَارٌ عِنْدَ ٱلنِّدَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلنَّجَاءِ[9]!

---

(١) الأكظام جمع كظم (محركة): مخرج النفس. والأخذ بالأكظام: المضايقة والاشتداد بسلب المهلة.

(٢) كرثه - كنصره وضربه - اشتد عليه الغم بحكم الحق فان الحزن بالحق مسرة لديه، والمسرة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم، وقوله «من الباطل» متعلق بأحب [اليه].

(٣) موزعين من أوزعه: أي أغراه. وقوله لا يعدلون به: أي لا يستبدلونه بالعدل.

(٤) نكب - جمع ناكب: الحائد عن الطريق.

(٥) أي بعروة وثيقة يستمسك بها.

(٦) زافرة الرجل: أنصاره وأعوانه.

(٧) الحشاش - جمع حاش - من حش النار أي أوقدها، أي لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم.

(٨) برحا - بالفتح -: شر أو شدة.

(٩) [ويريد بيوم النداء يوم الدعوة إلى الحرب وبيوم المناجاة يوم العتاب على التقصير] النجاء: الافضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر.

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

لَمَّا عُوتِبَ عَلَى التَّسْوِيَةِ فِي العَطاء[1]

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ[2]، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً[3]! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ! أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ[4]، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ[5]، وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ!

---

(١) [والتسوية في العطاء من سنة الرسول ثم فضل الخلفاء بعده أهل السابقة في الاسلام .]

(٢) ما أطور به من طار يطور : حام حول الشيء أي ما أمرّ به ولا أقار به مبالغة في الابتعاد عن العمل بما يقولون . وما سمر سمير : أي مدى الدهر [وابنا سمير : الليل والنهار]

(٣) أي ما قصد نجم نجماً [أي ما دار الفلك واستمر دورانه] .

(٤) [والمال يرفع صاحبه في الدنيا إذا بذره فذكر بالكرم والجود بين العوام، ويضعه في الآخرة إذ كان به على رذيلة] .

(٥) خدين : صديق [وكنى بزلة النعل عن الخطأ والعثار] .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين]

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَإِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ، تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ ٱلْبُرْءِ وَٱلسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ ٱلزَّانِيَ ٱلْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ. وَقَتَلَ ٱلْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ ٱلسَّارِقَ وَجَلَدَ ٱلزَّانِيَ غَيْرَ ٱلْمُحْصَنِ. ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَيْءِ، وَنَكَحَا ٱلْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ ٱللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ [1]. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ ٱلنَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ ٱلشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ [2].

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْحُبُّ إِلَى غَيْرِ ٱلْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ ٱلْحَقِّ، وَخَيْرُ ٱلنَّاسِ فِيَّ حَالاً ٱلنَّمَطُ ٱلْأَوْسَطُ، فَٱلْزَمُوهُ وَٱلْزَمُوا ٱلسَّوَادَ ٱلْأَعْظَمَ

(١) كان من زعم الخوارج أن من أخطأ وأذنب فقد كفر، فأراد الامام أن يقيم الحجة على بطلان زعمهم بما رواه عن النبي ﷺ.

(٢) ضرب به تيهه: سلك به في بادية ضلاله.

فَإِنَّ يَدَ ٱللهِ عَلَى ٱلْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَٱلْفُرْقَةَ !

فَإِنَّ ٱلشَّاذَّ مِنَ ٱلنَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ ٱلشَّاذَّ مِنَ ٱلْغَنَمِ لِلذِّئْبِ[1]

أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا ٱلشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ[2]

وَإِنَّمَا حَكَمَ ٱلْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا ٱلْقُرْآنُ وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ ٱلْقُرْآنُ . وَإِحْيَاؤُهُ ٱلِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ ٱلِافْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا ٱلْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ ٱتَّبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا ٱتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[3] ، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ[4] وَلَا لَبَسْتُهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا ٱجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَإِكُمْ عَلَى ٱخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا ٱلْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي ٱلْحُكُومَةِ بِٱلْعَدْلِ وَٱلصَّمْدِ لِلْحَقِّ ـ سُوءَ

---

(١) [ووجه الشبه كون الانفراد محل لوقوع الهلاك فالمستبد برأيه للهلاك والمنفرد من الغنم له ايضاً] .

(٢) الشعار علامة القوم في الحرب والسفر ، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً قيل كان شعار الخوارج « لا حكم إلا لله » وقيل المراد بهذا الشعار هو ما امتازوا به من الخروج عن الجماعة ، فيريد الامام ان كل خارج عن رأي الجماعة مستبد برأيه عامل على التصرف بهواه فهو واجب القتل وإلا كان أمره فتنة وتفريقاً بين المؤمنين [وقوله : ولو كان تحت عمامتي هذه : مبالغة كنى بها عن أقصى القرب من عنايته] .

(٣) البجر ـ بالضم ـ الشر والأمر العظيم .

(٤) ختلتكم : خدعتكم . والتلبيس خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف

رَأْيِهِمَا [١] وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ عَنِ الْمَلاحِمِ بِالْبَصْرَةِ [٢]

[قاله بعد وقعة الجمل]

يَا أَحْنَفُ ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ [٣] ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ [٤] . يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ (يومي بذلك الى صاحب الزنج . ثم قال عليه السلام) : وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ [٥] ،

---

(١) [وقوله عليه السلام « اجتمع رأي ملأكم » ، دليل على انه لم يكن راضياً عن اختيار أبي موسى الأشعري وإنما أجبره عليه الملأ] والصمد : القصد . وسوء : مفعول لاستثناؤنا .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهي الوقعة العظيمة .

(٣) اللجب الصياح . واللجم جمع لجام . وقعقعتها ما يسمع من صوت اضطرابها بين اسنان الخيل [والخطاب للأحنف بن قيس واسمه صخر بن قيس من تميم وكان رئيساً ذا عقل وسابقة في قومه إذ اسلموا باسلامه وشهد صفين مع امير المؤمنين ولكنه لم يشهد الجمل مع احد من الفريقين] .

(٤) الحمحمة صوت البرذون عند الشعير ، وعر الفرس (أي صوته) عندما يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه .

(٥) جمع سكة : الطريق المستوي وهو إخبار عما يصيب تلك الطرق من تخريب ما حواليها من البنيان على يد صاحب الزنج ، وقد تقدم خبره في قيامه وسقوطه فراجعه .

وَٱلدُّورِ ٱلْمُزَخْرَفَةِ ٱلَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ ٱلنُّسُورِ ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ (١) ٱلْفِيَلَةِ ، مِنْ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ (٢) ، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ . أَنَا كَابُّ ٱلدُّنْيَا لِوَجْهِهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا .

(منه ، ويومي به الى وصف الاتراك) كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ ٱلْمَجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ (٣) ، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ وَٱلدِّيبَاجَ (٤) ، وَيَعْتَقِبُونَ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ (٥) . وَيَكُونُ هُنَاكَ ٱسْتِحْرَارُ قَتْلٍ (٦) حَتَّى يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَى ٱلْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ ٱلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ ٱلْمَأْسُورِ !

---

(١) اجنحة الدور: رواشنها ، وقيل ان الجناح والروشن يشتركان في اخراج الخشب من حائط الدار الى الطريق بحيث لا يصل الى جدار آخر يقابله وإلا فهو الساباط ، ويختلفان في ان الجناح توضع له اعمدة من الطريق بخلاف الروشن ؛ وخراطيمها ما يعمل من الاخشاب والبواري، بارزة عن السقوف لوقاية الغرف من الامطار وشعاع الشمس . أو الخراطيم هي الميازيب تطلى بالقار على طول نحو خمسة أذرع أو أزيد .

(٢) اولئك أصحاب الزنجي لأنهم عبيد [وقيل إن ذلك لأنه لا أهل لهم يبكونهم اذا ماتوا وقيل انه وصف بشدة البأس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا يأسفون على فقيد لهم] .

(٣) في القاموس اي التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة اي المخصوفة، وهو عجز عن التعبير ، والأحسن ان يقال أي التي الزق بها الطراق - ككتاب - وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به .

(٤) السرق - بالتحريك - : شقق الحرير الابيض ، أو هو الحرير عامة .

(٥) يعتقبون : يحتبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم .

(٦) استحرار القتل : اشتداده .

(فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ ٱلْغَيْبِ ! فَضَحِكَ ،عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيّاً) : يَا أَخَا كَلْبٍ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ . وَإِنَّمَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ « إِنَّ ٱللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ » ٱلآيَةَ ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي ٱلنَّارِ حَطَباً ، أَوْ فِي ٱلْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً . فَهَذَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ ٱلَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا ٱللهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ ٱللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي (١) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

في ذكر المكاييل والموازين

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّكُمْ ـ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ ٱلدُّنْيَا ـ أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ (٢) ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ

(١) تضطم : هو افتعال من الضم ، أي وتنضم عليه جوانحي . والجوانح الاضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر . وانضمامها عليه اشتمالها على قلب يعيها .

(٢) أثوياء جمع ثوي كغني : وهو الضيف .

مَحْفُوظٌ . فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيعٌ ⁽¹⁾ ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً ، وَلَا الشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالاً ، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً . فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ ⁽²⁾ ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ ⁽³⁾ . اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً ، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً ، أَوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْراً ، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً . أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ! أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ . وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ ⁽⁴⁾ لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ ، فَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! ظَهَرَ الْفَسَادُ ، فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ . أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ

---

(١) الدائب : المداوم في العمل . والكادح : الساعي لنفسه بجهد ومشقة ، والمراد من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا .

(٢) الضمير [في عدته] للشيطان.

(٣) أمكنت الفريسة : أي سهلت وتيسرت .

(٤) الحثالة – بالضم – الرديء من كل شيء . والمراد قزم الناس وصغراء النفوس [والاستفهام هنا للتقرير أي ان الناس خلقوا من حثالة] .

عِنْدَهُ ؟ هَيْهَاتَ ! لَا يُخْدَعُ ٱللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ ٱللهُ ٱلْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ، ٱلتَّارِكِينَ لَهُ، وَٱلنَّاهِينَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، ٱلْعَامِلِينَ بِهِ ! (١)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لأبي ذر رحمه الله لما خرج إلى الربذة (٢)

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ ٱلْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ. فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ. وَسَتَعْلَمُ مَنِ ٱلرَّابِحُ غَداً، وَٱلْأَكْثَرُ حُسَّداً. وَلَوْ أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ ٱتَّقَى ٱللهَ لَجَعَلَ ٱللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً (٣)، وَلَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا ٱلْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا ٱلْبَاطِلُ. فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ

---

(١) [وهذه صفات المنافق والنفاق يستوجب اللعن].

(٢) محركة: موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه والذي أخرجه اليه الخليفة الثالث رضي الله عنه [وأبو ذر هو جندب ابن جنادة أسلم بمكة ولم يشهد بدرا ولا الخندق وكان يتولى عليا وأهل بيته، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر ! » شكاه معاوية الى عثمان فقدم عليه فقال له عثمان: انزل حيث شئت، فنزل الربذة ومات بها].

(٣) [وهو مأخوذ من قوله تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً].

لَأَحَبُّوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمِنُوكَ [١] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيه يبين سبب طلبه الحكم ويصف الامام الحق]

أَيَّتُهَا ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُخْتَلِفَةُ وَٱلْقُلُوبُ ٱلْمُتَشَتِّتَةُ . ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى ٱلْحَقِّ [٢] وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ ٱلْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ ٱلْأَسَدِ . هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَارَ ٱلْعَدْلِ [٣] ، أَوْ أُقِيمَ ٱعْوِجَاجَ ٱلْحَقِّ . ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ ٱلْحُطَامِ ، وَلٰكِنْ لِنَرُدَّ ٱلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ ٱلْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ ٱلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ ٱلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ ٱللهِ — صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ — بِالصَّلَاةِ .

---

(١) لو قرضت منها: لو قطعت منها جزءاً واختصصت به نفسك، أي لو رضيت ان تنال منها .

(٢) أظأركم : أعطفكم [ووعوعة الأسد : صوته ، وشبه نفورهم منه بنفور المعزى من صوت الأسد لشدة نفورهم من الحق] .

(٣) السرار كسحاب في الأصل : آخر ليلة من الشهر ، والمراد الظلمة أي ان أطلع بكم شارقاً يكشف عما عرض على العدل من الظلمة ، كما يدل على هذا قوله : أو أقيم اعوجاج الحق ، فان الحق لا اعوجاج فيه ، ولكن قوماً خلطوه بالباطل ، فهذا ما اصابه من اعوجاج .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالأَحْكَامِ، وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ. فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ (١)، وَلا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ (٢) فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ (٣)، وَلا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[يعظ فيها ويزهد من الدنيا]

حمد الله

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى (٤). الْبَاطِنُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ. الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ. وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ (٥) شَهَادَةً

(١) النهمة – بالفتح – افراط الشهوة والمبالغة في الحرص.

(٢) الحائف – من الحيف – اي الجور والظلم. والدُّوَل: جمع دُولة بالضم هي المال لأنه يتداول أي ينتقل من يد ليد. والمراد من يحيف في قسم الاموال فيفضل قوماً في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل.

(٣) المقاطع: الحدود التي عينها الله لها [والمعطل للسنة يهلك الامة لتضييعه قوانين الشريعة وذلك يستلزم فساد النظام].

(٤) الابلاء: الاحسان: الانعام [فهو في الخير] والابتلاء: الامتحان [فهو بالشر].

(٥) بعيثه: مصطفاه ومبعوثه.

يُوافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإعْلاَنَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

عظة الناس

منها: فَإنَّهُ وَاللهِ الجِدُّ لا اللَّعِبُ، وَالحَقُّ لا الكَذِبُ. وَمَا هُوَ إلَّا المَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ [1] وَأَعْجَلَ حَادِيهِ. فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ [2]، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ المَالَ، وَحَذِرَ الإقْلاَلَ، وَأَمِنَ العَوَاقِبَ - طُولَ أَمَلٍ [3] وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ المَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلاً عَلَى المَنَاكِبِ وَإمْسَاكاً بِالأَنَامِلِ. أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً! كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً. وَمَا جَمَعُوا بُوراً. وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلاَ مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ. فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهَلُهُ [4]

---

(١) اي ان الداعي الى الموت قد أسمع بصوته كل حي، فلا حي إلا وهو يعلم انه يموت. وأعجل حاديه اي ان الحادي ليسير بالمنايا الى منازل الاجسام لأخلائها من سكنة الارواح، قد أعجل المدبرين عن تدبيرهم وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم.

(٢) لا تغتر بكثرة الاحياء فكلما رأيت حياً زعمت انك باق مثله.

(٣) طول مفعول لأجله، أي كان منه ذلك لطول الامل الخ.

(٤) برز الرجل على اقرانه اي فاقهم. والمهل: التقدم في الخير، أي فاق تقدمه الى الخير على تقدم غيره.

وَفَازَ عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا ، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا [١] . فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ [٢] . وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس]

عظمة الله تعالى

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا [٣] ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ . وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ [٤] ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ .

---

(١) اهتبل الصيد : طلبه [وأحكم راميه] ، والضمير في هبلها للتقوى لا للدنيا أي اغتنموا خير التقوى .

(٢) الوفز — ويحرك — : العجلة ، وجمعه أوفاز ، اي كونوا منها على استعجال ، والظهور : ظهور المطايا ، أي أحضروها للزيال أي فراق الدنيا .

(٣) مقاليدها — جمع مقلاد — وهو المفتاح [والمراد بمفاتيح السموات والارض الرزق والرحمة — عن ابن عباس ومقاتل] .

(٤) أي ان الاشجار أشعلت النيران المضيئة من قضبانها اي أغصانها . [وأراد بسجود الاشجار ذلها تحت قدرته سبحانه وحاجتها الى جوده] وقوله بكلماته أي باوامره التكوينية ، والضمائر لله سبحانه [والثمار اليانعة : المدركة] .

القرآن

منها : وَكِتابُ ٱللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَى لِسَانُهُ ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ [1] .

رسول الله

منها : أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَتَنَازُعٍ مِنَ ٱلْأَلْسُنِ ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ ٱلْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي ٱللهِ ٱلْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ، وَٱلْعَادِلِينَ بِهِ .

الدنيا

منها : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ ٱلْأَعْمَى [2] ، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَالْبَصِيرُ يُنْفِذُهَا بَصَرُهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا . فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَٱلْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ [3] . وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَٱلْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ .

عظة الناس

منها : وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ

(١) [وهذا الفصل في معرض التوبيخ على ترك القرآن واهمال احكامه] .

(٢) يشير الى ان من يقصر نظره على الدنيا فكأنه لم يبصر شيئاً فهو بمنزلة الاعمى .

(٣) [الشاخص الاولى بمعنى الذاهل والشاخص الثانيـة بمعنى الرافع بصره الى الشيء] .

مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً [١] . وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ ٱلْعَمْيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ ٱلصَّمَّاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ ، وَفِيهَا ٱلْغِنَى كُلُّهُ وَٱلسَّلَامَةُ . كِتَابُ ٱللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ . لَا يَخْتَلِفُ فِي ٱللهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللهِ ، قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَى ٱلْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ [٢] ، وَنَبَتَ ٱلْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ . وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ ٱلْآمَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ ٱلْأَمْوَالِ . لَقَدِ

---

(١) لا يجد في الموت راحة حيث لم يهيء من العمل الصالح الباقي ما يكسبه السعادة بعد الموت . قال وإنما ذلك اي شعور الانسان بخيفة ما بعد الموت بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور وتبعثه الى خير العمل ، ثم بعد بيانه لما يجده الانسان في نفسه من خيفة ما وراء الموت ولما يرشد اليه ذلك الوجدان أخذ يبين الوسيله الموصلة الى منجاة مما يخشاه القلب وتتوجس منه النفس ، وانها التمسك بكتاب الله الذي بين اوصافه ، وبهذا التفسير التأم الكلام واندفعت حيرة الشارحين في هذا المقام . وقوله كتاب الله جملة مستأنفة اي هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون اليه مما هدتكم الفطرة الى طلبه .

(٢) الغل : الحقد . والاصطلاح عليه : الاتفاق على تمكينه في النفوس . وقوله نبت المرعى على دمنكم تأكيد وتوضيح للجملة قبلها . والدمن بكسر ففتح : جمع دمنة بالكسر وهي الحقد القديم . ونبت المرعى عليه استتاره بظواهر النفاق وزينة الخداع ، وأصل الدمن السرقين وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها ، وسميت بها الاحقاد لأنها أشبه شيء بها ، قد تنبت عليها الخضر وهي على ما فيها من قذر . وهذا كلام ينعي به حالهم مع وجود كتاب الله ومرشد الالهام .

اُسْتَهَانَ بِكُمُ الْخَبِيثُ [1]، وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج الى غزو الروم بنفسه

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللهُ لِأَهْلِ هٰذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ [2]، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ. وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ: حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هٰذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ، فَتُنْكَبَ، لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ [3]. لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ. فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً، وَاحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ [4]، فَإِنْ أَظْهَرَ اللهُ فَذَاكَ

(١) استهام أصله من هام على وجهه اذا خرج لا يدري اين يذهب أي أخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء الشريعة الى ظلمات الضلال والحيرة.

(٢) الحوزة: ما يحوزه المالك ويتولى حفظه. واعزاز حوزة الدين: حمايتها من تغلب اعدائه.

(٣) كانفة: عاصمة يلجأون اليها، من كنفه إذا صانه وستره.

(٤) احفز من حفزته ـ كضربته ـ إذا دفعته وسقته سوقاً شديداً. وأهل البلاء: اهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجرأة في الاقدام. والبلاء: هو الاجادة في العمل واحسانه.

مَا تُحِبُّ ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَى كُنْتَ رِدْأً لِلنَّاسِ[1] وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان[2] [في زمن الثورة على عثمان] فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان : أنا اكفيكه ، فقـــال علي عليه السلام للمغيرة :

يَابْنَ ٱللَّعِينِ ٱلْأَبْتَرِ ، وَٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي لَاأَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ ، أَنْتَ تَكْفِينِي ؟ وَٱللهِ مَا أَعَزَّ ٱللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ . اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ ٱللهُ نَوَاكَ[3] ، ثُمَّ ٱبْلُغْ جُهْدَكَ ، فَلَا أَبْقَى ٱللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ ![4] .

---

(١) الردء ـ بالكسر ـ الملجأ . والمثابة : المرجع . [وكان ذلك حين خرج قيصر الروم الى المسلمين بعد عزل خالد وصعوبة الأمر على أبي عبيدة عامر بن الجراح وشرحبيل بن حسنة في فتوح الشام] .

(٢) قالوا كان نزاع بين امير المؤمنين وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنس بن شريق لعثمان أنا اكفيكه ، فقال علي يابن اللعين الخ . وإنما قال ذلك لأن أباه كان من رؤوس المنـــافقين ، ووصفه بالأبتر ـ وهو من لا عقب له ـ لأن ولده هذا كلا ولد .

(٣) النوى ههنا بمعنى الدار [او القصْد] .

(٤) [ومعناه لا رعاك الله ولا رحمك إن راعيتني ورحمتني !]

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

[في أمر البيعة]

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً [1] وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً. إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلّٰهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللّٰهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ [2]، حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً.

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في معنى طلحة والزبير [وفي البيعة له]

طلحة والزبير

وَاللّٰهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفاً [3]. وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ. فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ [4]. وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ

---

(١) [الفلتة الأمر يقع من غير تدبّر ولا رويّة].

(٢) الخزامة ـ بالكسر ـ : حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام ويسهل قياده.

(٣) النصف ـ محركة ـ : اسم من الانصاف.

(٤) الطلبة ـ بالكسر ـ ما يطالب به من الثأر.

عَلَى أَنْفُسِهِمْ . إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ . وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَا وَالْحُمَةُ (١) ، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ (٢) وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ . وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ (٣) ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغَبِهِ (٤) وَأَيْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً (٥) أَنَا مَاتِحُهُ ، لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ (٦) .

أمر البيعة

منه : فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا (٧) ،

---

(١) المراد بالحما هنا مطلق القريب والنسيب، وهو كناية عن الزبير، فانه من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته. قالوا: وكان النبي أخبر علياً انه ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته . والحمة بضم ففتح كناية عنها. وأصلها الحية أو ابرة اللاسعة من الهوام . والله اعلم .

(٢) أغدفت المرأة قناعها: ارسلته على وجهها. وأغدف الليل : أرخى سدوله. يعني ان شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق .

(٣) زاح يزيح زيحاً وزيحاناً : بعد وذهب ، كانزاح . والنصاب الأصل . أي قد انقلع الباطل عن مغرسه .

(٤) الشغب - بالفتح - تهييج الشر.

(٥) أفرط الحوض : ملأه حتى فاض . والمراد حوض المنية . وماتحه : اي نازع مائه لأسقيهم .

(٦) عب : شرب بلا تنفس. والحسي - بفتح الحاء وتكسر - سهل من الارض يستنقع فيه الماء ، او يكون غليظاً من الارض فوقه رمل يجمع ماء المطر فتحفر فيه حفرة لتنزح منها ماء و كلما نزحت دلوا جمعت اخرى ، فتلك الحفرة حسي ، يريد أنه يسقيهم كأساً لا يتجرعون سواها .

(٧) العوذ (بالضم) جمع عائذة: وهي الحديثات النتاج من الظباء والابل، أو كل انثى. والمطافيل : جمع مطفل - بضم الميم و كسر الفاء - ذات الطفل من الانس والوحش

تَقُولونَ : اَلْبَيْعَةَ اَلْبَيْعَةَ . قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا، اَللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ [1] . فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا . وَلَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ [2] ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ [3] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يومي فيها الى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى [4] إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ .

منها : حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا [5] ، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا . أَلَا وَفِي غَدٍ

---

(١) التأليب : الافساد .

(٢) استثبتهما : من ثاب (بالثاء): إذا رجع ، أي استرجعتهما . [وطلبت اليهما الرجوع للبيعة]

(٣) أمام الوقاع - ككتاب - قبل المواقعة بالحرب . وغمط النعمة : جحدها .

(٤) يعطف الخ: خبر عن قائم ينادي بالقرآن ويطالب الناس باتباعه ورد كل رأي اليه . [وهو عند بعض الامامية الامام المنتظر]

(٥) النواجذ: أقصى الأضراس او الانياب. والاخلاف : جمع خلف بالكسر، وهو الضرع . وبدوّ النواجذ كناية عن شدة الاحتدام ، فإنما تبدو من الاسد إذا اشتد غضبه. وامتلاء الاخلاف: غزارة ما فيها من الشر. وحلاوة الرضاع: استطابة اهل النجدة واستعذابهم لما ينالهم منها . ومرارة العاقبة ؛ بما يصير اليه الظالمون وبئس المصير .

ـ وَسيأْتي غدٌ بما لا تعرفون ـ يَأْخُذُ ٱلْوالي مِنْ غيْرِها عُمّالَها عَلَى مساوئ أعمالِها [1]. وتُخْرِجُ لَهُ ٱلْأَرْضُ أفاليذَ [2] كَبِدِها، وتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقالِيدَها. فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ ٱلسِّيرَةِ. وَيُحْيِي مَيِّتَ ٱلْكِتابِ وَٱلسُّنَّةِ.

منها: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِراياتِهِ في ضَواحِي كُوفانَ، فَعَطَفَ عَلَيْها عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ [3]، وَفَرَشَ ٱلْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ. بَعِيدُ ٱلْجَوْلَةِ، عَظِيمُ ٱلصَّوْلَةِ. وَٱللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرافِ ٱلْأَرْضِ [4] حَتَّى لا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي ٱلْعَيْنِ، وَلا تَزالُونَ كَذلِكَ، حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى ٱلْعَرَبِ عَوازِبُ أَحْلامِها [5].

فَالْزَمُوا ٱلسُّنَنَ ٱلْقائِمَةَ، وَٱلْآثارَ ٱلْبَيِّنَةَ وَٱلْعَهْدَ ٱلْقَرِيبَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ باقِي ٱلنُّبُوَّةِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلشَّيْطانَ إِنَّما يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ

---

(١) إذا انتهت الحرب، حاسب الوالي القائم كل عامل من عمال السوء، على مساوىء أعمالهم، وانما كان الوالي من غيرها لانه بريء من جرمها.

(٢) أفاليذ: جمع أفلاذ، جمع فلذة: وهي القطعة من الذهب والفضة.

(٣) انتقال الى الكلام في قائم الفتنة. [وقالوا ان ذلك الكلام في عبد الملك بن مروان] وفحص: بحث. وكوفان: الكوفة. والضروس: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها.

(٤) فغرت فاغرته: انفتح فمه وأكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه وهو كناية عن شدة اقدامه على القتل لوصفه ببعض اوصاف السباع]. ليشردنكم، أي ليفرقنكم:

(٥) عوازب أحلامها: غائبات عقولها.

لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[1] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وقت الشّورى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةِ رَحِمٍ ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ . فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُوا مَنْطِقِي . عَسَى أَنْ تَرَوْا هٰذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ تُنْتَضَى[2] فِيهِ ٱلسُّيُوفُ ، وَتُخَانُ فِيهِ ٱلْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ ٱلضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ ٱلْجَهَالَةِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في النهي عن عيب الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ ٱلْعِصْمَةِ وَٱلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي ٱلسَّلَامَةِ[3] أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَعْصِيَةِ[4] وَيَكُونَ ٱلشُّكْرُ هُوَ

---

(١) يسنى : يسهل [والعقب : مؤخر القدم] .

(٢) قوله عسى أن تروا الخ : ابتداء كلام ينذرهم به من عاقبة الامر . وتنتضى : تسل .

(٣) [أهل العصمة هم الذين أعانهم الله سبحانه على قهر نفوسهم الأمّارة بالسوء حتى صارت أسيرة لعقولهم] . الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام .

(٤) [وحصول الرحمة : يكون باعتبار حال العصاة . فيبتعدوا هم عن العصيان . وليس معناه ان يترك العصاة بلا عقاب] .

الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ. أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ (١) مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ. وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ.

يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ (٢).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل]

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ. أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي،

---

(١) مما هو أعظم الخ. بيان للذنوب التي سترها الله عليه.

(٢) [المراد ان يكون الشكر لله دأبه على السلامة من التورط في مواطن الهلكة التي يسلكها صاحب الذنب].

وَتخْطِىءُ ٱلسِّهَامُ ، وَيَحِيلُ ٱلْكَلَامُ [١] ، وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ ، وَٱللهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ [٢] . أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ .

فَسُئِلَ ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هٰذَا ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ : ٱلْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ ، وَٱلْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ [٣] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في وضع المعروف في أهله وغير أهله]

المعروف في غير اهله

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ اهْلِهِ ، مِنَ ٱلْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ ٱللِّئَامِ ، وَثَنَاءُ ٱلْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ ٱلْجُهَّالِ

---

(١) يحيل ـ كيميل ـ يتغير عن وجه الحق [أو يبطله] . وفي نسخة يحيك بالكاف ـ من حاك القول في القلب ـ أخذ، وحاك السيف : أثر [وفي الكلام تنبيه عن جواز الخطأ على المتسرعين الى الغيبة ، ووجه مطابقة المثل برمي الرامي وخطأ السهام، أن العائب تطيش سهامه والمصيب لا يصيبه الاذى] .

(٢) [وباطل ذلك، يبور والله سميع وشهيد: كلام يجري مجرى التهديد وتحقير ثمرة القول الكاذب] .

(٣) [ما أبدع هذا القول وهـذا المقياس ! ولكل انسان ان يقيس بأصابعه مسافة ما بين عينه وأذنه فانها لن تعدو أربع اصابع من يده. وهذا فرق ما بين ما يسمع بالأذن مدخولاً بالأكاذيب ، وما يرى بالعين متحققاً بالرؤية] .

ـ مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ ـ مَا أَجْوَدَ يَدَهُ ـ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ ٱللهِ بَخِيلٌ ! [١].

مواضع المعروف

فَمَنْ آتَاهُ ٱللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ ٱلْقَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ ٱلضِّيَافَةَ ، وَلْيَفُكَّ بِهِ ٱلْأَسِيرَ وَٱلْعَانِي ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ ٱلْفَقِيرَ وَٱلْغَارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى ٱلْحُقُوقِ وَٱلنَّوَائِبِ ٱبْتِغَاءَ ٱلثَّوَابِ [٢] ، فَإِنَّ فَوْزاً [٣] بِهٰذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ ٱلدُّنْيَا ، وَدَرْكُ فَضَائِلِ ٱلْآخِرَةِ ـ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ـ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

[وفيه تنبيه العباد على وجوب استغاثة رحمة الله اذا حبس عنهم المطر]

أَلَا وَإِنَّ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي تُقِلُّكُمْ وَٱلسَّمَاءَ ٱلَّتِي تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً

---

(١) [« ما أجود يده » ... فقول لمقولة مقالة الجهال] .

(٢) [بيّن الامام عليه السلام في هذا الكلام مواضع المعروف وذكر منها خمسة وهي: صلة الرحم، وحسن الضيافة، وفك الاسير، وإعطاء الفقير والمدين. فهذه أربع، والخامس، الحقوق الواجبة على اهلها؛ كالزكاة والصدقات. وأراد بصبر النفس على النوائب معاونة المظلومين] .

(٣) [وقد نكّر لفظ الفوز لتعظيمه فهو أفصح وأبلغ] .

لَكُمْ ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوانِهِ مِنْكُمْ ، وَلٰكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ ، فَأَطَاعَتَا ، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ ، فَقَامَتَا .

إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ . وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ ، فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ » فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ [1] .

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ [2] ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ . اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ [3] ،

---

(١) [من هذا يفهم ان المستغفر مستحق للرحمة وهي نازلة عليه لا محـــالة . واستقال : من الاقالة وعدم الالزام بعاقبتها] .

(٢) [وذكر الزوج بين الأستار والأكنان معناه الخروج بما لا يخرج منه إلا لضرورة شديدة وذكر عجيج البهائم وبكار الولدان . وهذا كله ذكر للوسائل البشرية في طلب الرحمة فهي إما بالهجرة الى الله وإما بالدعاء والبكاء] .

(٣) جمع سنة (محركة) : بمعنى الجدب والقحط .

وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنَا ٱلْمَضَايِقُ ٱلْوَعْرَةُ ، وَأَجَاءَتْنَا ٱلْمَقَاحِطُ ٱلْمُجْدِبَةُ [١] ، وَأَعْيَتْنَا ٱلْمَطَالِبُ ٱلْمُتَعَسِّرَةُ ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا ٱلْفِتَنُ ٱلْمُسْتَصْعَبَةُ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ ، وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ [٢] . وَلَا تُخَاطِبْنَا بِذُنُوبِنَا [٣] ، وَلَا تُقَايِسْنَا بِأَعْمَالِنَا . اللَّهُمَّ ٱنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ ، وَبَرَكَتَكَ ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ . وَٱسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ . نَافِعَةَ ٱلْحَيَا [٤] ، كَثِيرَةَ ٱلْمُجْتَنَى ، تُرْوِي بِهَا ٱلْقِيعَانَ [٥] ، وَتُسِيلُ ٱلْبُطْنَانَ [٦] . وَتَسْتَوْرِقُ ٱلْأَشْجَارَ ، وَتُرْخِصُ ٱلْأَسْعَارَ [٧] إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ .

---

(١) أجاءته اليه : ألجأته .

(٢) واجمين : كاسفين حزنين [والواجم : الذي اشتد حزنـــه حتى أمسكه عن الكلام] .

(٣) لا تخاطبنا، أي لا تدعنا باسم المذنبين، ولا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا .

(٤) الحيا : الخصب والمطر .

(٥) القيعان: جمع قاع؛ الارض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام.

(٦) البطنان: جمع بطن ؛ بمعنى ما انخفض من الارض في ضيق .

(٧) [ورخص الاسعار إنما هو ذكر للنتيجة من كثرة الرزق وبه تكون الطمأنينة بين الناس] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في مبعث الرسل وفي فضل الائمة من أهل البيت
وبوار من لم يسر على الحق والهدى]
[وقيل انها في منافرة بينه وبين جماعة من الصحابة]

مبعث الرسل

بَعَثَ ٱللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ ٱلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ ٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ. فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ ٱلصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ. أَلَا إِنَّ ٱللهَ قَدْ كَشَفَ ٱلْخَلْقَ كَشْفَةً (١) - لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ - وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً - فَيَكُونَ ٱلثَّوَابُ جَزَاءً، وَٱلْعِقَابُ بَوَاءً (٢) -.

فضل أهل البيت

أَيْنَ ٱلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا ٱللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى ٱلْهُدَى وَيُسْتَجْلَى ٱلْعَمَى. إِنَّ ٱلْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا ٱلْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ. لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

---

(١) كشف الخلق: علم حالهم في جميع أطوارهم [فلم يخف عليه سر من اسرارهم].
(٢) بواء: مصدر باء فلان بفلان، أي قتل به، والعقاب: قصاص.

منها : آثَرُوا عَاجِلاً وَأَخَّرُوا آجِلاً ، وَتَرَكُوا صَافِياً وَشَرِبُوا آجِناً [1] كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ ٱلْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ ، وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ [2] ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ [3] . ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ . أَوْ كَوَقْعِ ٱلنَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ [4] .

أَيْنَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ ٱلْهُدَى ، وَٱلْأَبْصَارُ ٱللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ ٱلتَّقْوَى . أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ ٱللَّهِ . ازْدَحَمُوا عَلَى ٱلْحُطَامِ وَتَشَاحُّوا عَلَى ٱلْحَرَامِ [5] . وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ ، فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى ٱلنَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ [6] . دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا .

---

(١) الآجن : الماء المتغير اللون والطعم [واستعاره الامام للذات الدنيا ، تشبيهها بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير لونه وطعمه] .

(٢) بسيء به - كفرح - [ألفه] واستأنس به ، [ويحتمل أن يريد بفاسقهم واحداً بعينه أو مطلق الفاسق] .

(٣) خلائقه : ملكاته الراسخة في نفسه .

(٤) لا يحفل - كيضرب - لا يبالي [وشبهه بالبحر الطامي والنار المحرقة لأن تيار البحر ولهب النار لا يبالي بمن يغرقه او يحرقه] .

(٥) [استعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا لسرعة فنائها وفسادها] .

(٦) [أشار بعلم الجنة الى قوانين الشريعة القائدة الى الجنة وبعلم النار الى الوساوس المزينة للدنيا] .

وَدَعَاهُمُ ٱلشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في فناء الدنيا وزوالها وذم البدعة]

فناء الدنيا

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا [1] ، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ . لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ ، يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ ، إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ . وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ ، إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ . وَلَا يُحْيَى لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ . وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ [2] . وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ .

ذم البدعة

مِنْهَا : وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا ٱلْبِدَعَ وَٱلْزَمُوا ٱلْمَهْيَعَ [3] . إِنَّ عَوَازِمَ ٱلْأُمُورِ أَفْضَلُهَا [4] . وَإِنَّ

---

(١) [الغرض : الهدف .] وتنتضل فيه : تترامى اليه .

(٢) يخلق – كيسمع وينصر ويكرم – : يبلى .

(٣) المهيع – كالمقعد – : الطريق الواضح .

(٤) عوازم الامور : ما تقادم منها . وكانت عليه ناشئة الدين ، من قولهم ناقة عوزم – كجعفر – أي : عجوز فيها بقية شباب .

مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

(وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

[واغلب الرأي انه كان قبل وقعة القادسية] [1]

إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ [2] . وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ . وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ . وَاللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ . وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ [3] يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ . فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً ؛ وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً ، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ ، وَعَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ . فَكُنْ قُطْباً ، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ [4] وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ [5] مِنْ هٰذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ

---

(١) [أي ان عمر يدع مكانه في المدينة وهو خليفة ويخرج مع جيشه لمحاربة الفرس فمنعه الامام من ذلك] .

(٢) [والأمر : أي الاسلام] .

(٣) القائم به يريد الخليفة. والنظام : السلك ينظم فيه الخرز [ووجه الشبه ان الخيط يجمع الحبّ كما يجمع الخليفة الأمة] .

(٤) [كنى بذلك عن جعل العرب دريئة دونه وحيطة له ولذلك قال: وأصلهم دونك نار الحرب ...]

(٥) شخصت : خرجت .

ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ ٱلْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ ٱلْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا : هٰذَا أَصْلُ ٱلْعَرَبِ ، فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ . فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ ٱلْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ ، هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَٱلْمَعُونَةِ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها يبين فضل البعثة وفضل القرآن ، ويخبر عن اهل الزمان المقبل ، ويعظ الناس .]

الغاية من البعثة

فَبَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ (١) إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ ٱلشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ،

(١) [الأوثان : حجارة منحوتة على شكل الانسان . والاصنام حجارة منحوتة مثلها ولكنها مغطاة بصفائح الذهب والفضة . والنصب : حجارة غير مشكلة . وأراد بالأوثان هنا كل هذه الانواع] .

بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَـهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ ٱلْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ . فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ . وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِٱلْمَثُلَاتِ[١] . وَٱحْتَصَدَ مَنِ ٱحْتَصَدَ بِٱلنَّقِمَاتِ .

الزمان المقبل

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ ٱلْحَقِّ ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ[٢] ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْكَذِبِ عَلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ . وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقُ مِنْهُ[٣] إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلَا فِي ٱلْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ . فَقَدْ نَبَذَ ٱلْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ . فَٱلْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ[٤] ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَٱلْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ

---

(١) المثلات ـ بفتح فضم ـ : العقوبات .

(٢) [وهذا على سبيل المبالغة ، إذ لا يمكن ان يخفى الحق كله . ولا الباطل كله] .

(٣) أنفق منه : أروج منه .

(٤) [ونبذ الكتاب حملته : أي ان قراءه لا يتدبرون ما فيه] . [ومنفيان طريدان أي] يطردهما ، وينفيهما اهل الباطل وأعداء الكتاب .

فِي ٱلنَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ، لِأَنَّ ٱلضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ ٱلْهُدَى ، وَإِنِ ٱجْتَمَعَا . فَٱجْتَمَعَ ٱلْقَوْمُ عَلَى ٱلْفُرْقَةِ ، وَٱفْتَرَقُوا عَنِ ٱلْجَمَاعَةِ ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ ٱلْكِتَابِ وَلَيْسَ ٱلْكِتَابُ إِمَامَهُمْ . فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا ٱسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ (١) . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ (٢) ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللهِ فِرْيَةً (٣) ، وَجَعَلُوا فِي ٱلْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ ٱلسَّيِّئَةِ .

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ ٱلْمَوْعُودُ (٤) ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ ٱلْمَعْذِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ ٱلتَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ ٱلْقَارِعَةُ وَٱلنِّقْمَةُ (٥) .

عظة الناس

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ وُفِّقَ (٦) وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ

---

(١) [اجتمع القوم على الفرقة : اي اتفقوا على مفارقة الجماعة وما هي عليه من اتباع الحق. أما في زمانه فالخوارج والبغاة. وأما بعده ، فكالآخذين بالآراء المتفرقة والمحدثة في الدين] . الزبر - بالفتح - الكتب مصدر كتب [أي لا يعرفون إلا خطه دون اتباع مقاصده] .

(٢) ما مثلوا: اي شنعوا، وما مصدرية [ويقال ان ذلك يقصد به جبابرة بني امية]

(٣) فرية - بالكسر - : أي كذباً .

(٤) الموعود: الموت الذي لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة .

(٥) القارعة : الداهية المهلكة .

(٦) [استنصح الله اي اتخذه ناصحاً له باتباع اوامره واجتناب نواهيه] .

دَليلاً، هُدىً لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ. فَإِنَّ جارَ ٱللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خائِفٌ. وَإِنَّهُ لا يَنْبَغي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذينَ يَعْلَمُونَ ما عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَواضَعُوا لَهُ، وَسَلامَةَ ٱلَّذينَ يَعْلَمُونَ ما قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلا تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفارَ ٱلصَّحيحِ مِنَ ٱلْأَجْرَبِ، وَٱلْبارِي مِنْ ذِي ٱلسُّقْمِ[1] وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا ٱلرُّشْدَ حَتّى تَعْرِفُوا ٱلَّذي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِميثاقِ ٱلْكِتابِ حَتّى تَعْرِفُوا ٱلَّذي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ، حَتّى تَعْرِفُوا ٱلَّذي نَبَذَهُ[2]. فَٱلْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ[3]. هُمُ ٱلَّذينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظاهِرُهُمْ عَنْ باطِنِهِمْ. لا يُخالِفُونَ ٱلدّينَ وَلا يَخْتَلِفُونَ فيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شاهِدٌ صادِقٌ، وَصامِتٌ ناطِقٌ[4].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذكر أهل البصرة

كُلٌّ واحِدٍ مِنْهُما يَرْجُو ٱلْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صاحِبِهِ،

---

(١) الباري: المعافى من المرض.

(٢) [وذلك كله حق لأن المعرفة التامة للرشد، بل لكل شيء تستدعي معرفة الشكوك والشبهات التي هي سبب التشكيك].

(٣) [وأراد بعيش العلم، وموت الجهل. وجود الأول، وانعدام الثاني].

(٤) [وقوله شاهد صادق، وصامت ناطق، لكونه حروفاً واصواتاً، وإنما ينطق بألسنتهم. فهو بمنزلة الناطق].

لَا يَمُتَّانِ إِلَى ٱللهِ بِحَبْلٍ ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ [1] كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ [2] . وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ [3] . وَٱللهِ لَئِنْ أَصَابُوا ٱلَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا ، نَفْسَ هٰذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَى هٰذَا . قَدْ قَامَتِ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ ، فَأَيْنَ ٱلْمُحْتَسِبُونَ [4] . فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ ٱلسُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ ٱلْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَٱللهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ ٱللَّدْمِ [5] يَسْمَعُ ٱلنَّاعِيَ وَيَحْضُرُ ٱلْبَاكِيَ ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قبل موته

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ . وَٱلْأَجَلُ مَسَاقُ ٱلنَّفْسِ [6] . وَٱلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدْتُ ٱلْأَيَّامَ [7]

---

(١) الضمير لطلحة والزبير. وقوله لا يمتان : أي لا يمدان، والسبب الحبل ايضاً.

(٢) الضب - بالفتح ويكسر - الحقد . [والعرب تضرب بالضب المثل في العقوق] .

(٣) [استعار لفظ القناع لظاهره الذي يستر ما خلفه وهو مثل لمن ينافق صاحبه].

(٤) [المحتسبون] : الذين يجاهدون حسبة لله [أي طلباً لثوابه بعد وضوح الطريق ، وروي فأين المحسنون] .

(٥) اللدم : الضرب على الصدر والوجه [باليد] عند النياحة .

(٦) مساق النفس : تسوقها اليه أطوار الحياة حتى توافيه .

(٧) [اطردت الايام : بالبناء للفاعل: أي جعلتها طريدة لي وصيداً اصطاده. ومكنون هذا الامر اي الذي وقع له من القتل ، والمكنون وقته المعين] .

أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ، فَأَبَى ٱللّٰهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ. عِلْمٌ مَخْزُونٌ. أَمَّا وَصِيَّتِي: فَاللّٰهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَمُحَمَّداً صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هٰذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ. وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا (١). حَمَلَ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ (٢). وَخَفَّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ. رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ (٣). أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ. وَأَنَا ٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ. وَغَداً مُفَارِقُكُمْ. غَفَرَ ٱللّٰهُ لِي وَلَكُمْ!

إِنْ تَثْبُتِ ٱلْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ ٱلْمَزَلَّةِ فَذَاكَ. وَإِنْ تَدْحَضِ ٱلْقَدَمُ (٤) فَإِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، وَمَهَابِّ رِيَاحٍ. وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، ٱضْمَحَلَّ فِي ٱلْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا، وَعَفَا فِي ٱلْأَرْضِ مَخَطُّهَا (٥). وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً

---

(١) برئتم من الذم ما لم تشردوا ـ كتنصروا ـ أي تنفروا وتميلوا عن الحق.

(٢) حمل كل امرء الخ. هذا وما بعده ماض قصد به الامر.

(٣) [إمـام عليم إشارة الى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، لعلمه المستمد من الله].

(٤) قوله ان تثبت، يريد بثبـات الوطأة معافاته من جراحه. والمزلة: محل الزلل. ودحضت القدم: زلت وزلقت.

(٥) الأفياء: جمع فيء، وهو الظل ينسخ ضوء الشمس عن بعض الامكنة. والمتلفق: المنضم بعضه على بعض، وعفا: اندرس وذهب. ومخطها: مكان ما خطت في الارض. وضمير متلفقها للغمام. وضمير مخطها للرياح. يريد انه كان في حال شأنها الزوال فزالت وما هو بالعجيب.

خلاء[1] : ساكِنَةً بَعْدَ حراكٍ ، وَصامِتَةً بَعْدَ نُطقٍ . لِيعظكُمْ هُدُوِّي ، وَخُفوتُ أَطْرافي[2] ، وَسُكُونُ أَطرافي ، فَإِنَّهُ أَوْعظُ لِلْمُعْتَبِرينَ مِنَ ٱلْمَنْطقِ ٱلْبَلِيغِ وَٱلْقولِ ٱلْمَسْموعِ . وَداعِيكُمْ وَداعُ أَمْرِىءٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلاقي[3] ، غداً تَرَوْنَ أَيّامي وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرائِري ، وَتعرِفُونَني بَعْدَ خُلُوِّ مَكانِي وَقِيامِ غَيْرِي مَقامِي .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[يومي فيها الى الملاحم ويصف فئة من اهل الضلال]

وَأَخَذُوا يَميناً وَشِمالاً[4] طَعْناً فِي مَسالِكِ ٱلْغيِّ ، وَتَرْكاً لِمَذاهِبِ ٱلرُّشْدِ . فَلا تَسْتَعْجِلُوا ماهُوَ كائِنٌ مُرْصَدٌ . وَلا تَسْتَبْطِئُوا ما يَجيءُ بِهِ ٱلْغدُ . فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِما إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ . وَما أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَباشِيرِ غَدٍ[5] . يا قَوْمِ هٰذا إِبّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ[6] وَدُنُوٌّ مِنْ

---

(١) خالية من الروح .

(٢) الخفوت ، السكون ، وأطرافه في الاول عيناه وفي الثاني يداه ورأسه ورجلاه .

(٣) وداعيكم اي وداعي لكم ، ومرصد أي منتظر .

(٤) [قوله يميناً وشمالاً اشارة الى طرق الضلال أما الطريق الوسطى فهي الجادّة كما سبق القول] .

(٥) [وفكم من مستعجل وما بعدها ، يريد به ذم الاستعجال] تباشيره : أوائله [وذلك كقوله وإن غدا للناظرين قريب] .

(٦) إبان ـ بكسر فتشديد ـ وقت . والدنو : القرب .

طَلْعَةِ مَا لَا تعرِفُونَ . أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[١] ، وَيُعْتِقَ رِقاً ، وَيَصْدَعَ شَعْباً ، وَيَشْعَبَ صَدْعاً[٢] ، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ[٣] وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ . ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ[٤] . تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ[٥] . وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ[٦] .

في الضلال

منها : وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ[٧] لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا

---

(١) الربق ـ بكسر فسكون ـ حبل فيه عدة عرى كل عروة ربقة ـ بفتح الراء ـ تشد فيه البهم ـ [والضمير في (فيها) راجع الى العتق] .

(٢) يفرق جمع ضلال ويجمع متفرق الحق .

(٣) القائف : الذي يعرف الآثار فيتبعها .

(٤) يشحذن ، من شحذ السكين : أي حددها . والقين : الحداد ، والنصل : حديدة السيف والسكين ونحوها .

(٥) تجلى بالتنزيل يعودون الى القرآن وتدبره فينكشف الغطاء عن أبصارهم فينهضون الى الحق كما نهض اهل القرآن عند نزوله .

(٦) يغبقون ـ مبنى للمجهول ـ يسقون كأس الحكمة بالمساء بعدما شربوه بالصباح . والصبوح ما يشرب وقت الصباح . والمراد انها تفاض عليهم الحكم الالهية في حركاتهم وسكونهم وسرهم واعلانهم .

(٧) قوله وطال الخ انتقال لحكاية اهل الجاهلية [أو فئة من أهل الضلال . والكلام هنا منقطع عما قبله ولم يذكره الشريف الرضي] وطول الامد فيها ليزيد الله لهم في العقوبة .

ٱلْغِيَرِ [1] – حَتَّى إِذَا أَخْلَوْلَقَ ٱلْأَجَلُ [2] ، وَٱسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى ٱلْفِتَنِ ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ [3] . وَلَمْ يَمُنُّوا عَلَى ٱللهِ بِالصَّبْرِ [4] . وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي ٱلْحَقِّ – حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ ٱلْقَضَاءِ ٱنْقِطَاعَ مُدَّةِ ٱلْبَلَاءِ ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ [5] ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ – حَتَّى إِذَا قَبَضَ ٱللهُ رَسُولَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى ٱلْأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمُ ٱلسُّبُلُ ، وَٱتَّكَلُوا عَلَى ٱلْوَلَائِجِ [6] وَوَصَلُوا غَيْرَ ٱلرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا ٱلْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ [7] . قَدْ مَارُوا فِي ٱلْحَيْرَةِ [8] ، وَذَهَلُوا فِي ٱلسَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى ٱلدُّنْيَا رَاكِنٍ ،

---

(١) الغير – بكسر ففتح – أحداث الدهر ونوائبه .

(٢) من قولهم اخلولق السحاب اذا استوى وصار خليقاً ان يمطر : اي يشرف الاجل على الانقضاء [وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة] .

(٣) أشالت الناقة ذنبها : رفعته ، أي رفعوا ايديهم بسيوفهم ليلحقوا حروبهم على غيرهم ، أي يسعروها عليهم .

(٤) الضمير فيه للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب والجملة جواب إذا .

(٥) من ألطف أنواع التمثيل ، يريد أشهروا عقيدتهم داعين اليها غيرهم .

(٦) [والولائج جمع وليجة وهي البطانة وخاصة الرجل من أهله وعشيرته ويراد بها] دخائل المكر والخديعة .

(٧) الغمرة : الشدة . والمزدحم ، يريد مزدحم الفتن .

(٨) ماروا : تحركوا واضطربوا .

أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يحذر من الفتن]

الله ورسوله

وَأَحْمَدُ اللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ[1] ، وَالاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ . لَا يُوَازَى فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ . أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ . وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ . يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ[2] ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ .

التحذير من الفتن

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ . فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ[3] وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ

---

(١) الدحر ـ بالفتح ـ الطرد . والمداحر والمزاجر بها يدحر ويزجر : ومخاتل الشيطان : مكائده [التي يخيل للناس بها ويوهمهم انها نافعة] .

(٢) خلو من الشرائع الالهية لا يعرفون منهـا شيئاً لعدم الرسول المبلغ ثم يغيرون ويبدلون ويتخذون الأصناع آلهة والأهواء شريعة فيموتون كفاراً .

(٣) البوائق ـ جمع بائقة ـ وهي الداهية [واستعار لفظ المسكرات للغفلات] .

ٱلْعَشْوَةِ [1]، وَٱعْوِجَاجِ ٱلْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَٱنْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا [2]. تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شَبَابُهَا كَشَبَابِ ٱلْغُلَامِ [3] وَآثَارُهَا كَآثَارِ ٱلسِّلَامِ [4] تَتَوَارَثُهَا ٱلظَّلَمَةُ بِٱلْعُهُودِ. أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ. يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ. وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ [5]. وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ ٱلتَّابِعُ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِ، وَٱلْقَائِدُ مِنَ ٱلْمَقُودِ. فَيَتَزَايَلُونَ بِٱلْبَغْضَاءِ [6]، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَٰلِكَ طَالِعُ ٱلْفِتْنَةِ ٱلرَّجُوفُ [7]، وَٱلْقَاصِمَةِ ٱلزَّحُوفُ. فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ ٱسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ. وَتَخْتَلِفُ ٱلْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا،

---

(١) القتام – كسحاب – الغبار . والعشوة – بالضم ويكسر ويفتح – ركوب الأمر على غير بيان .

(٢) [لفظ الجنين يحتمل ان يكون حقيقة أي عند طلوع ما اجتنّ منها وعنى بقطبها من تدور عليه من البغاة المنافرين] .

(٣) شباب كل شيء أوله أي بداياتها في عنفوان وشدة كشباب الغلام وفتوته [ووجه المشابهة السرعة في الظهور] .

(٤) [السِّلام (بكسر السين) الحجارة الصمّ واحدها سلمة (بكسر السين) ايضاً] وآثارها في الابدان الرض والحطم .

(٥) أراح اللحم : أنتن .

(٦) يتزايلون : يتفارقون .

(٧) شديدة الرجفان والاضطراب، او شديد ارجافها وزلزالها للناس. والقاصمة: الكاسرة . والزحوف : الشديدة الزحف .

وَتَلْتَبِسُ ٱلآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[1]. مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ. يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ[2]. قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ. وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلأَمْرِ. تَغِيضُ فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ[3]، وَتَنْطِقُ فِيهَا ٱلظَّلَمَةُ. وَتَدُقُّ أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا[4]، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا. يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ[5]، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا ٱلرُّكْبَانُ. تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ. وَتَحْلُبُ عَبِيطَ ٱلدِّمَاءِ[6]. وَتَثْلِمُ مَنَارَ ٱلدِّينِ[7]، وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ. تَهْرُبُ مِنْهَا ٱلأَكْيَاسُ[8]، وَتُدَبِّرُهَا ٱلأَرْجَاسُ[9]. مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ. تُقَطَّعُ

---

(١) نجومها: ظهورها.

(٢) يتكادمون: يعض بعضهم بعضاً، كما تكون الحمر في العانة: أي الجماعة منها وهي خاصة بحمر الوحش.

(٣) تغيض ـ بالغين المعجمة ـ: تنقص وتغور.

(٤) المسحل ـ كمنبر ـ: المبرد أو المنحت [والمسحل ايضاً: حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام مدخلة في مثلها] والمراد بالدق: التفتيت، والرض: التهشيم. والكلكل: الصدر.

(٥) الوحدان: جمع واحد، أي المتفردون.

(٦) عبيط الدماء: الطري الخالص منها [واستعار وصف الحلب لها لشبهها بالناقة وكنى به عن سفك الدماء فيها].

(٧) ثلم الاناء والسيف أو نحوه: كسر حرفه [ومنار الدين: أعلامه وهم علماؤه، ويحتمل انه يريد قوانينه الكلية، وثلمها إذن يكون بقتل العلماء وهدم قواعد الدين].

(٨) الاكياس، جمع كيس: الحاذق العاقل.

(٩) الارجاس: جمع رجس، وهو القذر والنجس، والمراد الاشرار.

فِيهَا ٱلْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلْإِسْلَامُ. بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ[1].

منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[2] وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ[3] وَبِغُرُورِ ٱلْإِيمَانِ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ[4] وَأَعْلَامَ ٱلْبِدَعِ. وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ ٱلطَّاعَةِ. وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ. وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ ٱلشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ. وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ[5] فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ[6]، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلطَّاعَةِ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[في صفة الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين]

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ. وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى

---

(١) [كل هذه أوصاف للفتنة وكونها محل المخاوف الكثيرة].

(٢) مطلول طلت دمه: هدرته.

(٣) يختلون: أي يخدعهم الظالمون بحلف الأيمان، ويغرونهم بظاهر الايمان، وأنهم مؤمنون مثلهم.

(٤) الانصاب: كل ما ينصب ليقصد.

(٥) اللعق ـ جمع لعقة ـ بضم اللام ـ وهي ما تأخذه في الملعقة.

(٦) انكم بعين الخ...: أي انه يراكم.

أَزَلِيَّتِهِ ؛ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَاشَبَهَ لَهُ . لَاتَسْتَلِمُهُ ٱلْمَشَاعِرُ [١] ، وَلَا تَحْجُبُهُ ٱلسَّوَاتِرُ ، لِافْتِرَاقِ ٱلصَّانِعِ وَٱلْمَصْنُوعِ ، وَٱلْحَادِّ وَٱلْمَحْدُودِ ، وَٱلرَّبِّ وَٱلْمَرْبُوبِ ، الْأَحَدِ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَٱلْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ [٢] ، وَٱلسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ [٣] ، وَٱلْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ [٤] ، وَٱلشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ ، وَٱلْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ [٥] ، وَٱلظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَٱلْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ . بَانَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهَا . وَبَانَتِ ٱلْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَٱلرُّجُوعِ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ [٦] وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ : كَيْفَ ؛ فَقَدِ ٱسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ : أَيْنَ ؛ فَقَدْ حَيَّزَهُ . وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ .

---

(١) لا تستلمه المشاعر أي لا تصل اليه الحواس [إذ هي محل الشعور] .

(٢) النصب ـ محركة ـ : التعب [والحركة والتعب من لواحق الاجسام وقد تنزه عنها سبحانه] .

(٣) الأداة : الآلة .

(٤) تفريق الآلة : تفريق الاجفان وفتح بعضها عن بعض [إذ الابصار لا يكون إلا بتفريق الاجفان وتقليبها في المنظورات، وقد يراد بالعبارة ؛ تعب الاعين من التقليب والابصار] .

(٥) البائن : المنفصل عن خلقه .

(٦) من وصفه : أي : من كيفه بكيفيات المحدثين .

منها : قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَاحَ لَائِحٌ[1] وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ . وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً ، وَبِيَوْمٍ يَوْماً . وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ[2] . وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ[3] ؛ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ . إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَاسْتَخْصَكُمْ لَهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ[4] . اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ . لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ . فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ[5] وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ . لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ[6] . قَدْ أَحْمَى

---

(١) لاح : بدا . قالوا هذه خطبة خطبها بعد قتل عثمان .

(٢) الغير ـ بكسر ففتح ـ :صروف الحوادث وتقلباتها : انتظرها لعلها يقوم حق ، وينتكس باطل .

(٣) [العرفاء: جمع عريف وهو النقيب] .

(٤) جماع الشيء : مجتمعه .

(٥) مرابيع ـ جمع مرباع ، بكسر الميم ـ : المكان ينبت نبته في اول الربيع ، او هو المطر أول الربيع [واستعار لفظ المرابيع ؛وهي الامطار تأتي زمن الربيع فتحيي الأرض وتنبتها ؛ لما يحصل عليه الانسان من النعم بلزوم القرآن ، واتباع اوامره ، واجتناب نواهيه] .

(٦) [واستعار لفظ المفاتيح لمناهجه ولفظ المصابيح لقوانينه] .

حِمَاهُ [1] وَأَرْعَى مَرْعَاهُ. فِيهِ شِفَاءُ ٱلْمُشْتَفِي، وَكِفَايَةُ ٱلْمُكْتَفِي.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في صفة الضال وصفات الغافلين ووعظ الناس]

صفة الضال

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللهِ يَهْوِي مَعَ ٱلْغَافِلِينَ [2]، وَيَغْدُو مَعَ ٱلْمُذْنِبِينَ. بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ [3].

صفات الغافلين

منها: حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ. وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ [4]، ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً. فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ، وَنَفْسِي، هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ. فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا ٱلْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَٱنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ ٱلصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهَاوِي،

---

(١) حماه من أحمى المكان: جعله حمى لا يقرب، أي أعز الله الاسلام ومنعه من الاعداء؛ ومن دخل فيه وصار من اهله متعه الله بخيراته وأباحه رعيّ ما تنبته أرضه الطيبة من الفوائد.

(٢) قوله: وهو في مهلة؛ كلام في ضـال غير معين [وأراد بالمهلة مدة العمر القصيرة].

(٣) [والسبيل القاصد: أي سبيل الحق].

(٤) [وكنى بجلابيب الغفلة، عن اقتنائهم ما عدّوه خيراً في الدنيا لهم].

وَٱلضَّلالَ فِي ٱلْمَغَاوِي [1]. وَلا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ [2].

عظة الناس

فَأَفِقْ أَيُّهَا ٱلسَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَٱسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِمَّا لا بُدَّ مِنْهُ وَلا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ. وَضَعْ فَخْرَكَ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ [3] وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ. وَٱلْجِدَّ ٱلْجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ «وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ».

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللهِ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ، ٱلَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لا يَنْفَعُ عَبْداً - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ - وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لاقِياً، رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ

---

(١) [الجدد: الطريق الواضح. والمغاوي:] جمع مغواة؛ وهي الشبهة يذهب معها الانسان الى ما يخالف الحق.

(٢) [التعسف في الحق: حمل النفس على مرّ الحق وصعبه].

(٣) مهد - كمنع -: بسط [ومعناه: وطّئ لقدمك موضعاً في الآخرة بطيب الاعمال].

مِنْ هٰذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى ٱلنَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ[1] ، أَوْ يَلْقَى ٱلنَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . ٱعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ .

إِنَّ ٱلْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا . وَإِنَّ ٱلسِّبَاعَ هَمُّهَا ٱلْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا . وَإِنَّ ٱلنِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْفَسَادُ فِيهَا . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[2] . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[يذكر فيها فضائل اهل البيت]

وَنَاظِرُ قَلْبِ ٱللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ[3] ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ . دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَٱسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَٱتَّبِعُوا ٱلرَّاعِيَ .

(١) يستنجح : أي يطلب نجاح حاجته من الناس بالابتداع في الدين.

(٢) [مستكينون أي :] خاضعون لله عز وجل .

(٣) ناظر القلب ، استعاره من ناظر العين : وهو النقطة السوداء منها، والمراد بصيرة القلب ، بها يدرك اللبيب أمده، أي غايته ومنتهاه. والغور، ما انخفض من الارض . والنجد ما ارتفع منها ، أي يدرك باطن أمره وظاهره .

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ ٱلْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ ٱلسُّنَنِ. وَأَرَزَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١). وَنَطَقَ ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ ٱلشِّعَارُ (٢) وَٱلْأَصْحَابُ وَٱلْخَزَنَةُ وَٱلْأَبْوَابُ (٣). لَا تُؤْتَى ٱلْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا.

منها: فِيهِمْ كَرَائِمُ ٱلْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ ٱلرَّحْمٰنِ (٤). إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا (٥). فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ (٦)، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. فَٱلنَّاظِرُ بِٱلْقَلْبِ، ٱلْعَامِلُ بِٱلْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ. فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى

---

(١) أرز يأرز ـ بكسر الراء في المضارع ـ أي انقبض وثبت. وأرزت الحية: لاذت بجحرها ورجعت اليه.

(٢) الشعار: ما يلي البدن من الثياب. والمراد بطانة النبي ﷺ [ووجه الاستعارة، ملازمتهم الرسول، واختصاصهم به، كما يلازم الشعار الجسد].

(٣) [الابواب: أي ابواب العلم].

(٤) الضمير لآل النبي، والكرائم: جمع كريمة، والمراد أنزلت في مدحهم آيات كريمات. والقرآن كريم كله وهذه كرائم من كرائم [وهم كنوز الرحمن أي خزائن علمه وسائر ما أمر به من مكارم الاخلاق].

(٥) لم يسبقوا: اي لم يسبقهم أحد الى الكلام؛ وهم سكوت: أي يهاب سكوتهم، فلم يجرؤ أحد الى الكلام فيما سكتوا عنه [وهذا إشارة الى ان نطقهم لحكمة وصمتهم لحكمة، فكل شيء في موضعه].

(٦) [وليصدق رائد: أهله: أراد به: من حضرنا طلباً لأختبارنا فليصدق اننا اهل الحق وينابيع العلم والحكمة، وليحضر عقله: أي ليعمله ليعرف به صحة ما ندعيه].

فيهِ ، وَإنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقفَ عَنْهُ . فَإِنَّ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ . فَلاَ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ . وَٱلْعَامِلَ بِالعِلْمِ ،كَالسَّائِرِ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ : أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ ؟

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ . وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُه . وَقَدْ قَالَ ٱلرَّسُولُ ٱلصَّادِقُ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْعَبْدَ[1] ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ ٱلْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ » .

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً[2] . وَكُلُّ نَبَاتٍ لاَغِنَى بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ ، وَٱلْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ . فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ .

---

(١) ان الله يحب الخ . . : أي يحب من المؤمن إيمانه ويبغض ما يأتيه من سيئات الاعمال . ولا يفيده ذلك الحب ، مع هذا البغض ، إلا عذاباً يتطهر به من خبث أعماله . ويحب من الكافر عمله ، إن كان حسناً ، ويبغض ذاته لالتياثها بدنس الكفر ، ولا ينتفع بالعمل المحبوب إلا نفعاً موقتاً في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم ، فلا يكمل للانسان حظه من السعادة ، إلا اذا كان مؤمناً ، طيب العمل .

(٢) [استعار لفظ النبات لزيادة الاعمال ونموّها وكنى بالماء عن المادة القلبية للأعمال . ووجه المشابهة ان الحركات في العبادة إنما تكون بالميول القلبية والنبات كما ان حركة النموّ للنبات إنما تكون بالماء] .

ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

[ويبتدئها بحمد الله وتنزيهه]

حمد الله وتنزيهه

أَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي ٱنْحَسَرَتِ ٱلْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ [1] وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ ٱلْعُقُولَ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ!

هُوَ ٱللهُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى ٱلْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً. وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

خلقة الخفاش

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلَامُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ؛ وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا [2] عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُوراً

(١) انحسرت: انقطعت.

(٢) [الخفاش من الخفش، وهو ضعف البصر] والعشا ـ مقصورا ـ سوء البصر وضعفه.

تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا . وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا[1] وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ ٱلذَّهَابِ فِي بَلَجِ ٱئْتِلَاقِهَا[2] ، فَهِيَ مُسْدَلَةُ ٱلْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا . وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا . فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ[3] . وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ . فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا[4] ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى ٱلضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا[5] أَطْبَقَتِ ٱلْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[6] وَتَبَلَّغَتْ بِمَا ٱكْتَسَبَتْ مِنْ فَيْءِ ظُلَمِ لَيَالِيهَا[7] . فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ٱللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً . وَٱلنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً . وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا ٱلْآذَانِ[8] ،

---

(١) سبحات النور : درجاته وأطواره .

(٢) الائتلاق : اللمعان . والبلج ـ بالتحريك ـ : الضوء ووضوحه .

(٣) أسدف الليل : أظلم ، والدجنة : الظلمة ، وغسق الدجنة : شدتها .

(٤) أوضاح ـ جمع وضح بالتحريك ـ : وهو هنا بياض الصبح .

(٥) الضباب ـ ككتاب ـ جمع ضب : الحيوان المعروف . والوجار ـ ككتاب ـ : الجحر .

(٦) مآقيها : جمع ماق ؛ وهو طرف العين مما يلي الأنف .

(٧) تبلغت : اكتفت أو اقتاتت .

(٨) شظايا : جمع شظية ـ كعطية ـ : وهي الفلقة من الشيء ، أي كأنها مؤلفة من شقق الآذان .

غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ [1]. إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً [2]. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا [3]. وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا، لَاجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ [4].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ [5] عَلَى اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَفْعَلْ. فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ [6] ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ.

وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا

---

(١) القصبة : عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجناح ، وقد يكون مجرداً عن الزغب في بعض الحيوانات، مما ليس بطائر، كبعض أنواع القنفد او الفيران له قصب محدد الاطراف يرمي به صائده كما يرمي النابل ، ويعرف بالفأر الامريكي .

(٢) [أعلاماً :] أي رسوماً ظاهرة .

(٣) لما يرقّا : عبر بلما ؛ إشارة الى انهما ما رقا في الماضي، ولا هما رقيقان، فهو نفي مستمر الى وقت الكلام في أي زمن كان .

(٤) خلا [من غيره] تقدمه من سواه فحاذاه .

(٥) [اعتقل نفسه : حبسها وضبطها] .

(٦) [اسم كان ، عائد الى اعتقال النفس واتباع الدين] .

كِمِرْجَلِ ٱلْقَيْنِ ، وَلَوْ دُعِيتُ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي ، مَا أَتَتْ إِلَيَّ ، لَمْ تَفْعَلْ[1] ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا ٱلْأُولَى ، وَٱلْحِسَابُ عَلَى ٱللهِ تَعَالَى .

وصف الايمان

منه : سَبِيلٌ أَبْلَجُ ٱلْمِنْهَاجِ أَنْوَرُ ٱلسِّرَاجِ . فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلصَّالِحَاتِ . وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلْإِيمَانِ . وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ ٱلْعِلْمُ . وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ ٱلْمَوْتُ . وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ ٱلدُّنْيَا . وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ ٱلْآخِرَةُ[2] . وَإِنَّ ٱلْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ ٱلْقِيَامَةِ . مُرْقِلِينَ[3] فِي مِضْمَارِهَا إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى .

حال اهل القبور في القيامة

منه : قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ ٱلْأَجْدَاثِ ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ ٱلْغَايَاتِ[4] . لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا ، لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا

(١) المرجل : القدر . والقين ـ بالفتح ـ : الحداد ، أي ان ضغينتها وحقدها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد فانه يغلي مادام يصنع [لتنال من غيري الخ : اي] لتصيب من غيري غرضاً من الاساءة والعدوان ، مثل ما أتت إليّ (أي فعلت بي) ، لم تفعل ، لأن حقدها كان علي خاصة .

(٢) وبالدنيا الخ : أي انه اذا رهب الموت وهو ختام الدنيا كانت الرهبة سبباً في حرص الانسان على الفائدة من حياته فلا يضيع عمره بالباطل ، وبهذا يحرز الآخرة .

(٣) المقصر ـ كمقعد ـ : المجلس ، أي لا مستقر لهم دون القيامة ، فهم ذاهبون اليها مرقلين : اي مسرعين في ميدان ، هي غايته ومنتهاه .

(٤) شخصوا : ذهبوا . والأجداث : القبور ، ومصائر الغايات : ـ جمع مصير ـ ما يصير اليه الانسان من شقاء وسعادة . والكلام في القيامة .

يُنْقَلُونَ عَنْهَا .

وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ . وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ . وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللهِ فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ ، وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ ، وَٱلشِّفَاءُ ٱلنَّافِعُ ، وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ [1] وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ [2] . وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ ٱلرَّدِّ وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ [3] . مَنْ قَالَ بِهِ ، صَدَقَ . وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

وقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت رسول الله – صلى الله عليه وآله – عنها ، فقال عليه السلام:

لَمَّا أَنْزَلَ ٱللهُ ، سُبْحَانَهُ ، قَوْلَهُ (الم أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ ٱللهِ – صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – بَيْنَ أَظْهُرِنَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، مَا هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللهُ تَعَالَى بِهَا [4] ؟ فَقَالَ :

---

(١) نقع العطش: اذا أزاله .

(٢) يستعتب: من أعتب ، اذا انصرف . والسين والتاء للطلب، او زائدتان ، أي لا يميل عن الحق فيصرف ، أو يطلب منه الانصراف عنه .

(٣) أخلقه : ألبسه ثوباً خلقاً أي بالياً ، وكثرة الرد: كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة، أي ان القرآن دائماً في أثوابه الجدد، رائق لنظر العقل، وان كثرت تلاوته، لانطباقه على الاحوال المختلفة في الأزمنة المتعددة، وليس كسائر الكلام كلما تكرر ابتذل وملته النفس .

(٤) فقلت يارسول الله الخ : . . . أشكل على الشارحين العطف بالفاء مع كون الآية

« يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ ، حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ[1] فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتَ لِيَ : « أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ » فَقَالَ لِي : « إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ[2] ؟ » فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ[3] . فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ . وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ . فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ . وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ

مكية والسؤال كان بعد أحد ، ووقعته كانت بعد الهجرة ، وصعب عليهم التوفيق بين كلام الامام وبين ما اجمع عليه المفسرون من كون العنكبوت مكية بجميع آياتها ؛ والذي أراه أن علمه بكون الفتنة لا تنزل ، والنبي بين أظهرهم ، كان عند نزول الآية في مكة ، ثم شغله عن استخبار الغيب اشتداد المشركين على الموحدين واهتمام هؤلاء برد كيد اولئك ، ثم بعد ما خفت الوطأة وصفا الوقت لاستكمال العلم ، سأل هذا السؤال . فالفاء لترتب السؤال على العلم ، والعلم كان ممتداً الى يوم السؤال ، فهي لتعقيب قوله لعلمه ، والتعقيب يصدق بان يكون ما بعد الفاء غير منقطع عما قبلها وان امتد زمن ما قبلها سنين : تقول تزوج فولد له وحملت فولدت .

(١) حيزت : حازها الله عني فلم انلها .

(٢) أي : على أية حالة يكون صبرك اذا هيئت لك الشهادة .

(٣) قوله من مواطن البشرى ، هذا شأن اهل الحق يستبشرون بالموت في سبيل الحق فانه الحياة الابدية .

عِنْدَ ذٰلِكَ ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يحث الناس على التقوى]

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ . وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَدَلِيلاً عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ .

عِبَادَ اللّٰهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ . لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ . آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ . مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ [1] ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ . فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ . فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ . فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ [2] .

---

(١) تتسابق امور الدهر : أي مصائبه ؛ كأن كلا منهـا يطلب النزول قبل الآخر فالسابق منها مهلك . والمتأخر لا حق له في مثل أثره . والاعلام هي الرايات كنى بها عن الجيوش . وتظاهرها : تعاونها . والساعة : القيامة . وحدوها : سوقها وحثها لأهل الدنيا على المسير للوصول اليها . وزاجر الابل : سائقهـا . والشول -بالفتح- جمع شائلة ، وهي من الابل ما مضى عليها من حملها ، أو وضعها ، سبعةاشهر [وجف لبنها وارتفع ضرعها وانما خص الشول من النوق لخلوها من العشار فيكون سوقها أعنف وأسرع] .

(٢) [لا يخفى لطف اختصاص الجنة بالسابقين ، والنار بالمفرطين ، إذ فيه بيان فضيلة السبق ورذيلة التفريط] .

اعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلتَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ . وَٱلْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ[1] . أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ ٱلْخَطَايَا[2] . وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ ٱلْغَايَةُ ٱلْقُصْوَى[3] .

عِبَادَ ٱللهِ ، ٱللهَ ٱللهَ فِي أَعَزِّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ . فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ ، سَبِيلَ ٱلْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ . فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ . فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ ٱلْفَنَاءِ[4] لِأَيَّامِ ٱلْبَقَاءِ . فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[5] . وَحُثِثْتُمْ عَلَى ٱلْمَسِيرِ . فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ . أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ

---

(١) لا يحرز ، أي لا يحفظ .

(٢) الحمة ـ بضم ففتح ـ في الاصل إبرة الزنبور والعقرب ونحوهـــا تلسع بها والمراد هنا سطوة الخطايا على النفس .

(٣) [أي الغاية القصوى من الكمال الانساني .]

(٤) أيام الفناء : يريد أيام الدنيا .

(٥) المراد بالظعن المأمور به ههنا السير الى السعادة بالاعمـال الصالحة ، وهذا ما حثنا الله عليه . والمراد بالمسير الذي لا ندري متى نؤمر به هو مفارقة الدنيـا . والأمر في الأول خطابي شرعي وفي الثاني فعلي تكويني [ويحتمل ان يريد بالحث على المسير حث الليل والنهار بتعاقبهما على الأعمار فهما سابقان حثيثان ولذلك وجب التنبيه لسوقهما على اتخاذ الزاد لما يسوقان اليه] .

وَحِسَابُهُ[1] .

عِبَادَ ٱللهِ ، إنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلَا فِيمَا نَهى عَنْهُ مِنَ ٱلشَّرِّ مَرْغَبٌ .

عِبَادَ ٱللهِ ، ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ . وَيَكْثُرُ فِيهِ ٱلزِّلْزَالُ . وَتَشِيبُ فِيهِ ٱلْأَطْفَالُ .

ٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ[2] ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ . وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ . لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُورِتَاجٍ[3] وَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ .

يَذْهَبُ ٱلْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ ٱلْغَدُ لَاحِقاً بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ[4] ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدِ

---

(١) تبعته : ما يتعلق به من حق الغير فيه .

(٢) الرصد : يريد به رقيب الذمة وواعظ السر الروحي الذي لا يغفل عن النبيه ولا يخطىء في الانذار والتحذير حتى لا تكون من مخطىء خطيئة إلا ويناديه من سره مناد يعنفه على ما ارتكب ، ويعيبه على ما اقترف ، ويبين له وجه الحق فيما فعل . ولا تعارضه علل الهوى ولا يخفف مرارة نصحه تلاعب الاوهام . وأي حجاب يحجب الانسان عن سره .

(٣) الرتاج ـ ككتاب ـ الباب العظيم اذا كان محكم الغلق .

(٤) منزل وحدته هو القبر .

غُرْبَةٍ ! وَكَأَنَّ ٱلصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَٱلسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ . قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ ٱلْأَبَاطِيلُ (١) . وَٱضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ ٱلْعِلَلُ . وَٱسْتَحَقَّتْ بِكُمُ ٱلْحَقَائِقُ . وَصَدَرَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ مَصَادِرَهَا . فَٱتَّعِظُوا بِٱلْعِبَرِ ، وَٱعْتَبِرُوا بِٱلْغِيَرِ ، وَٱنْتَفِعُوا بِٱلنُّذُرِ (٢) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[ينبه فيها على فضل الرسول الأعظم وفضل القرآن ثم حال دولة بني امية]

النبي والقرآن

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ (٣) ، وَٱنْتِقَاضٍ مِنَ ٱلْمُبْرَمِ . فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَٱلنُّورِ ٱلْمُقْتَدَى بِهِ . ذَٰلِكَ ٱلْقُرْآنُ ، فَٱسْتَنْطِقُوهُ ، وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ : أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَٱلْحَدِيثَ عَنِ ٱلْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

---

(١) [والمراد بالصيحة الصيحة الثانية لقوله تعالى إن كانت إلا صيحة واحدة] زاحت : بعدت وانكشفت .

(٢) [النذر جمع نذير وهو كل أمر أحدث تخويفاً من الآخرة والانتفاع به هو الخوف منه] .

(٣) الهجعة : المرة من الهجوع وهو النوم ليلا [والمراد] نوم الغفلة في ظلمات الجهالة وانتقاض الاحكام الالهية التي أبرمت على ألسنة الانبياء السابقين نقضها الناس بمخالفتها [المبرم : الحبل المحكم الفتل] .

منها : فَعِنْدَ ذٰلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ [1] إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً . فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ [2] ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ . وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ ، مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ [3] . وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ، وَدِثَارِ السَّيْفِ [4] . وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الْآثَامِ [5] . فَأُقْسِمُ ، ثُمَّ أُقْسِمُ ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ [6] ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ

---

(١) الاشارة بذلك لحالة الاختلاف ومخالفة القرآن بالتأويل [أو لحال الخلق حين خالفوا نظام الشرائع السابقة] والترحة ضد الفرحة .

(٢) أصفيته بالشيء ، آثرته به واختصصته .

(٣) الصبر - ككتف - عصارة شجر مر . والمقر - على وزانه - السم [وقد استعار العلقم والصبر والمقر لما يتجرعونه من الشدائد على اختلاف صورها] .

(٤) الدثار - ككتاب - من اللباس أعلاه فوق الملابس . والسيف يكون أشبه بالدثار اذا عمت إباحة الدم باحكام الهوى فـلا يكون لبدن ولا لعضو منه انفلات عنه .

(٥) الزوامل : جمع زاملة ، وهي ما يحمل عليها الطعام من الابل ونحوها .

(٦) نخم - كفرح - أخرج النخامة من صدره فألقاها . والنخامة - بالضم - ما يدفعه الصدر او الدماغ من المواد المخاطية .

ٱلْجَدِيدَانِ![1].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يبين فيها حسن معاملته لرعيته]

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ. وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ ٱلذُّلِّ. وَحَلَقِ ٱلضَّيْمِ[2] شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ ٱلْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ ٱلْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ ٱلْبَدَنُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْكَثِيرِ[3].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في حمد الله وبيان عظمته وفي فضائل الرسل الكرام]

عظمة الله

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ[4]، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ.

---

(١) [الجديدان: الليل والنهار].

(٢) [أحطتُ بجهدي من ورائكم: أي حفظتكم وحرستكم وأعتقتكم من ربقة الذل: حميتكم من الأعداء. وحلق ـ محركة ـ جمع حلقة].

(٣) وواضح ان هذه اخلاق الراعي الصالح إذ لا يستقيم ملك بدون الاحسان الى المحسنين والتجاوز عن بعض المسيئين].

(٤) [وقيل : حكم وكون قضائه حكماً أي لازماً لا يرد وكونه حكمة أي على وفق الحكمة الالهية وانتظام الأكمل].

اَللَّهُمَّ لكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعافِي وَتَبْتَلِي: حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى ٱلْحَمْدِ لكَ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ.

حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ. حَمْداً لا يُحْجَبُ عَنْكَ وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ.

حَمْداً لا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلا يَفْنَى مَدَدُهُ. فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ، وَلا نَوْمٌ. لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ. أَدْرَكْتَ ٱلْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ ٱلْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ. وَمَا ٱلَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَٱنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ ٱلْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ. فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ[1]، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ ٱلْمَاءِ أَرْضَكَ[2] رَجَعَ طَرْفُهُ

(١) ذرأت: خلقت.

(٢) المور ـ بالفتح ـ: الموج.

حَسِيراً ، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً ، وَسَمْعُهُ وَالِهاً ، وَفِكْرُهُ حَائِراً [1] .

كيف يكون الرجاء

منها : يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ . كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ، مَا بَالُهُ لا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ وَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ [2] وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لا يُعْطِي الرَّبَّ . فَمَا بَالُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ

(١) [حائرا :] كليلا . والمبهور : المغلوب ومنقطع نفَسه من الاعياء . والواله ـ من الوله ـ : وهو ذهاب الشعور .

(٢) المدخول : المغشوش غير الخالص أو هو المعيب الناقص لا يترتب عليه عمل . والخوف المحقق هو الثابت الذي يبعث على البعد عن المخوف والهرب منه وهو في جانب الله ما يمنع عن إتيان نواهيه ويحمل على إتيان اوامره هرباً من عقابه وخشية من جلاله . والخوف المعلول هو ما لم يثبت في النفس ولم يخالط القلب ، وانما هو عارض في الخيال يزيله ادنى الشواغل ويغلب عليه اقل الرغائب ، فهو يرد على الوهم ثم يفارقه ثم يعود اليه ، شأن الاوهام التي لا قرار لها ، فهو معلول : من عله يعله إذا شربه مرة بعد أخرى ، ومراد الامام ان الراجي لعبد من العبيد يظهر رجاؤه في سعيه واهتمامه بشأن من رجاه، وموافقته على اهوائه ، وكذلك الخائف من امير او سلطان يرى اثر خوفه في تهيبه والامتناع من كل ما يحرك غضبه ، بل ما يتوهم فيه انه غير حسن عنده ، لكنهم في رجاء الله وخوفه يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، مع انهم يرجون الله في سعادة الدارين ويخافونه في شقاء الابد ، فيعطون للعبيد ما لا يعطون لله .

تَكُونَ فِي رَجائِكَ لَهُ كَاذِباً ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجاءِ مَوْضِعاً ؟ وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ ٱلْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَاراً وَوَعْداً [1]. وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى ٱللهِ تَعَالَى، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْداً لَهَا.

رسول الله

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ ــ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ــ كَافٍ لَكَ فِي ٱلْأُسْوَةِ [2]. وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ ٱلدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا. وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.

موسى

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ ٱللهِ ــ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِذْ يَقُولُ: « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » وَٱللهِ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ ٱلْأَرْضِ. وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ

(١) الضمار ــ ككتاب ــ من الوعود ما كان مسوفاً به.
(٢) الأسوة : القدوة.
(٣) الأكناف : الجوانب. وزوى اي قبض.

لَحْمِهِ [1].

داود

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ – صَاحِبِ ٱلْمَزَامِيرِ ، وَقَارِيءِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ ٱلْخُوصِ بِيَدِهِ [2] ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ! وَيَأْكُلُ قُرْصَ ٱلشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا .

عيسى

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ ٱلْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ ٱلْخَشِنَ ، وَيَأْكُلُ ٱلْجَشِبَ . وَكَانَ إِدَامُهُ ٱلْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ ٱلْقَمَرَ ، وَظِلَالُهُ فِي ٱلشِّتَاءِ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا [3] ، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ .

---

(١) الصفاق – ككتاب – هو الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، او هو ما بين الجلد والمصران او جلد البطن كله . والتشذب : التفرق . وانهضام اللحم : تحلل الاجزاء وتفرقها .

(٢) السفائف – جمع سفيفة – وصف ، من سف الخواص اذا نسجه ، اي منسوجات الخوص .

(٣) ظلاله – جمع ظل – بمعنى الكن والمأوى ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كن له .

فَتَأَسَّ[1] بِنَبِيِّكَ ٱلْأَطْيَبِ ٱلْأَطْهَرِ – صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى. وَأَحَبُّ ٱلْعِبَادِ إِلَى ٱللّٰهِ ٱلْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَٱلْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ. قَضَمَ ٱلدُّنْيَا قَضْماً[2]، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً. أَهْضَمُ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا كَشْحاً[3]، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ ٱلدُّنْيَا بَطْناً. عُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا. وَعَلِمَ أَنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَرَ شَيْئاً فَحَقَرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ ٱللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ ٱللّٰهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلّٰهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ ٱللّٰهِ[4]. وَلَقَدْ كَانَ – صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – يَأْكُلُ عَلَى ٱلْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ ٱلْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ ٱلْحِمَارَ ٱلْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ[5]،

(١) تأسَّ: اي اقتد.

(٢) القضم: الاكل بأطراف الاسنان، كأنه لم يتناول منها الا على اطراف اسنانه، ولم يملأ منها فمه، أو بمعنى أكل اليابس.

(٣) أهضم من الهضم: وهو خمص البطن اي خلوها وانطباقها من الجوع. والكشح: ما بين الخاصرة الى الضلع الخلفي. واخمصهم: اخلاهم.

(٤) المحادة: المخالفة في عناد.

(٥) خصف النعل: خرزها. والحمار العاري: ما ليس عليه بردعة ولا اكاف. وأردف خلفه: أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه.

وَيَكُونُ ٱلسِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ ٱلتَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ — لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ — غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ ٱلدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا [١]. فَأَعْرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً [٢]، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ ٱلنَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ ٱلْقَلْبِ [٣]، وَغَيَّبَهَا عَنِ ٱلْبَصَرِ. وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ — صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ — مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ ٱلدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا. إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ [٤]، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ ٱللهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ — وَٱلْعَظِيمِ —، وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ قَدْ أَهَانَ

---

(١) في هذا دليل على أن الرسم على الورق والاثواب ونحوها لا يمنع استعماله، وانما يتجافى عنه بالنظر تزهدا وتورعا.

(٢) الرياش: اللباس الفاخر.

(٣) أشخصها: أبعدها.

(٤) خاصته، اسم فاعل في معنى المصدر، أي: مع خصوصيته وتفضله عند ربه. وعظيم الزلفة: منزلته العليا من القرب الى الله. وزوى الدنيا عنه: قبضها وأبعدها.

غَيْرَهُ حَيْثُ بَسطَ ٱلدُّنْيَا لَهُ ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ ٱلنَّاسِ مِنْهُ . فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ (١) ، وَٱقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ ٱلْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً – صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – عَلَماً لِلسَّاعَةِ (٢) ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا خَمِيصاً (٣) وَوَرَدَ ٱلْآخِرَةَ سَلِيماً . لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ (٤) . وَٱللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا (٥) . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْبِذُهَا ؟ فَقُلْتُ : أُغْرُبْ عَنِّي ، فَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلسُّرَى (٦) !

---

(١) فتأسى : خبر يريد به الطلب ؛ أي فليقتد مقتد بنبيه .

(٢) العلم – بالتحريك – العلامة أي ان بعثته دليل على قرب الساعة حيث لا نبي بعده .

(٣) خميصا : أي خالي البطن ، كناية عن عدم التمتع بالدنيا.

(٤) العقب – بفتح فكسر – مؤخر القدم . ووطوء العقب مبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه ، نقفوه خطوة خطوة حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه .

(٥) المدرعة – بالكسر – ثوب من صوف .

(٦) اغرب عني : اذهب وابعد . والمثل معناه إذا أصبح النائمون وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم انفسهم ، او إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ما ساروا اليه حمدوا سراهم وإن كان شاقاً حيث أبلغهم إلى ما قصدوا . والسرى – بضم ففتح – السير ليلاً .

ومن خطبة له عليه السلام

[في صفة النبي واهل بيته واتباع دينه وفيها يعظ بالتقوى]

الرسول واهله واتباع دينه

بَعَثَهُ بِالنُّورِ ٱلْمُضِيءِ وَٱلْبُرْهَانِ ٱلْجَلِيِّ، وَٱلْمِنْهَاجِ ٱلْبَادِي (١) وَٱلْكِتَابِ ٱلْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ (٢)، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ. أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ (٣). مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ (٤). عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَٱمْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ (٥). أَظْهَرَ بِهِ ٱلشَّرَائِعَ ٱلْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ ٱلْبِدَعَ ٱلْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ ٱلْأَحْكَامَ ٱلْمَفْصُولَةَ (٦). فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ (٧). وَيَكُونُ مَآبُهُ إِلَى ٱلْحُزْنِ ٱلطَّوِيلِ وَٱلْعَذَابِ ٱلْوَبِيلِ.

---

(١) المنهاج البادي : أي الظاهر .

(٢) الأسرة – كغرفة – رهط الرجل الأدنون .

(٣) متهدلة: متدلية ؛ دانية للاقتطاف .

(٤) طيبة: المدينة المنورة [وهو اسم سماها به رسول الله وكان اسمها يثرب] .

(٥) من تلافاه : تداركه بالاصلاح قبل ان يهلكه الفساد ، فدعوة النبي تلافت أمور الناس قبل هلاكهم .

(٦) المفصولة: التي فصلها الله أي قضى بها على عباده.

(٧) الكبوة : السقطة .

وَأَتوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ توَكُّلَ ٱلإِنَابَةِ إِلَيْهِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ ٱلسَّبِيلَ ٱلْمُؤَدِّيَ إِلَى جَنَّتِهِ ، ٱلْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

النصح بالتقوى

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ ٱللهِ ، بِتَقْوَى ٱللهِ وَطَاعَتِهِ ، فَإِنَّهَا ٱلنَّجَاةُ غداً ، وَٱلْمَنْجَاةُ أَبداً . رَهَّبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ (١) . وَوَصَفَ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱنْقِطَاعَهَا ، وَزَوَالَهَا وَٱنْتِقَالَهَا . فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا . أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ ٱللهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ ٱللهِ . فَغُضُّوا عَنْكُمْ – عِبَادَ ٱللهِ – غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالاتِهَا . فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ ٱلشَّفِيقِ ٱلنَّاصِحِ (٢) وَٱلْمُجِدِّ ٱلْكَادِحِ . وَٱعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ ٱلْقُرُونِ قَبْلَكُمْ . قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ (٣) ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَٱنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ . فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ ٱلْأَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ ٱلْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا . لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا

---

(١) أسبغ ، أي أحاط بجميع وجوه الترغيب .

(٢) الشفيق : الخائف . والناصح : الخالص . والمجد : المجتهد . والكادح : المبالغ في سعيه .

(٣) تزايلت : تفرقت . والأوصال : المفاصل او مجتمع العظام. وتفرقها كناية عن تبددهم وفنائهم .

يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ وَلَا يَتَجَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللّٰهِ حَذَرَ ٱلْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، ٱلْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، ٱلنَّاظِرِ بِعَقْلِهِ. فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَٱلْعَلَمَ قَائِمٌ، وَٱلطَّرِيقَ جَدَدٌ، وَٱلسَّبِيلَ قَصْدٌ [1].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لبعض اصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم أحق به؟ فقال:

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ ٱلْوَضِينِ [2] تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ ٱلصِّهْرِ وَحَقُّ ٱلْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ ٱسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا ٱلِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا ٱلْمَقَامِ وَنَحْنُ ٱلْأَعْلَوْنَ نَسَبًا [3]، وَٱلْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَوْطًا [4]، فَإِنَّهَا

---

(١) الجدد ـ بالتحريك ـ المستوى المسلوك والقصد القويم.

(٢) الوضين: بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، فاذا قلق واضطرب اضطرب الرحل فكثر تململ الجمل وقل ثباته في سيره. والارسال: الاطلاق والاهمال. والسدد ـ محركا ـ الاستقامة، اي تطلق لسانك بالكلام في غير موضعه كحركة الجمل المضطرب في مشيته. والذمامة: الحماية والكفاية. والصهر: الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج، وإنما كان للأسدي حماية الصهر لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله كانت أسدية [وهي ـ رضي الله عنها ـ زينب بنت جحش بن رباب من بني أسد بن خزيمة وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فهي بنت عم رسول الله ﷺ].

(٣) [يقال إنه يريد أهل الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه].

(٤) النوط ـ بالفتح ـ التعلق. والاثرة: الاختصاص بالشيء دون مستحقه. والمراد بمن سخت نفوسهم عن الأمر اهل البيت.

كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ . وَٱلْحَكَمُ ٱللهُ ، وَٱلْمَعُودُ إِلَيْهِ ٱلْقِيَامَةُ .

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ [١]

وَهَلُمَّ ٱلْخَطْبَ فِي ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ [٢] ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي ٱلدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ . وَلَا غَرْوَ ، وَٱللهِ ، فَيَالَهُ خَطْباً ! يَسْتَفْرِغُ ٱلْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ ٱلْأَوَدَ ! حَاوَلَ ٱلْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ ٱللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ [٣] ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً [٤] . فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ ٱلْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ

---

(١) البيت لامرىء القيس . وتتمته : وهات حديثاً ما حديث الرواحل . قاله عندما كان جاراً لخالد بن سدوس فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بأهله فشكا لمجيره خالد فقال له : أعطني رواحلك ألحق بها القوم ، فأرد إبلك وأهلك ، فأعطاه ، وأدرك خالد القوم فقال لهم : ردوا ما أخذتم من جاري ، فقالوا ما هو لك بجار ، فقال : والله انه جاري ، وهذه رواحله . فقالوا : رواحله ؟ فقال نعم. فرجعوا اليه وأنزلوه عنهن وذهبوا بهن . والنهب – بالفتح – : الغنيمة . وصيح : اي صاحوا للغارة . في حجراته جمع حجرة – بفتح الحاء – : الناحية . ووجه التمثيل ظاهر [وهو ان السابقين من الأئمة وإن كانوا قد استبدوا بهذا الأمر ، فدعهم لسبقهم الى الاسلام والهجرة . وهات ما نحن فيه من الخطب الجليل] .

(٢) هلم : اذكر . والخطب : عظيم الأمر وعجيبه الذي أدى لقيام من ذكره لمنازعته في الخلافة . والأود : الاعوجاج .

(٣) الفوار والفوارة من الينبوع : الثقب الذي يفور الماء منه بشدة .

(٤) جدحوا : خلطوا . والشرب بالكسر : النصيب من الماء . والوبيء : ما يوجب شربه من الوباء ، يريد به : الفتنة التي يردونها نزاعاً له في حقه كأنها ماء خلط بالمواد السامة القاتلة .

الْحَقَّ عَلَى مَحْضِهِ (١)، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ (٢) إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ».

ومن خطبة له عليه السلام

[في بيان حقيقة الخالق جل وعلا وابتداعه للمخلوقات]

الخالق جل وعلا

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوِهَادِ، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ (٣). لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ. هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ. حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا (٤). لَا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ. لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى، وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى. الظَّاهِرُ

---

(١) محض الحق : خالصه .

(٢) وان لا يزالوا مفتونين فلا تمت نفسك غماً عليهم .

(٣) [ساطح المهاد، جاعله سطحاً سهلاً وباسطه للعمل فيه] والمهاد : الأرض . والوهاد – جمع وهدة – ما انخفض من الأرض . والنجاد – جمع نجد – ما ارتفع منها ، وتسييل الوهاد بمياه الأمطار ، وتخصيب النجاد بانواع النبات .

(٤) [وسجود الجباه وتوحيد الشفاه إشارة الى استحقاقه العبادة عملاً ولفظاً] والابانة ههنا التمييز والفصل ، والضمير في له يرجع اليه سبحانه أي تمييزاً لذاته تعالى عن شبهها اي مشابهتها . وإبانة مفعول لأجله يتعلق بحد ، اي حد الاشياء تنزيهاً لذاته عن مماثلتها .

لَا يُقَالُ مِمَّا [١] ، وَٱلْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَا . لَا شَبَحٌ فَيَتَقَضَّى [٢] ، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى . لَمْ يَقْرُبْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ . لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ [٣] ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ ، وَلَا ٱزْدِلَافُ رَبْوَةٍ [٤] ، وَلَا ٱنْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ [٥] ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ ٱلْقَمَرُ ٱلْمُنِيرُ [٦] ، وَتَعْقُبُهُ ٱلشَّمْسُ ذَاتُ ٱلنُّورِ فِي ٱلْأُفُولِ وَٱلْكُرُورِ [٧] ، وَتَقَلُّبِ ٱلْأَزْمِنَةِ وَٱلدُّهُورِ . مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ [٨] ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ . تَعَالَى عَمَّا

---

(١) ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من اي شيء ظهر .

(٢) ليس بجسم فيفنى بالانحلال .

(٣) شخوص لحظة : امتداد بصر [بلا حركة من جفن] .

(٤) ازدلاف الربوة : تقربها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات .

(٥) الداجي : المظلم . والغسق : الليل . وساج اي ساكن لا حركة فيه .

(٦) أصل التفيؤ للظل نسخ نور الشمس . ولما كان الظلام بالليل عاماً كالضياء بالنهار عبر عن نسخ نور القمر له، بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس، وهو من لطيف التشبيه ودقيقه .

(٧) الأفول : المغيب . والكرور : الرجوع بالشروق .

(٨) قوله قبل كل غاية: متعلق بيخفى على معنى السلب ، اي لا يخفى عليه شيء من ذلك قبل كل غاية ، أي يعلمه قبل الخ. ويصح ان يكون خبراً عن ضمير الذات العلية ، اي هو موجود قبل كل غاية الخ.

يَنْحَلُهُ ٱلْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ ٱلْأَقْطَارِ [١] . وَتَأَثُّلِ ٱلْمَسَاكِنِ [٢] ، وَتَمَكُّنِ ٱلْأَمَاكِنِ . فَٱلْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوب ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ .

ابتداع المخلوقين

لَمْ يَخْلُقِ ٱلْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ [٣] لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ ٱمْتِنَاعٌ [٤] ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ ٱنْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِٱلْأَمْوَاتِ ٱلْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِٱلْأَحْيَاءِ ٱلْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَى .

منها : أَيُّهَا ٱلْمَخْلُوقُ ٱلسَّوِيُّ [٥] ، وَٱلْمُنْشَأُ ٱلْمَرْعِيُّ فِي

---

(١) نحله القول — كمنعه — نسبه اليه اي عما ينسبه المحددون لذاته تعالى والمعرفون لها . من صفات الأقدار جمع قدر — بسكون الدال — وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر . ونهايات الأقطار هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدمة .

(٢) التأثل : التأصل .

(٣) لم تكن مواد متساوية في القدم والازلية وكان له فيها أثر التصوير والتشكيل فقط ، بل خلق المادة بجوهرها ، وأقام لها حدها ، اي ما به امتازت عن سائر الموجودات وصور منها ما صور من انواع النباتات والحيوانات وغيرها [وإحسان الصورة المجيء بها على وجه الاحكام والاتقان] .

(٤) أي لا يمتنع عليه ممكن إذا قال للشيء كن فيكون .

(٥) مستوى الخلقة لا نقص فيه . والمنشأ المبتدع . والمرعى المحفوظ [المعنيّ بأمره] .

فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ ٱلْأَسْتَارِ . بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ [١] ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ دُعَاءً وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً . ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا . فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ ٱلْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ ؟ هَيْهَاتَ ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي ٱلْهَيْئَةِ وَٱلْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ! وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ ٱلْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لما اجتمع الناس اليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم ، فدخل عليه فقال :

إِنَّ ٱلنَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ ٱسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ [٢] وَوَٱللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ . مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ

(١) السلالة من الشيء : ما انسل منه . والنطفة : مزيج ينسل من البدن المؤلف من عناصر الارض المخلوطة بالمواد السائلة ، فالمزاج البدني أشبه بالمزاج الطيني بل هو [منه] بنوع اتقان واحكام . والقرار المكين : محل الجنين من الرحم . والقدر المعلوم : مبلغ المدة المحددة للحمل . وتمور : تتحرك . ولا تحير ، من قولهم ما أحار جوابا مارد اي لا تستطيع دعاء .

(٢) استسفروني : جعلوني سفيراً .

عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبْلِغَكَهُ . وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ ٱللهِ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَحِبْنَا - وَمَا ٱبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ٱبْنُ ٱلْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ ٱلْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ — صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ — وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا [1] . وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا . فَاللهَ ٱللهَ فِي نَفْسِكَ ! فَإِنَّكَ — وَٱللهِ — مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى ، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّ ٱلطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلَامَ ٱلدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ ٱللهِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ ، هُدِيَ وَهَدَى ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً . وَإِنَّ ٱلسُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ ٱلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يَقُولُ « يُؤْتَى يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِٱلْإِمَامِ ٱلْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ ٱلرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ

---

(١) الوشيجة : اشتباك القرابة ، وانما كان عثمان أقرب وشيجة لرسول الله لأنه من بني امية بن عبد شمس بن عبد منـــاف رابع اجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أما أبو بكر فهو من بني تيم بن مرة سابع اجداد النبي ، وعمر بن عدي بن كعب ثامن اجداده ﷺ . وأما أفضليته عليهما في الصهر فلأنه تزوج ببنتي رسول الله رقية وأم كلثوم ، توفيت الأولى فزوجه النبي بالثانية ولذا سمي ذا النورين . وغاية ما نال الخليفتان ان النبي تزوج من بناتهما .

فِي قَعْرِهَا [1] » وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْمَقْتُولَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا ، وَيَبُثُّ ٱلْفِتَنَ عَلَيْهَا ، فَلَا يُبْصِرُونَ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْبَاطِلِ . يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً ، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً [2] . فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً [3] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ ٱلسِّنِّ وَتَقَضِّي ٱلْعُمُرِ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : « كَلِّمِ ٱلنَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ » فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ [4] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

[ودقائق خلقة الطيور]

خلقة الطيور

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ ، وَسَاكِنٍ وَذِي

(١) ربطه فارتبط ، أي شده وحبسه .

(٢) المرج : الخلط .

(٣) السيقة — ككيسة — ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتباً ومشيراً لعثمان .

(٤) [يريد امير المؤمنين بهذا ان يسرع عثمان رضي الله عنه برد المظالم ، أما مظالم المدينة فيكفي صدور امره فيها لترد في الحال وأما مظالم الآفاق فبينه وبين ردها مسافة وصول الامر اليها مع البريد .

حَرَكَاتٍ . فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ، مُعْتَرِفَةً بِهِ ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ . وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ (١) ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلْأَطْيَارِ (٢) ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلْأَرْضِ ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا . مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ (٣) وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ ، وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ . كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ (٤) . وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي ٱلسَّمَاءِ خُفُوفاً ، وَجَعَلَهُ يَدُفُّ دَفِيفاً . وَنَسَقَهَا عَلَى ٱخْتِلَافِهَا فِي ٱلْأَصَابِيغِ (٥) بِلَطِيفِ

---

(١) نعقت من نعق بغنمه ـ كمنع ـ صاح .

(٢) ذرأ : خلق . والاخاديد ـ جمع اخدود الشق في الارض ؛ والخروق جمع جمع خرق ـ : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والفجاج ـ جمع فج ـ الطريق الواسع وقد يستعمل في متسع الفلا . والاعلام جمع علم بالتحريك ، وهو الجبل .

(٣) يصرفها الله في اطوار مختلفة تنتقل فيها بزمام تسخيره واستخدامه لها فيما خلقها لأجله . ومرفرفة من رفرف الطائر بسط جناحيه . والمخارق ـ جمع مخرق ـ الفلاة . وشبه الجو بالفلاة لسعة فيهما [وهو من أدق التشبيه] .

(٤) الحقاق ـ ككتاب ـ : جمع حق بالضم ـ مجتمع المفصلين واحتجاب المفاصل : استتارها باللحم والجلد . والعبالة : الضخامة [وامتلاء الجسد] ويسمو : يرتفع ؛ وخفوفاً : سرعة وخفة . ودفيف الطائر : مروره فويق الأرض ، أو ان يحرك جناحيه ورجلاه في الأرض . ويدف بضم الدال .

(٥) نسقها : رتبها . والاصابيغ : جمع أصباغ ـ بفتح الهمزة ـ جمع صبغ بالكسر وهو اللون او ما يصبغ به .

قدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ . فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ [١] لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ . وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ .

الطاووس

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً ٱلطَّاوُوسُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ [٢] ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى ٱلْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ ، وَسَمَا بِهِ مُطِلّاً عَلَى رَأْسِهِ [٣] كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ . يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ . يُفْضِي كَإِفْضَاءِ ٱلدِّيَكَةِ ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ

---

(١) القالب مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره . والطائر ذو اللون الواحد كأنما افرغ في قالب من اللون. وقوله قد طوق أي جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه كأنه طوق صبغ لحليته .

(٢) التنضيد : النظم والترتيب . وقوله أشرج قصبه : اي داخل بين آحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر وإذا مشى إلى انثاه نشر ذلك الذنب بعد طيه .

(٣) سما به اي ارتفع به ، اي رفعه مطلا على رأسه ، اي مشرفاً عليه كأنه يظلله . والقلع - بكسر فسكون - شراع السفينة [وداريّ نسبة الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال ان الطيب كان يجلب لها من الهند وقد خربت منذ قديم فلم تعد بها عمارة] . وعنجه : جذبه فرفعه، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه [والنوتي : ربان السفينة] ويختال : يعجب . ويميس : يتبختر بزيفان ذنبه . وأصل الزيفان التبختر ايضاً ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يميناً وشمالا

ٱلْفُحُولِ ٱلْمُغْتَلِمَةِ [١] فِي ٱلضِّرَابِ . أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ [٢] ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ . وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ [٣] ، فَتَقِفُ فِي صَفَّتَيْ جُفُونِهِ وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى ٱلدَّمْعِ ٱلْمُنْبَجِسِ لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ ٱلْغُرَابِ [٤] . تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا

---

(١) يفضى : اي تذهب اناثه كما تذهب الديكة جمع ديك . ويؤر - كيشد - أي يأتي اناثه بلاقحة اي مسافدة يفرز فيها مادة تناسلية من عضو التناسل يدفعها في رحم قابل . والمغتلمة : على صيغة اسم الفاعل . من اغتلم اذا غلب الشهوة . والضراب : لقاح الفحل لأنثاه .

(٢) اي ان لم يكفك الخبر فأني احولك عنه إلى المعاينة فاذهب وعاين تجد صدق ما اقول .

(٣) تسفحها اي ترسلها اوعية الدمع [وهو إشارة الى زعم قوم ان الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة بين اجفانه فتأتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة] وضفة الجفن : استعارة من ضفتي النهر بمعنى جانبيه . وتطعم ذلك - كتعلم - اي تذوقه كأنها تترشفه . ولقاح الفحل - كسحاب - ماء التناسل يلقح به الانثى . والمنبجس النابع من العين .

(٤) لما كان ذلك بأعجب اي لو صح ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما زعموا في مطاعمة الغراب وتلقيحه لأنثاه حيث قالوا ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره . والمماثلة بين الزعمين في عدم الصحة . ومنشأ الزعم في الغراب اخفاؤه لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم : أخفى من سفاد الغراب .

مِنْ عَجيبِ دارَاتِه وَشُمُوسِهِ خالِصَ ٱلعِقْيانِ وَفِلَذَ ٱلزَّبَرْجَدِ [١] . فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنبَتَتِ ٱلأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ [٢] . وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِٱلمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ ٱلحُلَلِ [٣] ، أَوْ مُونِقِ عَصْبِ ٱليَمَنِ . وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِٱلحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ ، قَدْ نُطِّقَتْ بِٱللُّجَيْنِ ٱلمُكَلَّلِ [٤] يَمْشِي مَشْيَ ٱلمَرِحِ ٱلمُخْتَالِ [٥] ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ [٦] فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا

(١) القصب – جمع قصبة – هي عمود الريش . والمدارى – جمع مِدْرَى بكسر الميم – قال ابن الاثير المدرى والمدراة مصنوع من حديد او خشب على شكل سن من اسنان المشط واطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له . والدارات : هالات القمر : والعقيان : الذهب الخالص او ما ينمو منه في معدنه . وفلذ – كعنب – جمع فلذة بمعنى القطعة . وما انبت معطوف على قصبه . والتشبيه في بياض القصب والصفرة والخضرة في الريش .

(٢) جنى اي مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون .

(٣) الموشى : المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل . والعصب – بالفتح – ضرب من البرود منقوش .

(٤) جعل اللجين – وهو الفضة – منطقة لها . والمكلل : المزين بالجواهر . فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها .

(٥) المرح – ككتف – المعجب والمختال الزاهي بحسنه .

(٦) السربال : اللباس مطلقا او هو الدرع خاصة والوشاح نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف احدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين احداهما داخل الاخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف ، واديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين العاتق والكشح .

مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ ٱلدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ [1] وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ [2]. وَلَهُ فِي مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ [3]. وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ. وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ ٱلْيَمَانِيَّةِ [4]، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ [5] وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ [6]. إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ ٱلنَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ

---

(١) زقا يزقو : صاح، واعول فهو معول رفع صوته بالبكاء يكاد يبين اي يفصح عن استغاثته من كراهة قوائمه اي ساقيه . حمش – جمع أحمش – أي دقيق . والديك الخلاسي – بكسر الخاء – هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٢) وقد نجمت اي نبتت من ظنبوب ساقه اي من حرف عظمه الاسفل صيصية وهي شوكة تكون في رجل الديك . والظنبوب – بالضم – كعرقوب عظم حرف الساق .

(٣) القنزعة – بضم القاف والزاي – بينهما سكون – الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي . وموشاة : منقوشة .

(٤) مغرزها : الموضع الذي غرز فيه العنق منتهياً الى مكان البطن لونه كلون الوسمة وهي نبات يخضب به ، او هي نبات النيل الذي منه صبغ النيلج المعروف بالنيلة .

(٥) الصقال : الجلاء .

(٦) المعجر – كمنبر – : ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده الى الطرف الاول فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها وهو معنى التلفع ههنا . والاسحم الاسود .

فَتَقَ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ [١] أَبْيَضُ يَقَقٌ . فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ [٢] . وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ [٣] ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ [٤] . فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ [٥] لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ [٦] وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ . وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ [٧] ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً ، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ [٨] ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ . لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ . وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً [٩] . فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ [١٠] ،

---

(١) الاقحوان : البابونج . واليقق – محركا – شديد البياض .

(٢) يلمع .

(٣) نصيب .

(٤) علاه اي فاق اللون الذي اخذ نصيباً منه بكثرة جلائه . والبصيص : اللمعان . والرونق : الحسن .

(٥) الازاهير : جمع ازهار جمع زهر .

(٦) لم تربها ، فعل من التربية . والقيظ : الحر .

(٧) يتحسر هو من حسره اي كشفه ، اي وقد يتكشف من ريشه . وتترى اي شيئاً بعد شيء .

(٨) ينحت : يسقط وينقشر .

(٩) ذهبية .

(١٠) عمائق جمع عميقة .

أَوْ تَبْلُغَهُ قَرَائِحُ ٱلْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ .

وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ ٱلْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَٱلْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ . فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْعُقُولَ (١) عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً ، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً . وَأَعْجَزَ ٱلْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ .

صغار المخلوقات

سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ ٱلذَّرَّةِ (٢) وَٱلْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ ٱلْحِيتَانِ وَٱلْأَفْيِلَةِ . وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ ٱلرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ ٱلْحِمَامَ مَوْعِدَهُ ، وَٱلْفَنَاءَ غَايَتَهُ (٣) .

منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ (٤) عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى ٱلدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا ،

---

(١) بهر العقول : قهرها فردها . وجلاه — كجلاه — كشفه .

(٢) الذرة : واحدة الذر : صغار النمل . والهمجة — محركة — واحدة الهمج : ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم . وقوائمها : أرجلها . وأدمجها : اودعها فيها .

(٣) وأى : وعد . والحمام : الموت .

(٤) عزفت الابل — كفرح — اشتكت بطونها من أكل العزف : وهو الثام ، اي لكرهت بدائع الدنيا كما تكره الابل الثام او لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع الدنيا كما تألم بطون الابل من أكل الثام .

وَزَخارِفِ مَناظِرِهَا ، وَلَذَهِلْتَ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[1] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا[2] ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا[3] . تُحْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ[4] فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ[5] ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ[6] ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ[7] لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا . جَعَلَنَا اللّٰهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

---

(١) اصطفاق الاشجار : تضارب اوراقها بالنسيم بحيث يسمع لهـــا صوت . والكثبان ـ جمع كثيب ـ وهو التل .

(٢) جمع فنن ـ بالتحريك ـ وهو الغصن .

(٣) غلف بضمتين ـ جمع غلاف ـ والا كمام ـ جمع كم بكسر الكاف ـ وهو وعاء الطلع وغطاء النوار .

(٤) تحنى ، من حناه حنوا : عطفه .

(٥) المصفاة .

(٦) قوله قوم الخ أي هم قوم أي نزال الجنة قوم شأنهم ما ذكره .

(٧) المونقة : المعجبة .

قال السيد الشريف، رضي الله عنه: قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وَيَؤُرُّ بِمُلَاقِحَةٍ»، ٱلْأَرُّ كِنَايَةٌ عَنِ ٱلنِّكَاحِ، يُقَالُ أَرَّ ٱلْمَرْأَةَ يَؤُرُّهَا أَيْ نَكَحَهَا، وَقَوْلُهُ كَأَنَّهُ قِلْعٌ دَارِيٌّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ: ٱلْقِلْعُ شِرَاعُ ٱلسَّفِينَةِ، وَدَارِيٌّ: مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ، وَهِيَ بَلْدَةٌ عَلَى ٱلْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا ٱلطِّيبُ. وَعَنَجَهُ أَيْ عَطَفَهُ. يُقَالُ عَنَجْتُ ٱلنَّاقَةَ ـ كَنَصَرْتُ ـ أَعْنُجُهَا عَنْجاً إِذَا عَطَفْتُهَا. وَٱلنُّوتِيُّ ٱلْمَلَّاحُ. وَقَوْلُهُ ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ، أَرَادَ جَانِبَيْ جُفُونِهِ. وَٱلضَّفَّتَانِ ٱلْجَانِبَانِ. وَقَوْلُهُ وَفِلَذِ ٱلزَّبَرْجَدِ، ٱلْفِلَذُ: جَمْعُ فِلْذَةٍ، وَهِيَ ٱلْقِطْعَةُ. وَقَوْلُهُ كَبَائِسِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلرَّطْبِ، ٱلْكِبَاسَةُ: ٱلْعِذْقُ[1]. وَٱلْعَسَالِيجُ: ٱلْغُصُونُ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[في الحث على التآلف ثم في زوال بني أمية والناس في آخر الزمان]

الحث على التآلف

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ[2] وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ.

---

(١) العذق للنخلة كالعنقود للعنب: مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون.

(٢) ليتأس: ليقتد.

وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ : لَا فِي ٱلدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ ٱللهِ يَعْقِلُونَ . كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ [1] يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً . وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً .

بنو امية

منها : اُفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ . عَلَى أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ [2] يُؤَلِّفُ ٱللهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ ٱلسَّحَابِ . ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ

(١) القيض : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والأداحي — جمع أدحيّ — كاجيّ وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه فاذا مر مار بالأداحي فرأى فيها بيضاً ارقط ظن انه بيض القطا لكثرته والفه للأفاحيص مطلقاً يبيض فيها ، فلا يسوغ للمار ان يكسر البيض ، وربما كان في الحقيقة بيض ثعبان فينتج حضان الطير له شراً . وكذلك الانسان الجاهل الجافي صورته الانسانيـة تمنع من اتلافه ولا ينتج الابقاء عليه إلا شراً ، فانه بجهله يكون اشد ضرراً على الناس من الثعبان بسمه .

(٢) القزع — محركا — : القطع المتفرقة من السحاب واحدته قزعة بالتحريك . والركام : السحاب المتراكم . والمستثار : موضع انبعاثهم ثائرين . وسيل الجنتين هو الذي سمـاه الله سيل العرم الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمر جنانهم وحـول نعيمهم شقاء . والقارة — كالقرارة — ما اطمأن من الارض . والاكمة — محركة — غليظ من الارض يرتفع عما حواليه . والسنن يريد به الجرى . والطود : الجبل العظيم والمقصود الجمع . والرص يراد به الارتصاص اي الانضمام والتلاصق ، اي لم يمنع جريته تلاصق الجبال . والحداب — جمع حدب بالتحريك — ما غلظ من الارض في ارتفاع .

أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ. يُزَعْزِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ[1] يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ. وَايْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ[2] كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

الناس آخر الزمان

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ. لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ. لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً[3] بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الِاعْتِسَافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ[4].

---

(١) يزعزعهم: يفرقهم. وبطون الأودية: كناية عن مسالك الاختفاء. ثم يسلكهم ينابيع في الارض، اي أنهم يسرون دعوتهم وينفثونها في الصدور حتى تثور ثائرتها في القلوب كما تفور الينابيع من عيونها. وقد كان ذلك في قيام الهاشميين على الامويين في زمن مروان الحمار.

(٢) الضمير، في أيديهم، لبني أمية. والالية: الشحمة.

(٣) ليضعفن لكم التيه: لتزادنّ لكم الحيرة اضعاف ما هي لكم الآن.

(٤) الفادح - من فدحه الدين - إذا أثقله.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في أوائل خلافته

[يبين فيها فضائل الاسلام]

إنَّ ٱللهَ تَعالَى أَنْزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ. فَخُذُوا نَهْجَ ٱلْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ ٱلشَّرِّ تَقْصِدُوا[1].

ٱلْفَرائِضَ ٱلْفَرائِضَ، أَدُّوها إلى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إلى ٱلْجَنَّةِ. إنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَراماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ[2]، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلاصِ وَٱلتَّوْحِيدِ حُقُوقَ ٱلْمُسْلِمِينَ في مَعاقِدِها[3]. فَٱلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ إلَّا بِالْحَقِّ. وَلا يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إلَّا بِما يَجِبُ.

بادِرُوا أَمْرَ ٱلْعامَّةِ وَخاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ[4] فَإنَّ ٱلنَّاسَ أَمامَكُمْ، وَإنَّ ٱلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا

---

(١) صدف: أعرض. والسمت: الجهة. وتقصدوا: تستقيموا.

(٢) مدخول: معيب.

(٣) [وشدّ بالاخلاص الخ...]: اي جعل الحقوق مرتبطة بالاخلاص والتوحيد لا تنفك عنه. ومعاقد الحقوق: مواضعها من الذمم.

(٤) بادره: عاجله؛ اي عاجلوا امر العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا، فاذا انقضى عملكم في شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كيلا يأخذكم على غفلة فلا تكونوا منه على اهبة. وفي تقديم الامام امر العامة على امر الخاصة دليل على ان الاول أهم ولا يتم الثاني إلا به. وهذا ما تضافرت عليه الادلة الشرعية وإن غفل عنه الناس في ازماننا هذه.

تَلْحَقُوا ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ .

اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ ، أَطِيعُوا اللهَ وَلَا تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعدما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان (١) ؟ فقال - عليه السلام :

يَا إِخْوَتَاهُ ، إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ (٢) ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ ! وَهَا هُمْ هٰؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُبْدَانُكُمْ ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ (٣) يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا . وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ . إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ . وَإِنَّ لِهٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً (٤) . إِنَّ النَّاسَ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ ؛ وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هٰذَا وَلَا ذَاكَ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى

---

(١) [أجلب عليه : جمع انصاره واعوانه] .
(٢) [شوكتهم : قوتهم] .
(٣) [اراد بالاعراب اجلاف البادية الذين انضموا الى عبيد المدينة في فتنة عثمان] . خلالكم : فيما بينكم .
(٤) مادة : اي عوناً ومدداً .

يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمِحَةً[١] فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي. وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً[٢]. وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ. وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ[٣].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند مسير أصحاب الجمل الى البصرة

[وفيها امور جامعة للمسلمين وتنفير من خصومه]

الامور الجامعة للمسلمين

إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ[٤]. وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ[٥] إِلَّا مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا. وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ. فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا[٦].

---

(١) مسمحة: اسم فاعل، من أسمح: إذا جاد وكرم، كأنها لتيسرها عند القدرة تجود عليه بنفسها فيأخذها.

(٢) ضعضعه: هدمه حتى الارض. والمنة – بالضم – القدرة. والوهن: الضعف.

(٣) الكي: كناية عن القتل [اي إذا لم أجد بداً من قتال البغاة فعلت، لانها الغاية التي ينتهي عندها أمر العصاة].

(٤) [إلا هالك:] اي إلا من كان في طبعه عوج جبلتي، فحتم عليه الشقاء الابدي.

(٥) البدع الملبسة ثوب الدين المشبهة به هي المهلكة إلا ان يحفظ الله منها بالتوبة

(٦) ملوّمة – من لوّمه – مبالغة في لامه؛ اي غير ملوم عليها بالنفاق.

وَٱللهِ لَتَفْعَلُنَّ، أَوْ لَيَنْقُلَنَّ ٱللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ ٱلْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ ٱلْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ [1].

التنفير من خصومه

إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي [2]، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ. فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هٰذَا ٱلرَّأْيِ [3] ٱنْقَطَعَ نِظَامُ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا ٱللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ ٱلْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا. وَلَكُمْ عَلَيْنَا ٱلْعَمَلُ بِكِتَابِ ٱللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ ٱللهِ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَٱلْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَٱلنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ [4].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في وجوب اتباع الحق عن قيام الحجة]

كلم به بعض العرب [5] وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب - عليه

(١) يأرز: يرجع.

(٢) تمالأوا: اتفقوا وتعاونوا. والسخطة - بالفتح - الكراهة: وعدم الرضاء. والمراد من هؤلاء من انتقض عليه، من طلحة والزبير - رضي الله عنهما - والمنضمين اليهما.

(٣) فيالة الرأي - بالفتح - ضعفه. وأفاءها عليه: ارجعها اليه.

(٤) النعش: مصدر نعشه، إذا رفعه.

(٥) بعض العرب: [هو كليب الجرمي نسبة إلى بني جرم، وكان قوم من أهل البصره أرسله إلى الامام ليعلم اهو على صحة ام هو على شبهة فلما رآه وسمع لفظه لم يخالجه شك في صدقه فبايعه].

السلام – منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع اصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم فبين له – عليه السلام – من امره معهم ما علم به انه على الحق، ثم قال له : بايع ، فقال : اني رسول قوم ولا احدّث حديثاً حتى أرجع اليهم. فقال – عليه السلام :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ ٱلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ ٱلْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى ٱلْمَعَاطِشِ وَٱلْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعاً ؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ. فَقَالَ – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ فَوَٱللهِ مَا ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

وَٱلرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ ٱلْجَرْمِيِّ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عزم على لقاء القوم بصفين
[وهو دعاء ودعوة للقتال]

الدعاء

اَللّٰهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ [1] ، ٱلَّذِي

(١) الجو : ما بين الأرض والأجرام العالية . وفيه من مصنوعات الله ما لا يحصى نوعه ولا يعد جنسه . وهو بحر تسبح فيه الكائنات الجوية ولكنها مكفوفة عن الارض لا تسقط عليها حتى يريد الله احداث امر فيها. وجعلته مغيضاً: من غاض الماء إذا نقص ، كأن هذا الجو منبع الضياء والظلام وهو مغيضها كما يغيض الماء في البئر والكلام الآتي صريح في ان الكواكب السيارة كالشمس والقمر تختلف أي يختلف بعضها بعضاً في الجو فهو مجال سيرها وميدان حركاتها. والسبط ـ بالكسر ـ: الأمة.

جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ ٱلسَّيَّارَةِ . وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ . وَرَبَّ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَٱلْأَنْعَامِ ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى . وَرَبَّ ٱلْجِبَالِ ٱلرَّوَاسِي ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَلِلْخَلْقِ ٱعْتِمَاداً [١] ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا ٱلْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ . وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا ٱلشَّهَادَةَ وَٱعْصِمْنَا مِنَ ٱلْفِتْنَةِ .

الدعوة للقتال

أَيْنَ ٱلْمَانِعُ لِلذِّمَارِ [٢] وَٱلْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِفَاظِ . ٱلْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَٱلْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ !

---

(١) اعتماداً: اي معتمد، أي ملجأ يعتصمون بها اذا طردتهم الغارات من السهول وكما هي كذلك للانسان، هي ايضاً كذلك للحيوانات تعتصم بها .

(٢) الذمار - ككتاب -: ما يلزم الرجل حفظه من أهله وعشيرته. والغائر : من غار على امرأته أو قريبته ان يمسها أجنبي . والحقائق : وصف لا اسم ، يريد النوازل الثابتة التي لا تدفع بل لا تقلع إلا بعازمات الهمم ومن أهل الحفاظ بيان للمانع والغائر ، والحفاظ : الوفاء ورعاية الذمم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها يحمد الله ويذكر ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر]

حمد الله

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً[1] وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً .

يوم الشورى

منها : وَقَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ يَا ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى هٰذَا ٱلْأَمْرِ لَحَرِيصٌ ، فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَٱللهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ[2] . فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي ٱلْمَلَإِ ٱلْحَاضِرِينَ هَبَّ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ .

الاستنصار على قريش

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ[3] ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ

---

(١) لا تواري : لا تحجب .

(٢) ضرب الوجه : كناية عن الرد والمنع . وقرعته بالحجة : من قرعه بالعصا ضربه بها . وهب : من هبيب التيس أي صياحه ، اي كان يتكلم بالمهل مع سرعة حمل عليها الغضب كأنه مخبول لا يدري ما يقول .

(٣) أستعينك : أستنصرك وأطلب منك المعونة .

لِي. ثُمَّ قَالُوا: إِلَّا أَنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ [١].

منها في ذكر اصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَمَا تُجَرُّ ٱلْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى ٱلْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا [٢] فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي ٱلطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِٱلْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ [٣] وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا. فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً [٤]، وَطَائِفَةً غَدْراً. فَوَٱللّٰهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ [٥] بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ ٱلْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ

---

(١) ثم قالوا الخ... أي انهم اعترفوا بفضله وأنه أجدرهم بالقيام به، ففي الحق ان يأخذه ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر وقالوا للامام: في الحق ان تتركه فتناقض حكمهم بالحقيقة في القضيتين، ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توفرت فيه شروطه.

(٢) حبيس فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأم المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد ان يمسها بعده كأنها في حياته.

(٣) خزان: جمع خازن.

(٤) القتل صبراً: ان تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت [دفعة دفعة من طول الألم].

(٥) معتمدين: قاصدين.

يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ . دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ٱلْعِدَّةِ ٱلَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ (١) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن هو جدير بأن يكون للخلافة]
[وفي هوان الدنيا]

رسول الله

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ .

الجدير بالخلافة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ ٱلنَّاسِ بِهَذَا ٱلْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ ٱللهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ (٢) فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ ٱلْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ ٱلنَّاسِ ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ . أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلاً ٱدَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ،

---

(١) قوله دع ما أنهم . . . أي يحل لي قتلهم بقتل مسلم واحد عمداً، فدع من أعمالهم ما زاد على ذلك؛ وهو انهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم، فذلك بما يستحقون عليه عقاباً فوق حل دمائهم ، وما، في قوله : ما أنهم، مثل: لو ، في قولهم يعجبني لو ان فلاناً يتكلم، ومثلها في قوله تعالى « انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » فهي زائدة او مساعدة على سبك الجملة بالمصدر .

(٢) الشغب : تهييج الفساد . واستعتب : طلب منه الرضاء بالحق .

وَآخَرَ مَنَعَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ .

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى ٱلْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ عِنْدَ ٱللهِ . وَقَدْ فُتِحَ بَابُ ٱلْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ [1] ، وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا ٱلْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ ٱلْبَصَرِ وَٱلصَّبْرِ وَٱلْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ ٱلْحَقِّ [2] فَٱمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ . وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً [3] .

هوان الدنيا

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَلَا مَنْزِلِكُمُ ٱلَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا ٱلَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ . أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا . وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ، وَإِطْمَاعَهَا

---

(١) أهل القبلة: من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد ﷺ ويصلي معنا الى قبلة واحدة .

(٢) أي: لا يحمل علم الحرب ورايتها لقتال أهل القبلة إلا اهل العقل والمعرفة بالشرع وهم الامام ومن معه ، أي ليس حملنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله .

(٣) أي اذا اتفق أهل الحل والعقد من المسلمين على إنكار شيء عدلنا الى حكمهم وغيّرنا حكمنا متى كان انفاقهم لا يخالف نصاً شرعياً . فالغير (بكسر ففتح) اسم للتغيير أو التغير .

لِتَخْوِيفِهَا. وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى ٱلدَّارِ ٱلَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَٱنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا. وَلَا يَخْنِنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ ٱلْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا (١). وَٱسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ ٱللهِ وَٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ!

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

في معنى طلحة بن عبيد الله

[وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة لقتاله]

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ. وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ ٱلنَّصْرِ — وَٱللهِ — مَا ٱسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ (٢) إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ (٣)، فَأَرَادَ أَنْ

(١) الخنين — بالخاء المعجمة — : ضرب من البكاء يردد به الصوت في الأنف. وزوي : أي قبض.

(٢) [وأول هذا الكلام ردّ على تهديدهم له بالحرب] متجرداً : كأنه سيف تجرد من غمده.

(٣) احرص عليه، أي على دم عثمان يعني سفكه.

يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ ٱلْأَمْرَ [1] وَيَقَعَ ٱلشَّكُّ . وَوَٱللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَئِنْ كَانَ ٱبْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ أَوْ يُنَابِذَ [2] نَاصِرِيهِ . وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ [3] ، وَٱلْمُعَذِّرِينَ فِيهِ [4] . وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِبًا [5] وَيَدَعَ ٱلنَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ ٱلثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ [6] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[في الموعظة وبيان قرباه من رسول الله]

أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ غَيْرُ ٱلْمَغْفُولِ عَنْهُمْ ، وَٱلتَّارِكُونَ ٱلْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ [7] . مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ ٱللهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ .

---

(١) يلبس : رباعي ، من قولهم أمر ملبس أي مشتبه [ويقع الشك : أي من الناس] .

(٢) يوازر : ينصر ويعين . والمنابذة : المراماة والمراد المعارضة والمدافعة .

(٣) نهنهه عن الامر : كفه وزجره عن اتيانه .

(٤) المعذرين فيه : المعتذرين عنه فيما نقم منه .

(٥) ويركد جانباً : يسكن في جانب عن القاتلين والناصرين .

(٦) [والأمر الذي لم يعرف بابه هو نكثه للبيعة وطلبه للقتال فأنه لا يعرف سبباً لدخوله فيه وإذن لا عذر له فيما فعل] .

(٧) التاركون ... الخ : أي ان التاركين لما أمروا به ، المأخوذة منهم أعمارهم ، تطويها عنهم يد القدرة ساعة بعد ساعة . فالمأخوذ منهم صفة للتاركين .

كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعًى وَبِيٍّ وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ. إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى[1] لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا، إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا[2]، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا. وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ[3]، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ[4]. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا! وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ[5].

---

(١) النعم - محركة - الابل أو هي الغنم. وأراح بها: ذهب بها. وأصل الاراحة الانطلاق في الريح فاستعمله في مطلق الانطلاق، والسائم: الراعي. والوبي: الردي يجلب الوباء. والدوي: الوبيل يفسد الصحة، أصله من الدوا بالقصر اي المرض. والمدى - جمع مدية - السكين؛ أي معلوفة للذبح.

(٢) تحسب يومها دهرها: أي لا تنظر الى عواقب امورها فلا تعد شيئاً لما بعد يومها، ومتى شبعت ظنت انه لا شأن لها بعد هذا الشبع. هذا كلام كأنه ثوب فصل على أقدار أهل هذا الزمان.

(٣) بمخرجه الخ ... أي من أين يخرج. وأين يلج: أي يدخل.

(٤) مفضيه: أصله من أفضى اليه: خلا به؛ والى الأرض: مسها. والمراد اني موصله إلى أهل اليقين بمن لا تخشى عليهم الفتنة.

(٥) [يقول ابن ميثم في شرح هذا الكلام: وذلك التعليم منه ما يكون على وجه جزئي أعني أن يخبره بواقعة واقعة ومنه ما يكون على وجه كلي أي يلقي اليه اصولا كلية يعد ذهنه بها لاستفاضة الصور الجزئية من واهب الصور]

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي ، وَٱللهِ ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَـةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُـكُمْ إِلَيْهَا ، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَـكُمْ عَنْهَا !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة]

عظة الناس

ٱنْتَفِعُوا بِبَيَانِ ٱللهِ ، وَٱتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱللهِ ، وَٱقْبَلُوا نَصِيحَةَ ٱللهِ . فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِٱلْجَلِيَّةِ (١) . وَٱتَّخَذَ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةَ . وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ ٱلْأَعْمَـالِ ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا ، لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ ، وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ « إِنَّ ٱلْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ ٱلنَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ » .

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ (٢) . وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ ٱللهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ (٣) . وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلنَّفْسَ

---

(١) أعذر اليكم بالجلية أي بالأعذار الجلية . والعذر هنا مجاز عن سبب العقاب في المؤاخذة عند مخالفة الاوامر الالهية .

(٢) أي لا شيء من طاعة الله إلا وفيه مخالفة لهوى النفس البهيمية ، فتكره إتيانه ، ولا شيء من معصية الله إلا وهو موافق لميل حيواني ، فتشتهي النفوس اتيانه .

(٣) نزع عنه : انتهى وأقلع ، فان عُدّي بإلى ، كان بمعنى اشتاق ، وأبعد منزعاً أي نزوعاً بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي .

أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً . وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزَعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى .

وَٱعْلَمُوا ـ عِبَادَ ٱللهِ ـ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا [١] ، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَٱلْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ . قَوَّضُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا تَقْوِيضَ ٱلرَّاحِلِ [٢] وَٱطْوُوهَا طَيَّ ٱلْمَنَازِلِ .

فضل القرآن

وَٱعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ هُوَ ٱلنَّاصِحُ ٱلَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَٱلْهَادِي ٱلَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَٱلْمُحَدِّثُ ٱلَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ فِي عَمًى . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ [٣] ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى

---

(١) ظنون ـ كصبور ـ الضعيف والقليل الحيلة ، فيريد ان المؤمن يظن في في نفسه النقص والتقصير في الطاعة ، أو هو من البئر الظنون التي لا يدري أفيها ماء ام لا ، فتكون هنا بمعنى متهمة فهو لا يثق بنفسه إذا وسوست له بانها أدت حق ما فرض عليها . وزاريا عليها : اى عائباً . ومستزيداً : طالباً لها الزيادة من طيبات الاعمال .

(٢) التقويض : نزع أعمدة الخيمة وأطنابها والمراد انهم ذهبوا بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما يطوي المسافر منازل سفره اي مراحله ومسافاته .

(٣) [واستعارة وصف الناصح للقرآن لإرشاده الى وجوه المصالح . وعبّر بالمجالسة عن القراءة ولزومها أو لزوم قراءة القرآن . وليس على أحد بعده من فاقة] : أي فقر وحاجة الى هاد سواه ، يرشد إلى مكارم الاخلاق وفضائل الاعمال ، وسائق الى شرف المنازل وغايات المجد والرفعة .

فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ[1]، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ[2]، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ. وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ[3] بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ. وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ[4]، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

الحث على العمل

الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ. وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ. إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى

---

(١) اللأواء: الشدة.

(٢) فاطلبوا من الله ما تحبون من سعادة الدنيا والآخرة باتباعه، واقبلوا على الله بالرغبة في اقتفاء هديه وهو المراد من حبه، ولا تجعلوه آلة لنيل الرغبات من الخلق، لأنه ما تقرب العباد الى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزل الله.

(٣) شفاعة القرآن: نطق آياته بانطباقها على عمل العامل. ومحل به مثلث الحاء كاده بتبيين سيئاته عند السلطان، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من أعماله.

(٤) إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ واستغشوا أهواءكم، أي: ظنوا فيها الغش وارجعوا الى القرآن.

نِهَايَتِكُمْ . وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ [١] . وَإِنَّ لِلإِسْلاَمِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ . وَاخْرُجُوا إِلَى ٱللهِ بِمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ [٢] ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ . أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَنْكُمْ [٣] .

نصائح للناس

أَلا وَإِنَّ ٱلْقَدَرَ ٱلسَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَٱلْقَضَاءَ ٱلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ [٤] . وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ ٱللهِ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا ، وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » وَقَدْ قُلْتُمْ : رَبُّنَا ٱللهُ ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ٱلصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ . ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا . فَإِنَّ أَهْلَ ٱلْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ

---

(١) العلم محركاً يريد به القرآن .

(٢) خرج إلى فلان من حقه: أداه، فكأنه كان حبيساً في مؤاخذته فانطلق، إلا ان من حقه، في العبارة، بيان لما افترض، ومعمول اخرجوا مقدر مثله. والوظائف: ما قدر الله لنا من الاعمال المخصصة بالأوقات والأحوال كالصوم والصلاة والزكاة.

(٣) حجيج – من حج – إذا أقنع بحجته . والامام ، كرم الله وجهه، بعلو منزلته من الله، يشهد للمحسنين ويقوم بالحجة عن المخلصين .

(٤) تورد : هو تفعل كتنزل ، اي ورد شيئاً بعد شيء . والمراد من القضاء الماضي ما قدر حدوثه من حادثة الخليفة الثالث وما تبعها من الحوادث . وعدة الله بكسر ففتح مخفف هي وعده ، أي لا تخرجوا منها .

بِهِمْ عِنْدَ ٱللهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ ٱلأَخْلاقِ وَتَصْرِيفَهَا[1] . وَٱجْعَلُوا ٱللِّسَانَ وَاحِداً . وَلْيَخْزُنِ ٱلرَّجُلُ لِسَانَهُ[2] . فَإِنَّ هٰذَا ٱللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَٱللهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ[3] . وَإِنَّ قَلْبَ ٱلْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ . لأَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ . وَإِنَّ ٱلْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لا يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : « لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ » فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى ٱللهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ ٱلرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمُ ٱللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ .

---

(١) تهزيع الشيء : تكسيره ، والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه ، والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه ، فهو نهي عن حطم الكمال بمعول النقص . وتصريف الاخلاق: من صرفته إذا قلبته ، نهى عن النفاق والتلون في الاخلاق وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحداً .

(٢) ليخزن ـ كينصر ـ أي ليحفظ لسانه . والجموح : من جمح الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه .

(٣) لسان المؤمن تابع لأعتقاده لا يقول إلا ما يعتقد ، والمنافق يقول ما ينال به غايته الخبيثة ، فإذا قال شيئاً أخطره على قلبه حتى لا ينساه فيناقضه مرة اخرى فيكون قلبه تابعاً للسانه .

تحريم البدع

وَٱعْلَمُوا عِبادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ ٱلعامَ ما ٱسْتَحَلَّ عاماً أَوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ ٱلعامَ ما حَرَّمَ عاماً أَوَّلَ . وَإِنَّ ما أَحْدَثَ ٱلنَّاسُ لا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ [1] وَلٰكِنَّ ٱلْحَلالَ ما أَحَلَّ ٱللهُ وَٱلْحَرامَ ما حَرَّمَ ٱللهُ . فَقَدْ جَرَّبْتُمُ ٱلأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوها [2] ، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتِ ٱلأَمْثالُ لَكُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَى ٱلأَمْرِ ٱلْواضِحِ . فَلا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلّا أَصَمُّ ، وَلا يَعْمَى عَنْ ذٰلِكَ إِلّا أَعْمَى . وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِٱلْبَلاءِ وَٱلتَّجارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعِظَةِ . وَأَتاهُ ٱلتَّقْصِيرُ مِنْ أَمامِهِ [3] حَتَّى يَعْرِفَ ما أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ ما عَرَفَ . وَإِنَّما ٱلنَّاسُ رَجُلانِ : مُتَّبِعٌ شِرْعَةً ، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللهِ سُبْحانَهُ بُرْهانُ سُنَّةٍ ، وَلا ضِياءُ حُجَّةٍ .

القرآن

وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذا ٱلْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ

(١) البدع التي أحدثها الناس لا تغير شيئاً من حكم الله .

(٢) ضرسته الحرب : جربته أي جربتموها .

(٣) الاتيان من الامام كناية عن الظهور ، كأن التقصير عدو قوي يأتي مجاهرة لا يخدع ولا يفر ، فيأخذه أخذ العزيز المقتدر ، عند ذلك يعرف من الحق ما كان أنكر ، وينكر من الباطل ما كان عرف .

حَبْلُ ٱللهِ ٱلْمَتِينُ ، وَسَبَبُهُ ٱلامِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ ٱلْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ وَٱلْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ . وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَاذْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ : « يَا ٱبْنَ آدَمَ ٱعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ ٱلشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ[1] » .

أنواع الظلم

أَلا وَإِنَّ ٱلظُّلْمَ ثَلاثَةٌ : فَظُلْمٌ لا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لا يُطْلَبُ . فَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : « إِنَّ ٱللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ[2] . وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لا يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً . ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى[3] وَلا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ ، وَلٰكِنَّهُ

---

(١) [جواد قاصد أي] : مستقيم أو قريب من الله والسعادة [واستعار لفظي الجواد القاصد لأن العامل للخير المنتهي عن الشر مستقيم على طريق الله فلا تعريج في طريقه ولا اعوجاج في سيره ، فيكون سيره أسرع سير كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق] .

(٢) بفتح الهاء جمع هنة محركة : الشيء اليسير والعمل الحقير . والمراد به صغائر الذنوب .

(٣) [المدى] : جمع مدية ، وهي السكين . والسياط جمع سوط .

مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ "(1) . فَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّلَوُّنَ فِي دِينِ ٱللّٰهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ ٱلْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ "(2) . وَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ .

لزوم الطاعة

يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَٱشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ "(3) ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ ، وَٱلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ .

---

(١) ولكنه العذاب الذي يعد الجرح والضرب صغيراً بالنسبة اليه .

(٢) من يحافظ على نظـــام الالفة والاجتماع، وان ثقل عليه أداء بعض حقوق الجماعة وشق عليه ما تكلفه به من الحق، فذلك الجدير بالسعادة دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة، وإن نال بذلك حقاً باطلاً وشهوة وقتية ، فقد يكون في حظه الوقتي شقاؤه الابدي . ومتى كانت الفرقة عم الشقاق وأحاطت العداوات واصبح كل واحد عرضة لشرور سواه ، فمحيت الراحة وفسدت حال المعيشة .

(٣) [قيل ان طوبى – فعلى – من الطيب، والواو منقلبة عن الباء] وقوله لمن لزم بيته : ترغيب في العزلة عن إثارة الفتن واجتناب الفساد ، وليس ترغيبـــاً في الكسالة وترك العامة وشأنهم ، فقد حث امير المؤمنين في هذا الموضع على مقاومة الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في معنى الحكمين

[وهو من خطبة خطبها بعد ما بلغه أمر الحكمين]

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ ٱخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ ٱلْقُرْآنِ ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ. فَتَاهَا[1] عَنْهُ وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ. وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَٱلِاعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْحُكْمِ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْعَمَلِ بِٱلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا[2] وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا، وَٱلثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا[3] حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ ٱلْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ ٱلْحُكْمِ .

---

(١) يجعجعا : من جعجع البعير إذا برك ولزم الجعجاع أي الأرض . أي ان يقيما عند القرآن . والتبع – محركاً – التابع للواحد والجمع . وتاها أي ضلا [والرجلان هما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص وقد أخذ عليهما ان يحبسا نفسيهما على العمل بالقرآن ولا يتجاوزاه وتكون ألسنتهما وقلوبهما معه] .

(٢) سوء مفعول سبق ، أي ان استثناءنا وقت التحكيم حيث قلنا لا تحكموا إلا بالعدل، كان سابقاً على سوء الرأي وجور الحكم، فهما المخالفان لما شرط عليهما لا نحن . ويصح أن يكون مفعول استثناءنا ، والمعنى اننا استثنينا عليهم فيما سبق أن لا يسيئا رأياً ولا يجورا حكما ، فيقبل حكمهما إلا ان يجورا او يسيئا .

(٣) عبر بالثقة عن الحجة القوية والسبب المتين في رفض حكمهما .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الشهادة والتقوى وقيل انه خطبها بعد مقتل عثمان في اول خلافته]

الله ورسوله

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ . وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ . وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا ، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ[1] فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ[2] . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ[3] ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ[4] . شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ[5] وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ

---

(١) لا يعزب : لا يخفي . وسوافي الريح جمع سافية من سفت الريح التراب والورق أي حملته . والصفا مقصوراً – جمع صفاة – الحجر الأملس الضخم. ودبيب النمل أي حركته عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس. والذر صغار النمل. ومقيلها محل استراحتها ومبيتها .

(٢) طرف الحدقة : تحريك جفنيها . والحدقة هنا العين .

(٣) عدل بالله : جعل له مثلا وعديلا .

(٤) خلقه للخلق جميعاً .

(٥) دخلته بالكسر [والضم] : باطنه .

خلائقه ، والمعتام لشرح حقائقه والمختص بعقائل[1] كراماته . والمصطفى لكرائم رسالاته . والموضحة به أشراط الهدى . والمجلو به غربيب العمى[2] .

أيها الناس إن الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد إليها[3] ، ولا تنفس بمن نافس فيها ، وتغلب من غلب عليها . وايم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها[4] ، لأن الله ليس بظلام للعبيد . ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لرد عليهم كل شارد ، وأصلح لهم كل فاسد . وإني لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة[5] . وقد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير

(١) المجتبى : المصطفى . والعيمة –بكسر العين– المختار من المال . واعتام : أخذها فالمعتام : المختار لبيان حقائق توحيده وتنزيهه . والعقائل : الكرائم . والكرامات ما أكرم الله به نبيه من معجزات ومنازل في النفوس عاليات .

(٢) أشراط الهدى : علاماته ودلائله . وغربيب الشيء – كعفريت – أشده سواداً ، فغربيب العمى أشد الضلال ظلمة .

(٣) المخلد : الراكن المائل . ونفس – كفرح – ضن ، أي لا تضن الدنيا بمن يباري غيره في اقتنائها وعدها من نفائسه ، ولا تحرص عليه بل تهلكه .

(٤) الغض : الناضر . واجترح الذنب : اكتسبه وارتكبه [وفي الكلام تصريح بان الذنوب سبب لزوال النعم وحلول النقم] .

(٥) كنى بالفترة عن جهالة الغرور ، أو أراد في فترة من عذاب ينتظر بكم عقابا على انحطاط هممكم وتباطئكم عن جهاد عدوكم .

مَحْمُودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ [١] . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا ٱلْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : عَفَا ٱللهُ عَمَّا سَلَفَ ! [٢] .

ومن كلام له عليه السلام

[في التوحيد التنزيه]

وقد سأله ذعلب اليماني [٣] فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال :

لَا تَرَاهُ ٱلْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ ٱلْعِيَانِ ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ ٱلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ ٱلْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ . بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ [٤] . صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ . لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ . كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ [٥] ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ ، تَعْنُو ٱلْوُجُوهُ

---

(١) [أي لو ردت عليكم استقامتكم وسيرتكم التي كنتم عليها في زمن الرسالة].

(٢) [يعني انه قد سامحهم بما سبق منهم] .

(٣) [الذعلب : في الأصل الناقة السريعة ثم نقل فسمّي به الانسان] .

(٤) الملامسة والمباينة على معنى البعد المكاني من خواص المواد . وذات الله مبرأة من المادة وخواصها . فنسبة الاشياء اليها سواء وهي في تعاليها ، فهي مع كل شيء وهي أعلى من كل شيء ، فالبعد بعد المكانة من التنزيه. والروية : التفكر. والهمة : الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصاً وأوجب هماً وحزناً. والجارحة: العضو البدني .

(٥) الجفاء : الغلظ والخشونة .

لِعَظَمَتِهِ ، وَتَجِبُ ٱلْقُلُوبُ[1] مِنْ مَخَافَتِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[في ذم العاصين من أصحابه]

أَحْمَدُ ٱللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَى ٱبْتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا ٱلْفِرْقَةُ ٱلَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ . وَإِنِ ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ[2] . لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ[3] . مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَٱلْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟ ٱلْمَوْتَ أَوِ ٱلذُّلَّ لَكُمْ . فَوَٱللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي — وَلَيَأْتِيَنِّي — لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ[4] . وَبِكُمْ غَيْرُ

(١) [رحيم لا يوصف بالرقة: أي لا يوصف برقة الطبع والانفعال النفساني، لأنها من صفات المخلوقين وذوات الاجساد] . تعنو : تذل. ووجب القلب يجب وجيبا ووجبانا : خفق واضطرب .

(٢) أي في الكلام الباطل . وخرتم أي ضعفتم وجبنتم . [ويحتمل ان يكون من الخوار وهو الصياح] والمشاقة : المراد بها الحرب ، ونكصتم : رجعتم القهقرى [وهذا شرح لوجوه الابتلاء بهم] .

(٣) المعروف في التقريع : لا أبالكم ، ولا أبالك . وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجهله ، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء أو الذم لغيرهم .

(٤) قالٍ أي كاره . وغير كثير بكم ، أي : اني افارق الدنيا وأنا في قلة من الاعوان، وإن كنتم حولي كثيرين: ويدل عليه قوله فيا بعد لله أنتم .

كثِيرٍ . لِلّهِ أَنْتُمْ ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ؟ وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ[1] ؟ أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو ٱلْجُفَاةَ ٱلطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ[2] . وَأَنَا أَدْعُوكُمْ ـ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ ٱلْإِسْلَامِ[3] وَبَقِيَّةُ ٱلنَّاسِ ـ إِلَى ٱلْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ ٱلْعَطَاءِ ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ[4] ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ ٱلْمَوْتُ . قَدْ دَارَسْتُكُمُ ٱلْكِتَابَ ، وَفَاتَحْتُكُمُ ٱلْحِجَاجَ[5] ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ

---

(١) من شحذ السكين : كمنع ، أي : حددها .

(٢) الجفاة ـ جمع جاف ـ أي غليظ . والطغام بالفتح ارذال الناس . والمعونة : ما يعطى للجند لاصلاح السلاح ، وعلف الدواب ، زائداً على العطاء المفروض ، والارزاق المعينة لكل منهم [وليس المراد نفي العطاء عن معاوية ، فإنه اعطاهم ولكن على غير وجه المعونة والعطاء ، وإنما على وجه الاستمالة والرشوة . وقد أعطى رؤساء القبائل من اليمن والشام الاموال الجليلة ليستعبدهم بها] .

(٣) التريكة ـ كسفينة ـ بيضة النعامة بعد ان يخرج منها الفرخ تتركها في مجثمها ، والمراد أنتم خلف الاسلام وعوض السلف .

(٤) يريد انه لا يوافقكم مني شيء ، لا ما يرضي ، ولا ، ما يسخط .

(٥) أي قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيماً . وفاتحتكم ، مجرده فتح بمعنى قضى ، فهو بمعنى قاضيتكم أي حاكمتكم . والحجاج : المحاجة أي قاضيتكم عند الحجة حتى قضيت عليكم بالعجز عن الخصام وعرفتكم الحق الذي كنتم تجهلونه ، وسوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجونه وتطرحونه .

كَانَ ٱلأَعْمَى يَلْحَظُ[1]، أَوِ ٱلنَّائِمُ يَسْتَيقِظُ. وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعاوِيَةُ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ٱبْنُ ٱلنَّابِغَةِ[2]!

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[قاله لرجل من أصحابه]

وقد أرسل رجلاً من أصحابه، يعلم له علم احوال قوم من جند الكوفة، قد هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه، عليه السلام، فلما عاد اليه الرجل قال له: «أأمنوا فقطنوا، أم جبنوا فظعنوا؟»[3]. فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام:

بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ ٱلأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ[4]، وَصُبَّتِ ٱلسُّيُوفُ عَلَى هامَاتِهِمْ. لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ ٱلْيَوْمَ قَدِ ٱسْتَفَلَّهُمْ[5]، وَهُوَ غداً

---

(١) لو: للتمني، كأنه يقول ليت الأعمى الخ [وهو اشارة الى كونهم جهالاً لا يلحظون بأعين بصائرهم وغافلون لا يستيقظون].

(٢) أقرب بهم. ما اقربهم من الجهل: وابن النابغة عمرو بن العاص [وقد سبق بيان السبب في تسميته ابن النابغة في الجزء الأول].

(٣) أمنوا: اطمأنوا. وقطنوا: اقاموا، وظعنوا: رحلوا [وهذا الكلام مشتمل على السؤال عن ظعنهم وإقامتهم وعلتها الامن والجبن، ثم على الدعاء عليهم بالهلاك].

(٤) اشرعت: اشرعت: سددت وصوبت نحوهم. والهامات: الرؤوس. [وبُعْداً لهم، اي: هلاكا].

(٥) استفلهم: دعاهم للتفلل وهو الانهزام عن الجماعة.

مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ . فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ ٱلْهُدَى ، وَٱرْتِكَاسِهِمْ [1] فِي ٱلضَّلَالِ وَٱلْعَمَى ، وَصَدِّهِمْ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ فِي ٱلتِّيهِ [2] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[وفيها يحمد الله ويستعينه ويصف وحدانيته ثم يعظ بالزهد والتقوى]

روي عن نوف البكالي [3] قال خطبنا هذه الخطبة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة ، وهو قائم على حجارة ، نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ، وعليه مدرعة من صوف [4] وحمائل سيفه من ليف ، وفي رجليه نعلان من ليف ، وكأنّ جبينه ثفنة بعير [5] . فقال عليه السلام :

---

(١) حسبهم : كافيهم من الشر خروجهم الخ . والباء زائدة ، وان جعل ، حسب اسم فعل ، بمعنى ، اكتف كانت الباء في موضعها اي : فليكتفوا من الشر والخطيئة بذلك فهو كفيل لهم بكل شقاء . والارتكاس : الانقلاب والانتكاس [ورجوعهم الى الضلال القديم وعمي الجهل الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته] .

(٢) صدهم : اعراضهم . والجماح : الجموح وهو أن يغلب الفرس راكبه . والمراد تعاصيهم في التيه أي الضلال .

(٣) هو نوف بن فضالة التابعي البكالي نسبة الى بني بكال – ككتاب – بطن من حمير ضبطه بعضهم بتشديد الكاف كشداد . وجعدة بن هبيرة هو ابن اخت امير المؤمنين وأمه ام هانيء بنت ابي طالب كان فارساً مقداماً فقيهاً .

(٤) المدرعة : ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية قميص ضيق الاكمام ، قال في القاموس ولا يكون إلا من صوف .

(٥) الثفنة – بكسر بعد فتح – : ما يمس الارض من البعير بعد البروك ، ويكون فيه غلظ من ملاطمة الارض ، وكذلك كان في جبين امير المؤمنين من كثرة السجود .

حمد الله واستعانته

الْحَمْدُ للهِ الَّذي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ[1] ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً . وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ[2] ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً ، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً[3] ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً ، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً .

الله الواحد

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً[4] . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ . وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ[5] بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ

---

(١) النوامي : جمع نام ؛ بمعنى زائد .

(٢) الطول (بفتح الطاء وسكون الواو) : الفضل .

(٣) خنع : ذل وخضع .

(٤) لأن أباه يكون شريكه في العز بل أعز منه لأنه علة وجوده . وسر الولادة حفظ النوع فلو صح لله أن يلد لكان فانياً يبقى نوعه في اشخاص اولاده فيكون موروثاً هالكاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٥) يتعاوره : يتداوله ويتبادل عليه .

عَلامَاتِ ٱلتَّدْبيرِ ٱلْمُتْقَنِ وَٱلْقضاءِ ٱلْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَواهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ ٱلسَّمواتِ مُوَطَّداتٍ بلاَ عَمَدٍ [١] ، قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلا مُبْطِئَاتٍ [٢] . وَلَوْلا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ ، وَلا مَسْكَناً لِمَلائِكَتِهِ ، وَلا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ ٱلطَّيِّبِ وَٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا ٱلْحَيْرَانُ في مُخْتَلِفِ فِجَاجِ ٱلأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ٱدْلِهْمَامُ سِجَفِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ . وَلا ٱسْتَطَاعَتْ جَلابِيبُ سَوَادِ ٱلْحَنَادِسِ [٣] أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي ٱلسَّمواتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ ٱلْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ ، وَلا لَيْلٍ سَاجٍ [٤] في بِقَاعِ

---

(١) موطدات : مثبتات في مداراتها على ثقل اجرامها .

(٢) التلكؤ : التوقف والتباطؤ .

(٣) ادلهام الظلمة : كثافتها وشدتها . والسجف ـ بالكسر والفتح ـ : وككتاب الستر . والجلابيب ـ جمع جلباب ـ : ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحفة . ووجه الاستعارة فيها ظاهر . والحنادس : جمع حندس ـ بكسر الحاء ـ : الليل المظلم .

(٤) الساجي : الساكن . ووصف الليل والسكون وصف له بصفة المشمولين به ، فان الحيوانات تسكن بالليل وتطلب أرزاقها بالنهار . والمتطأطئات : المنخفضات . واليفاع : التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض . والسفع ـ جمع سفعاء ـ السوداء يضرب الى الحمرة ، والمراد منها الجبال ؛ عبر عنها بلونها فيما يظهر للنظر على بعد . وما يجلجل به الرعد : صوته . والجلجلة : صوت الرعد . وتلاشت : اضمحلت ، وأصله من لشيء بمعنى خس بعد رفعة . وما يضمحل عنه البرق هو الاشياء التي ترى

الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ ، وَلَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ . وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ [1] وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا ، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا .

عود الى الحمد

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ . لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ . وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ . وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ [2] وَلَا يُبْصَرُ

عند لمعانه. والعواصف: الرياح الشديدة ؛ واضافتها للانواء من اضافة الشيء لمصاحبه عادة. والانواء ـ جمع نوء ـ : احد منازل القمر يعدها العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الافق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلة ويظهر عليه اخرى. والمغيب والظهور عند طلوع الفجر وكانوا ينسبون المطر لهذه الانواء ، فيقولون : مطرنا بنوء كذا لمصادفة هبوب الرياح وهطول الامطار في اوقات ظهور بعضها حتى جاء الاسلام فأبطل الاعتقاد بتأثير الكواكب في الحوادث الارضية تأثيراً روحانياً .

(١) السماء هنا : المطر .

(٢) [ولا يشغله سائل لاحاطة علمه وقدرته] النائل : العطاء. الاين : المكان. والأزواج : القرناء والأمثال ، أي لا يقال ذو قرناء ولا هو قرين لشيء [ويراد من هذا نفي الاثنينية والتعدد عنه جل شأنه] والعلاج لا يكون إلا بين شيئين أحدهما يقاوم الآخر فيتغلب الآخر عليه ، والله لا يعالج شيئاً بل يقول له كن فيكون . [وهو تنزيه لصنعه تعالى عن وساطة الآلة والحيلة كما يزاول أصحاب الصنائع] .

بِعَيْنٍ . وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنَ . وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ . وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ . وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً . بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ (١) . بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ (٢) فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِنِّينَ ، مُتَوَلِّهَةً (٣) عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ ، فَلَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِنُورِهِ كُلَّ نُورٍ (٤) .

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَى اللّٰهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ (٥) وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ . وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً ،

---

(١) اللهوات ــ جمع لهاة ــ اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم .

(٢) المتكلف : هو شديد التعرض لما لا يعنيه ، أي إن كنت أيها المتعرض لما لا يعنيك من وصف ربك صادقاً في دعوى القدرة على وصفه ، فصف أحد مخلوقاته فاذا عجزت فأنت عن وصف الخالق أشد عجزاً .

(٣) الحجرات : جمع حجرة ـ بضم الحاء ـ الغرفة . والمرجحن ـ كالمقشعر ـ المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالاً كناية عن انحنائهم لعظمة الله واهتزازهم لهيبته . ومتولهة : أي حائرة او متخوفة .

(٤) [أي أضاء بنوره كل ظلام محسوس أو معقول وكل نور بالنسبة لنوره مظلم دامس الظلام] .

(٥) الرياش : اللباس الفاخر .

أَوْ إِلَى دَفْعِ ٱلْمَوْتِ سَبِيلاً ، لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ ٱلَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ مَعَ ٱلنُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ ٱلزُّلْفَةِ . فَلَمَّا ٱسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ [١] ، وَٱسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُّ ٱلْفَنَاءِ بِنِبَالِ ٱلْمَوْتِ [٢] . وَأَصْبَحَتِ ٱلدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَٱلْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْقُرُونِ ٱلسَّالِفَةِ لَعِبْرَةً .

أَيْنَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْعَمَالِقَةِ . أَيْنَ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْفَرَاعِنَةِ . أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ ٱلرَّسِّ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا ٱلنَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا سُنَنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . وَأَحْيَوا سُنَنَ ٱلْجَبَّارِينَ [٣] . وَأَيْنَ ٱلَّذِينَ سَارُوا

---

(١) الطعمة ـ بالضم ـ المأكلة أي ما يؤكل . والمراد رزقه المقسوم .

(٢) [ولفظ القسي والسهام استعارة لمرامي الامراض وأسبابها] .

(٣) سئل امير المؤمنين عن أصحاب مدائن الرس فيما رواه الرضي عن آبائه الى جده الحسين فقال : انهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمى الرس من بلاد المشرق (هو نهر أرس في بلاد أذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة على شفير عين تسمى دوشاب (يقال غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنوبرة شاه‌درخت وعدة مدائنهم اثنتا عشرة مدينة اسم الاولى أبان، والثانية آذر ، الثالثة دي ، والرابعة بهمن ، والخامسة اسفندارمز، والسادسة فروردين ، والسابعة اردى بهشت ، والثامنة خزداد ، والتاسعة مرداد ، والعاشرة تير ، والحادية عشرة مهر ، والثانية عشرة شهريور ، فبعث الله لهم نبياً ينهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم بعبادة الله فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل حيث أقاموا في العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبرابخ ثم نزعوا منها الماء واحتفروا حفرة في قعرها وألقوا نبيهم فيها حياً واجتمعوا يسمعون انينه وشكواه حتى مات فعاقبهم الله بارسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت أبدانهم وقذفت عليهم الارض مواد كبريتية متقدة فذابت أجسادهم وهلكوا وانقلبت مدائنهم .

بِالْجُيُوشِ وَهزَمُوا الْأُلُوفَ. وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ.

منها: قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا (١). وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا. وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا. فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ (٢). بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ (٣)، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ

فضل علي

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ. وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا. وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ

---

(١) جنة الحكمة: ما يحفظها على صاحبها من الزهد والورع. والكلام في العارف مطلقاً.

(٢) هو مع الاسلام فاذا صار الاسلام غريباً اغترب معه لا يضل عنه. وعسيب الذنب: أصله. والضمير، في ضرب، للاسلام. وهذا كناية عن التعب والاعياء، يريد الضعف. والجران — ككتاب — مقدم عنق البعير من المذبح الى المنحر، والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه. والصاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف كسابقه.

(٣) بقية: تابع لمغترب: وضمير حجته وأنبيائه لله المعلوم من الكلام [وقال بعض الامامية ان الكلام إشارة الى الامام المنتظر؛ وقال بعضهم: إن الكلام إشارة إلى العلماء والعارفين فهم حجج الله في الأرض على عباده].

تَسْتَوْسِقُوا [١] . لِلّهِ أَنْتُمْ ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ ٱلطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمُ ٱلسَّبِيلَ ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً ، وَأَزْمَعَ ٱلتَّرْحَالَ عِبَادُ ٱللّهِ ٱلْأَخْيَارُ ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ ٱلدُّنْيَا لَا يَبْقَى ، بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلآخِرَةِ لَا يَفْنَى . مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ — وَهُمْ بِصِفِّينَ — أَنْ لَا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً ؟ يُسِيغُونَ ٱلْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ ٱلرَّنَقَ [٢] . قَدْ — وَٱللّهِ — لَقُوا ٱللّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ .

أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ رَكِبُوا ٱلطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى ٱلْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ [٣] ؟ وَأَيْنَ ٱبْنُ ٱلتَّيِّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو ٱلشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى ٱلْفَجَرَةِ .

---

(١) استوسقت الابل : اجتمعت وانضم بعضها الى بعض .

(٢) الرنق — بكسر النون وفتحها وسكونها — الكدر .

(٣) عمار بن ياسر: من السابقين الاولين . وأبو الهيثم مالك بن التيهان بتشديد الياء وكسرها: من أكابر الصحابة [وأبوه مالك أو عمرو بن الحرب وهو التيهان كان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا . والمشهور ان ابنه أبا الهيثم أدرك صفين مع علي عليه السلام وقتل بها] . وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت [الأنصاري] قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة [وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد] . كلهم قتلوا في صفين . وأبرد برؤوسهم أي أرسلت مع البريد بعد قتلهم الى البغاة للتشفي منهم رضي الله عنهم .

قال ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :

أَوْهِ [1] عَلَى إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ تَلَوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوا ٱلسُّنَّةَ وَأَمَاتُوا ٱلبِدْعَةَ . دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ .

ثم نادى بأعلى صوته :

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ . أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا ، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ !

قال نوف : وعقد للحسين – عليه السلام – في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد – رحمه الله – في عشرة آلاف، ولابي أيوب الانصاري في عشرة آلاف [2]، ولغيرهم على اعداد أخر وهو يريد الرجعة الى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله ، فتراجعت العساكر فكنا كاغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان .

ومن خطبة له عليه السلام

[في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى]

الله تعالى

الْحَمْدُ للهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ

(١) أوه بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء – كلمة توجع .

(٢) [أبو أيوب الانصاري هو خالد بن سعد بن كعب من الخزرج من بني النجار شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد وعليه نزل رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً ، ولم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه وانتقل اليها . وشهد مع علي مشاهده كلها : الجمل وصفين وكان على مقدمته يوم النهروان .

مَنْصَبَةٍ [١] . خَلَقَ ٱلْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَٱسْتَعْبَدَ ٱلأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ ٱلْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ . وَهُوَ ٱلَّذِي أَسْكَنَ ٱلدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا [٢] وَحَلاَلِهَا وَحَرَامِهَا . وَمَا أَعَدَّ ٱللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَٱلْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا ٱسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ [٣] جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً .

فضل القرآن

منها : فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةُ ٱللهِ عَلَى خَلْقِهِ . أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ . وَٱرْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ [٤] . أَتَمَّ

---

(١) المنصبة ـ كمصطبة ـ التعب .

(٢) هجم عليه ـ كنصر ـ دخل غفلة . والمعتبر مصدر ميمي : الاعتبار والاتعاظ . والتصرف : التبدل . والمصاح جمع مصحة بكسر الصاد وفتحها ـ بمعنى الصحة والعافية ، كأن الناس في غفلة عن سر تعاقب الصحة والمرض على بدن الانسان حتى نبهتهم رسل الله الى ان هذا ابتلاء منه ـ سبحانه ـ ليعرف الانسان عجزه وأن امره بيد خالقه .

(٣) أي كما طلب من خلقه أن يحمدوه .

(٤) [ولا يخفى ان اسناد الأمر والنهي والنطق للقرآن إنما هو من باب المجاز لأن الآمر الناهي هو الله والناطق هو المتكلم به] . حبس نفوسهم في ضنك المؤاخذة حتى يؤدوا حق القرآن من العمل به فان لم يفعلوا لم يخلصوا بل هلكوا .

نورَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى ٱلْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ ٱلْهُدَى بِهِ . فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَاعَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ . فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ (١) . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ ٱلرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَى ٱلشُّكْرِ ، وَٱفْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ ٱلذِّكْرَ .

الوصية بالتقوى

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ . فَاتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ (٢) وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ . وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ . قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً ، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً .

---

(١) [في الكلام إشارة الى ان المرضي من الاحكام والمسخوط عليه منها فيما مضى، إنما هي باقية كحالها؛ المرضيّ مرضي والمسخوط مسخوط فيما بقي من الزمان واستقبل من الاوقات . وبه تحتج الامامية في عدم الأخذ بالرأي فيما صدر فيه حكم من الاحكام] .

(٢) يقال : فلان بعين فلان اذا كان بحيث لا يخفى عليه منه بشيء .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ . فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ (١) . ظِلُّهَا عَرْشُهُ . وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ . وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ . وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ . فَبَادِرُوا الْمَعَادَ . وَسَابِقُوا الْآجَالَ . فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ (٢) . وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ (٣) . وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا .

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ . أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى

---

(١) [اراد بالظل السلطان . وفي التعبير بزيارة الملائكة ورفقة الرسل لطيفة إذ لما كانت خلقة الملائكة روحانية عبر عنها بالزيارة ولما كانت خلقة الرسل جثمانية عبر عنها بالرفقة ؛ والرفيق ألصق وألزم من الزائر] .

(٢) [يرهقهم بالأجل] : أي يغشاهم بالمنية .

(٣) اي انكم في حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم وهي الحالة التي ندم المهملون على فواتها وسألوا الرجعة اليها كما حكى الله عنهم إذ يقول الواحد منهم « رب ارجعني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت » .

النَّار حطم بعضها بعضاً لغضبه [1] ، وإذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعاً من زجرته .

أيها اليفن الكبير [2] الذي قد لهزه القتير ، كيف أنت إذا التحمت أطواق النَّار بعظام الأعناق ! ونشبت الجوامع [3] حتّى أكلت لحوم السَّواعد . فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون في الصحّة قبل السّقم . وفي الفسحة قبل الضيق . فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها [4] . أسهروا عيونكم ، وأضمروا بطونكم واستعملوا أقدامكم ، وأنفقوا أموالكم ، وخذوا من أجسادكم وجودوا بها على أنفسكم [5] ، ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه « إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم » وقال تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم » فلم يستنصركم من ذلّ ، ولم يستقرضكم من قلّ ،

---

(١) مالك هو [الملك] الموكل بالجحيم .

(٢) اليفن – بالتحريك – الشيخ المسن . ولهزه : اي خالطه . والقتير : الشيب .

(٣) نشبت – كفرحت – علقت . والجوامع – جمع جامعة – الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٤) غلق الرهن – كفرح – استحقه صاحب الحق وذلك إذا لم يكن فكاهه في الوقت المشروط .

(٥) [كنى – عليه السلام – بالسهر عن قطع الليل بالعبادة ومدارسة العلم ؛ وبضمور البطون عن الصوم وباستعمال الاقدام عن الصلاة والسعي ، وبالانفاق عن الصدقات وبالأخذ من الاجساد عن الزهد في الدنيا] .

أَسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ ٱلسَّمواتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. وَٱسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمواتِ وَٱلْأَرْضِ، وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ. أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ[1] أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللهِ فِي دَارِهِ. رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً[2]، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً[3] «ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ».

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ!

ومن كلام له عليه السلام

قاله للبرج بن مسهر الطائي[4]، وقد قال له بحيث يسمعه: لا حكم إلا لله، وكان من الخوارج

أُسْكُتْ قَبَّحَكَ ٱللهُ يَا أَثْرَمُ[5]، فَوَٱللهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ

---

(١) [يبلوكم]: يختبركم.

(٢) الحسيس: الصوت الخفي.

(٣) لغب ـ كسمع ومنع وكرم ـ لغبا ولغوبا أعيي أشد الاعياء. والنصب: التعب ايضاً.

(٤) [البرج بالبـاء المضمومة آخره جيم]: أحد شعراء الخوارج. [وقد تنادى بشعائرهم.

(٥) الثرم: محركا سقوط الثنية من الاسنان. والضئيل: النحيف المهزول، كناية عن الضعف. ونعر: أي صاح. ونجمت: ظهرت وبرزت. والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير [شرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة].

فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ ، خَفِيّاً صَوْتُكَ [1] ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ .

ومن خطبة له عليه السلام

[يحمد الله فيها ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان]

حمد الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ ، وَدَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ [2] ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ . تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ [3] . وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ . لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا ،

---

(١) [وكني – عليه السلام – بضآلة الشخص وخفاء الصوت عن حقارته في زمن العدل بين الجماعة وخمول ذكره في ظهور الحق وقوة الاسلام] .

(٢) [واحد لا بعدد : أي لا يتكون من اجزاء] الأمد : الغاية .

(٣) المشاعرة : انفعال احدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها . والمرائي – جمع مرآة بالفتح – وهي المنظر أي تشهد له مناظر الاشياء لا بحضوره فيها شاخصاً للابصار .

وَبِهَا ٱمْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا [1] . لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ ٱمْتَدَّتْ بِهِ ٱلنِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً ، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ ٱلْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً . بَلْ كَبُرَ شَأْناً ، وَعَظُمَ سُلْطَاناً .

الرسول الاعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلصَّفِيُّ ، وَأَمِينُهُ ٱلرَّضِيُّ – صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ ٱلْحُجَجِ ، وَظُهُورِ ٱلْفَلَجِ ، وَإِيضَاحِ ٱلْمَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ صَادِعاً [2] بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ دَالّاً عَلَيْهَا . وَأَقَامَ أَعْلَامَ ٱلِاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ ٱلضِّيَاءِ . وَجَعَلَ أَمْرَاسَ ٱلْإِسْلَامِ مَتِينَةً [3] وَعُرَى ٱلْإِيمَانِ وَثِيقَةً .

منها في صفة خلق اصناف من الحيوان :

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ ٱلنِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى ٱلطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ، وَلَكِنِ ٱلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ ، وَٱلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ . أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ،

---

(١) أي انه بعد ما تجلى للأوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته وحاكمها الى نفسها حيث رجعت بعد البحث خاسئة حسيرة معترفة بالعجز عن الوصول اليه.

(٢) أي ليلزم العباد بالحجج البينة على ما دعاهم اليه من الحق . والفلج : الظفر وظهوره: علو كلمة الدين [والمنهج : الطريق. وصادعاً بها: معلناً لها بعد الاسرار].

(٣) الامراس : جمع مرس بالتحريك ، وهو جمع مرسة بالتحريك وهو الحبل [ويريد بأمراس الاسلام قواعده وأصوله وأخلاقه] .

وَسوَّى لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ [1] ؟ اُنْظُرُوا إِلَى ٱلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا [2]، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وُرُودِهَا لِصَدَرِهَا [3]، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا، لَا يُغْفِلُهَا ٱلْمَنَّانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا ٱلدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي ٱلصَّفَا ٱلْيَابِسِ وَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِسِ [4]. وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي ٱلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا [5] وَمَا فِي ٱلرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ـ لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً. فَتَعَالَى ٱلَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا. لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ. وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ ٱلدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ ٱلنَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ ٱلنَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ [6]

---

(١) [البشر] : جمع بشرة وهي ظاهرة الجلد الانساني [ويريد هنا كل ما يكسو العظم] .

(٢) [لطافة هيئتها : دقة تركيبها] .

(٣) الصدر ـ محركاً ـ الرجوع بعد الورود . وقوله بوفقها بكسر الواو أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها .

(٤) [الصفا : الحجر الأملس لا شقوق فيه] والجامس الجامد .

(٥) الشراسيف : مقاطّ الأضلاع : وهي أطرافها التي تشرف على البطن .

(٦) أي ان دقة التفصيل في النملة على صغرها والنخلة على طولها تدلك على أن الصانع واحد .

وَغَامِضِ ٱخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَٱللَّطِيفُ وَٱلثَّقِيلُ وَٱلْخَفِيفُ وَٱلْقَوِيُّ وَٱلضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ .

خلقة السماء والكون

وَكَذٰلِكَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْهَوَاءُ وَٱلرِّيَاحُ وَٱلْمَاءُ . فَٱنْظُرْ إِلَى ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلنَّبَاتِ وَٱلشَّجَرِ وَٱلْمَاءِ وَٱلْحَجَرِ وَٱخْتِلَافِ هٰذَا ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ ٱلْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ ، وَطُولِ هٰذِهِ ٱلْقِلَالِ [1] وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ ٱللُّغَاتِ ، وَٱلْأَلْسُنِ ٱلْمُخْتَلِفَاتِ . فَٱلْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ ٱلْمُقَدِّرَ ، وَأَنْكَرَ ٱلْمُدَبِّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ . وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ٱدَّعَوْا ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا [2] . وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ .

خلقة الجرادة

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي ٱلْجَرَادَةِ ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ . وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ [3] . وَجَعَلَ لَهَا ٱلسَّمْعَ ٱلْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ ٱلسَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ

---

(١) القلال ـ جمع قلة بالضم ـ وهي رأس الجبل .

(٢) لم يلجأوا : لم يستندوا . وأوعاه : ـ كوعاه ـ بمعنى حفظه [يريد انهم حفظوه ووعوه من غير فهم وتمحيص وتلك طبائع الجهلاء وصفات الاغبياء] .

(٣) [قمراوين] : أي: مضيئين كأن كلا منهما ليلة قمراء؟ أضاءها القمر .

بِهِمَا تَقرِضُ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقبِضُ(١)، يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا(٢). وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا(٣)، وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً(٤).

فَتَبَارَكَ اللّٰهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَيَعْنُو لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً. فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ. أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبَسِ(٥). وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا. فَهٰذَا غُرَابٌ وَهٰذَا عُقَابٌ. وَهٰذَا حَمَامٌ وَهٰذَا نَعَامٌ. دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ. وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ

---

(١) المنجل ـ كمنبر ـ آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع. قالوا أراد بهما هنا، رجليها لاعوجاجهما وخشونتهما.

(٢) [ذبّها]: دفعها.

(٣) [نزواتها]: وثباتها، نزا عليه: وثب.

(٤) [أي لا يكون في حجم الاصبع الصغيرة].

(٥) المراد من الندى هنا مقابل اليبس بالتحريك فيعم الماء، كأنه يريد ان الله جعل من الطير ما تثبت أرجله في الماء. ومنه ما لا يمشي إلا في الأرض اليابسة.

فَأَهْطَلَ [١] دِيَمَهَا [٢] وَعَدَّدَ قِسَمَهَا [٣]، فَبَلَّ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا [٤]، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا [٥].



(١) الهطل ـ بالفتح ـ تتابع المطر والدمع .

(٢) الديم ـ كالهمم ـ جمع ديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق [ولا يسمى المطر والسحابة ديمة إلا إذا عمّت ودامت] .

(٣) تعديد القسم احصاء ما قدر منها لكل بقعة .

(٤) [وجملة بلّ الارض بعد جفوفها سبب لما بعدها] .

(٥) وجدوب الأرض : يبسها لأحتجاب المطر عنها .

فهرس الجزء الثاني

من كتاب

نهج البلاغة

وهو النصف الثاني من مختار خطب امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام .

فهرست الجزء الثاني

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تم بحمد الله وعونه طبع الجزء الثـــــاني من كتاب « نهج البلاغة » وهو باب المختار من خطب امير المؤمنين عليه السلام وكلامه الجاري مجرى الخطب ، ويليه – ان شاء الله تعالى – الجزء الثالث وبه المختار من كتب أمير المؤمنين الى اعدائه وامراء بلاده .

نسأل الله ان يوفقنا الى إكماله

انه سميع مجيب

DATE DUE

